شخص نعرفه

شاري لابينا

مكتبة ٨٧٣

” تمهيد

الجمعة ٢٩ سبتمبر

إنها تقف في المطبخ، تنظر عبر النوافذ الخلفية الكبيرة. تستدير نحوي ـ هناك شعر بني كثيف يهتز ـ وأرى الاضطراب ثم الخوف المفاجئ في عينيها البنيتين الواسعتين. لقد أدركت الموقف، أدركت الخطر. تتعلق أعيننا ببعضها البعض. تبدو كأنها حيوان جميل مرتعد. لكنني لا أكترث. أشعر بتسارع خليط من المشاعر، ثورة غضب عارمة، لا ينتابني أي شعور بالشفقة عليها على الإطلاق.

كل منا منتبه للمطرقة في يدي. يبدو أن الوقت يتباطأ. من المفترض أن يحدث الأمر بسرعة، لكنه لا يبدو لي كذلك. ينفتح فمها، على وشك أن يُشكل كلامًا. لكنني غير مهتم بما تود قوله. أو ربما أنها كانت على وشك الصراخ.

أندفع نحوها. ذراعي تتحرك بسرعة، والمطرقة ترشق في جبينها. هناك صوت مريع ودم يتدفق بشكل مفزع. لا شيء يصدر عن فمها سوى شهقة هواء. بدأت تهوي على الأرض وهي ترفع يديها باتجاهي، وكأنها تلتمس الرحمة. أو ربما تحاول الوصول إلى المطرقة.

تترنح، مثل ثور على وشك السقوط. أهوي بالمطرقة مرة أخرى، فوق قمة رأسها هذه المرة، وثمة مزيد من القوة هذه المرة لأن رأسها أكثر انخفاضًا. لديَّ قوة دفع أكبر في ضربتي، وأريد أن أقضي عليها. تجثو على ركبتيها الآن، وتزحف، ولا يمكنني رؤية وجهها. تسقط إلى الأمام، ووجهها لأسفل، وتنطرح أرضًا دون حراك.

أقف فوقها، أتنفس بصعوبة، المطرقة في يدي تقطر دمًا فوق الأرضية.

أريد أن أتأكد من موتها، لذلك أجهز عليها بعدة ضربات أخرى. ذراعي متعبة الآن، ونفَسي ثقيل. المطرقة ملطخة بالدم المتخثر، وملابسي مخططة بالدماء. أنحني وأقلبها. إحدى العينين مهشمة. الأخرى لا تزال مفتوحة، لكن بلا حياة.

الاثنين ٢ أكتوبر

«أيلسفورد» ـ مدينة تقع بوادي «هدسون» في نيويورك ـ مكان يمتلك كثيرًا من مقومات السحر، وأبرزها قلب المدينة التاريخي على ضفاف نهر «هدسون» وجسران مهيبان يخطفان العين. يشتهر وادي «هدسون» بجماله الطبيعي، وعبر النهر، يمكن لمسيرة ساعة بالسيارة ـ على طرق سريعة جيدة في الغالب ـ أن تأخذك إلى عمق جبال «كاتسكيل»، التي تتوزع عليها مدن صغيرة. في محطة قطارات

«أيلسفورد» موقف سيارات فسيح، وقطارات متواترة إلى قلب مدينة نيويورك، فيمكنك الوصول إلى «مانهاتن» في أقل من ساعتين. باختصار، هي مكان ملائم للمعيشة. ثمة بعض المشكلات، بالطبع، مثلما هي الحال في كل مكان.

يدخل «روبرت بيرس» مركز شرطة «أيلسفورد» ـ مبنى جديد وعصري من الطوب والزجاج ـ ويقترب من مكتب الاستقبال. الضابط ذو الزي الرسمي، الذي يجلس على المكتب، يكتب شيئًا على الحاسوب، رمقه بنظرة سريعة، رافعًا يده في إشارة بأنه سيكون معه خلال لحظة.

ماذا كان الزوج العادي سيقول؟ ينظف «روبرت» حنجرته.

يتحول انتباه الضابط إليه.

ـ حسنًا، أمهلني دقيقة.

ينتهي من إدخال شيء على الحاسوب بينما «روبرت» ينتظر. أخيرًا يستدير إليه الضابط. يسأل:

ـ كيف يمكنني المساعدة؟

ـ أود الإبلاغ عن شخص مفقود.

يعطي الضابط كامل اهتمامه الآن لـ«روبرت».

ـ من المفقود؟

ـ زوجتي، «أماندا بيرس».

ـ ما هو اسمك؟

ـ «روبرت بيرس».

ـ متى رأيت زوجتك آخر مرة؟

ـ صباح الجمعة، حين غادرتْ إلى العمل.

ينظف حنجرته مرة أخرى.

ـ كانت ستغادر مباشرة من المكتب مع صديقة لها، من أجل تمضية عطلة نهاية الأسبوع. تركتْ العمل كما هو مخطط، لكنها لم تعد إلى المنزل الليلة الماضية. الآن هو صباح الاثنين، ولم تعد إلى المنزل بعد.

ينظر إليه الضابط نظرة متفحصة. يحمر وجه «روبرت» بفعل نظرات الرجل. إنه يدرك الموقف، لكن يجب ألا يدع ذلك يزعجه. يحتاج إلى فعل ذلك. يحتاج إلى الإبلاغ عن أن زوجته مفقودة.

ـ هل حاولت الاتصال بها؟

ينظر إليه «روبرت» مستنكرًا. لسان حاله يقول: هل تعتقد أنني غبي؟ لكنه لا يقول ذلك، بل يقول وهو يبدو محبطًا:

ـ بالطبع حاولت الاتصال بها. عدة مرات. ولكن هاتفها الخلوي يحولني إلى البريد الصوتي، وهي لا تعاود الاتصال بي. لا بد أنها أغلقته.

ـ ماذا عن الصديقة؟

يعترف «روبرت»:

ـ حسنًا، هذا هو سبب قلقي.

يتوقف في عدم ارتياح. ينتظره الضابط حتى يكمل.

ـ اتصلتُ بصديقتها، «كارولين لو» و... قالت إنهما لم تخططا لقضاء عطلة هذا الأسبوع. إنها لا تعرف أين «أماندا».

يسود صمت بينهما، ثم يقول الضابط:

ـ فهمت.

ينظر إلى «روبرت» بحذر، أو كما لو أنه يشعر بالأسى من أجله. وهذا لا يعجب «روبرت».

يسأل الضابط:

ـ ماذا أخذت معها؟ حقيبة سفر؟ جواز سفرها؟

ـ أعدت نفسها من أجل عطلة نهاية الأسبوع، أجل. حزمتْ حقيبة مبيت. وكذلك حقيبة يدها. أنا... أنا لا أعلم إن كانت قد أخذت جواز سفرها.

ويضيف:

ـ قالت إنها ستركن سيارتها في المحطة وتستقل القطار إلى «مانهاتن» من أجل التسوق في عطلة نهاية الأسبوع مع «كارولين».

لكن أول شيء فعلتُه هذا الصباح هو أنني تجولت في موقف السيارات، ولم أجد سيارتها هناك.

يقول الضابط: ـ لا أقصد أن أكون متبلد الإحساس، لكن... هل أنت متأكد من أنها لا تعاشر شخصًا آخر؟ وتكذب عليك بشأن هذا الأمر؟

ويضيف بلطف:

ـ أعني، إن كانت كذبت عليك بشأن رحلتها مع صديقتها... فربما تكون غير مفقودة فعليًّا.

يقول «روبرت»:

ـ لا أعتقد أنها كانت لتفعل ذلك. كانت ستخبرني. لم تكن لتحجب عني معلومة مثل هذه.

يعلم أنه يبدو عنيدًا. يقول بإصرار:

ـ أرغب في الإبلاغ عن أنها مفقودة.

يسأل الضابط:

ـ هل كانت هناك مشكلات بينكما؟ هل كان زواجكما على ما يرام؟

ـ كان الوضع جيدًا.

ـ هل لديكما أطفال؟

ـ كلَّا.

يقول الضابط على مضض:

ـ حسنًا. دعني أُدون بياناتك، ووصفًا لها، وسنرى ما يمكننا عمله. لكن صدقًا، يبدو الأمر وكأنها غادرت بإرادتها. ومحتمل أن تظهر بعد فترة. فدائمًا ما يرحل الأشخاص. ستتفاجأ.

ينظر «روبرت» إلى الضابط ببرود.

ـ ألن تبحثوا عنها، على الأقل؟

ـ هل يمكن أن تعطيني عنوانك، رجاء؟ ❝

❞

السبت ١٤ أكتوبر

تجلس «أوليفيا شارب» في مطبخها تشرب قدحًا من القهوة، تحدق عبر الباب الزجاجي في الباحة الخلفية. إنه منتصف أكتوبر، وشجر القيقب بجوار السياج الخلفي يبدو بديعًا بألوانه ما بين درجات الأحمر والبرتقالي والأصفر. ما زالت الحشائش خضراء، لكن باقي الحديقة قد أُعد لفصل الشتاء، وهي تفكر، لم يتبقَّ كثير من الوقت على أول هبوط للجليد. لكنها الآن، تستمتع بضوء الشمس الأصفر المتسرب من الباحة الخلفية والمنحدر عبر مطبخها النظيف. أو أنها تحاول ذلك. من الصعب أن تستمتع بأي شيء والغيظ يتصاعد ببطء في داخلها.

لم يستيقظ ابنها «رالي» بعد. أجل، إنه يوم السبت، وكان في المدرسة طوال الأسبوع، لكنها الساعة الثانية ظهرًا، ونومه إلى الآن يدفعها إلى الجنون.

تضع قهوتها ومرة أخرى تصعد، متعبة، السلالم المغطاة بالسجاد إلى الطابق الثاني. تتردد خارج باب غرفة النوم الخاصة بابنها، تُذكر نفسها بألا تصيح، ثم تدق الباب برفق وتفتحه. مثلما توقعت، يبدو أنه نائم. لا تزال بطانيته فوق رأسه... حيث سحبها فوق رأسه في آخر مرة جاءت إليه، منذ نصف ساعة. تعرف أنه يكره أن تطلب

منه الاستيقاظ، لكنه لا يستيقظ من تلقاء نفسه، وماذا يفترض أن تفعل، أتتركه ينام طوال اليوم؟ إنها تحب أن تتركه يسترخي قليلًا في عطلات نهاية الأسبوع، لكن بحق المسيح، إنه منتصف النهار.

ـ استيقظ يا «رالي». الساعة تخطت الثانية.

إنها تكره الحدة التي تسمعها في صوتها، لكنها تستنفد قدرًا كبيرًا من الطاقة محاوِلة إخراج هذا الصبي من الفراش كل يوم، من الصعب ألا تستاء من ذلك.

إنه نائم لا يحرك ساكنًا. تقف هناك تنظر إليه، تشعر بخليط معقد من الحب والإحباط. فهو ولد صالح. تلميذ ذكي لكنه يفتقر إلى الدافع. جدير بالحب تمامًا. إنما كسول فحسب... إنه لا ينهض من فراشه من تلقاء نفسه فقط، لكنه لا يؤدي واجبه المنزلي أيضًا، ولا يساعد في الأعمال المنزلية دون تذمر لا ينتهي. يخبرها أنه يكره تذمرها. حسنًا، هي تكره تذمرها أيضًا. تخبره أنه إذا كان قد فعل ما طلبته في المرة الأولى، فلن تضطر إلى تكرار كلامها، لكن يبدو أنه لم يفهم. إنها تُرجِع الأمر إلى كونه في السادسة عشرة من عمره. فتيان السادسة عشرة مرهِقون. تأمل أنه ببلوغه سن الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة، ستصبح قشرة الفص الجبهي لديه أكثر تطورًا، وستتحسن الوظائف التنفيذية لدماغه وسيبدأ في تحمل المسؤولية بشكل أكبر.

ـ هيا يا «رالي» استيقظ.

ما زال لا يتحرك، لا يدرك وجودها، ولا حتى بنخير. ترى هاتفه الخلوي موضوعًا وجهه لأعلى فوق الطاولة بجانب سريره. إذا لم يستيقظ، حسنًا، ستصادر هاتفه الخلوي. تتخيل يده تحوم بالأرجاء، تصل إلى الهاتف قبل حتى أن ينزع الأغطية من فوق رأسه. تنتزع الهاتف وتغادر الغرفة، تغلق الباب خلفها. سوف يستشيط غضبًا، لكنها هي أيضًا ثائرة.

تعود إلى المطبخ وتضع هاتفه فوق طاولة المطبخ. يطلق أزيزًا. ظهرت رسالة نصية. لم تتطفل قَطُّ على هاتف ابنها أو حاسوبه. إنها لا تعرف كلمات المرور الخاصة به. وهي تثق به تمامًا. ولكن هذه الرسالة موجودة أمامها الآن، وهي تنظر إليها.

هل اقتحمت الليلة الماضية؟

تتجمد مكانها. ماذا يعني ذلك بحق الجحيم؟

أزيز آخر.

هل حصلت على أي شيء جيد؟

تتقلص معدتها.

راسلني عندما تستيقظ

تلتقط الهاتف وتحدق به، منتظرة رسالة أخرى، لكن لا شيء يصدر عنه. تحاول فتح هاتفه، لكن، لا بد أنه محمي بكلمة مرور.

كان ابنها بالخارج الليلة الماضية. قال إنه سيذهب لمشاهدة فيلم مع صديق. لم يقُل من هو.

تسأل نفسها ماذا بوسعها أن تفعل. هل يجب عليها أن تنتظر حتى يعود أبوه من متجر المعدات المعدنية؟ أم عليها مواجهة ابنها أولًا؟ تشعر بانزعاج شديد. هل من الممكن أن يفعل «رالي» أعمالًا سيئة؟ لا تستطيع أن تصدق. إنه كسول، لكنه ليس من نوع الأولاد الذين يتورطون في مشكلات. إنه لم يقع في أي مشكلة من قبل. لديه منزل جيد وحياة مريحة وأبوان يحبانه. من المستحيل أن...

إذا كان هذا ما يبدو عليه الأمر، فسيغضب أبوه بشدة، أيضًا. ربما الأفضل أن تتكلم مع «رالي» أولًا.

تصعد السلالم، فجأة تنحَّت جانبًا مشاعر الحب والإحباط السابقة وحل محلها خليط أكثر تعقيدًا من الغضب والخوف. تتسلل إلى غرفته وهاتفه في قبضتها وتجذب الأغطية بشدة من فوق رأسه. يفتح عينيه بشكل أعمش، يبدو غاضبًا، مثل الدب الموقَظ. لكنها غاضبة، أيضًا. تمسك بهاتفه الخلوي على مرأى منه.

ـ ماذا كنت تفعل الليلة الماضية يا «رالي»؟ ولا تقُل إنك كنت في السينما، لأنني لا أصدق ذلك. من الأفضل لك أن تخبرني بكل شيء قبل أن يعود أبوك إلى المنزل.

قلبها يخفق بشدة من القلق. ماذا فعل؟

ينظر «رالي» إلى أمه. تقف بجانبه حاملة هاتفه في يدها. ماذا تفعل بهاتفه الخلوي بحق الجحيم؟ عن ماذا تثرثر؟ إنه متضايق، لكنه لا يزال نصف نائم. هو لا يستيقظ بهذه البساطة، إنها حالة تكيف لا يجيدها.

يتمكن من قول:

ـ ماذا؟
غضب منها بسبب اقتحامها الغرفة وهو نائم. دائمًا ما تحاول إيقاظه. دائمًا تريد أن يمشي الجميع وفق جدولها. كل منا يعرف أن

أمه مهووسة بالسيطرة قليلًا. ينبغي لها تعلُّم أن تهدئ أعصابها. لكن يبدو أنها جن جنونها الآن. هي عابسة في وجهه بطريقة لم يشهدها من قبل. يتساءل فجأة كم يكون الوقت. يستدير لكي ينظر في ساعة الراديو الخاصة به. إنها الثانية وخمسون دقيقة. وإن يكن. لم يمت أحد.

تسأل، وهي تخفي هاتفه كأنه تهمة:

ـ ماذا كنت تدبر بحق الجحيم؟

يبدو أن قلبه ينبض بقوة، وهو يحبس أنفاسه. ماذا تعرف؟ هل تفقدت هاتفه؟ لكن بعد ذلك يتذكر أنها لا تعرف كود المرور، وبدأ يتنفس مرة أخرى.

تقول أمه:

ـ تصادف أنني كنت ألقي نظرة على هاتفك بينما وصلت رسالة نصية.

يكافح «رالي» من أجل الاعتدال، لا يستطيع أن يفكر. اللعنة. ماذا رأت؟

تقول وهي تلقي بالهاتف إليه:

ـ ألقِ نظرة.

يتصفح الهاتف بإبهامه ويرى الرسائل المُدينة القادمة من «مارك». يجلس هناك يحدق بالرسائل، ويتساءل كيف سيجعل الأمر يبدو أقل سوءًا. إنه يخشى أن تلتقي عيناه بعينَي أمه.

تقول:

ـ «رالي»، انظر إليَّ.

دائمًا تقول ذلك حينما تكون في شدة الغضب. يتطلع إليها ببطء. إنه الآن في كامل يقظته.

ـ ماذا تعني هذه الرسائل؟

يرد بغباء، متلاعبًا من أجل كسب الوقت.

ـ أي رسائل؟

لكنه يعلم أنه انكشف. الرسائل واضحة وضوح الشمس. كيف يكون «مارك» بهذا الغباء؟ يعيد النظر في الهاتف، فهذا أسهل من النظر في وجه أمه.

هل اقتحمت الليلة الماضية؟ هل حصلت على أي شيء جيد؟

يبدأ الدخول في حالة ذعر. لا يستطيع عقله التوصل إلى أي شيء بسرعة كافية لإرضاء أمه. كل ما يستطيع التفكير به هو محاولة يائسة.

ـ الأمر ليس كما يبدو عليه!

تقول أمه بأكثر نبرة ساخرة لها:

ـ آه، يسرني سماع ذلك. لأن الأمر يبدو وكأنك كنت تخطط لشيء من قبيل الاقتحام والسرقة!

يرى ثغرة.

ـ ليس الأمر هكذا. لم أكن أسرق.

ترمقه بنظرة غاضبة وتقول:

ـ من الأفضل أن تخبرني بكل شيء يا «رالي». من دون كذب.

يعرف أنه لا يمكنه الخروج من هذا الأمر بإنكاره. لقد قُبِضَ عليه كالفأر في المصيدة، وكل ما يستطيع فعله الآن هو تقليل الضرر. يتمتم بقول:

ـ تسللت بالفعل إلى منزل أحدهم، لكنني لم أكن أسرق. كان الأمر أشبه... باستكشاف للمكان.

تقول أمه، مذهولة:

ـ هل بالفعل اقتحمت منزل أحدهم الليلة الماضية؟ لا أستطيع أن أصدق هذا! «رالي»، بماذا كنت تفكر؟

تدرك أنه لا جدوى من الأمر.

ـ بحق السماء، ما الذي يدفعك إلى فعل ذلك؟

يجلس فوق سريره، صامتًا، لأنه لا يعرف كيف يشرح الأمر. فهو يقوم بذلك لما فيه من متعة وإثارة. يحب أن يدخل بيوت الآخرين

ويخترق حواسيبهم. إنه لا يتجرأ أن يخبرها بذلك. يجب أن تكون سعيدة لأنه لا يتعاطى المخدرات.

تسأله الآن:

ـ منزل مَن؟

عقله يفكر. يستغرق عقله في التفكير. لا يستطيع الإجابة. إذا أخبرها من صاحب المنزل الذي دخله الليلة الماضية، فستفقد رباطة جأشها. لا يمكنه التفكير في العواقب المحتملة.

يرد كذبًا:

ـ لا أعرف.

ـ حسنًا، أين يقع؟

ـ لا أستطيع أن أتذكر. ما الفرق الذي يحدثه ذلك؟ لم آخُذ أي شيء! لن يعرفوا حتى أنني كنت هناك.

تميل بوجهها نحوه وتقول:

ـ آه، فليعرفوا إذن.

ينظر إليها بخوف.

ـ ماذا تقصدين؟

ـ سترتدي ملابسك، وبعد ذلك تأخذني إلى المنزل الذي اقتحمته، وبعدها تطرق الباب وتعتذر.

يقول بيأس:

ـ لا يمكنني.

ترد قائلة:

ـ بل يمكنك، وسوف تفعل. سواء كنت ترغب في ذلك أم لا.

يتصبب عرقًا.

ـ أمي، لا أستطيع. من فضلك لا تجعليني أفعل.

تنظر إليه بدهاء. وتسأل:

ـ ما الذي تخفيه عني أيضًا؟

لكن في هذه اللحظة، يسمع الباب الأمامي يُفتح وأبوه يصفر وهو يضع مفاتيحه فوق الطاولة في البهو. يبدأ قلب «رالي» يدق بسرعة، ويشعر ببعض الاضطراب. بالنسبة إلى أمه يمكنه معالجة الموقف معها، لكن أباه... لا يمكنه التفكير في رد الفعل المحتمل لأبيه. لم يتوقع هذا، لم يفكر قَطُّ أنه سينكشف. تبًّا لـ«مارك».

تأمر أمه، وهي ترفع باقي الأغطية من فوقه:

ـ سنتحدث إلى أبيك.

بينما يتخذ طريقه هابطًا السلالم مرتديًا بيجامته، يتصبب عرقًا. وعندما يدخلان المطبخ، يتطلع أبوه باندهاش. يمكنه الفهم بوضوح من تعبيراتهما أنه ثمة خطب ما.

يتوقف الصفير فجأة. ويسأل أبوه:

ـ ماذا يجري؟

تجيب أمه وهي تسحب أحد مقاعد طاولة المطبخ:

ـ ربما يُستحسن أن نجلس جميعًا. لدى «رالي» ما يخبرك به، وهو أمر لن يعجبك.

جلسوا جميعهم. يزعج صوت احتكاك المقاعد بالأرضية «رالي» مثل الأظافر على السبورة.

يجب أن يعترف. هو يعرف ذلك. لكن لا يجب أن يخبرهما بكل شيء. هو أكثر يقظة الآن، قادر على التفكير بشكل أفضل. يبدأ بالحديث:

ـ أنا آسف حقًّا يا أبي، وأعرف أنه كان خطأ.
صوته يرتجف، ويعتقد أن هذه بداية جيدة. لكن جبهة أبيه اكفهرت بالفعل، و«رالي» خائف. إنه مرتبك.

يسأل أبوه:

ـ ماذا فعلت بحق الجحيم يا «رالي»؟

يحدق في أبيه بالمقابل، لكن الكلمات لا تأتي. للحظة، شعر بأنه مشلول بالكامل.

أخيرًا تقول أمه:

ـ اقتحم منزل أحدهم.

ـ ماذا؟

لا مجال للشك في وجود الصدمة والانفعال في صوت أبيه. سرعان ما أدار «رالي» عينيه ونظر في الأرض. يقول:

ـ لم أقتحم. أنا تسللت.

يسأل أبوه:

ـ ما الذي حملك، بحق الجحيم، على فعل ذلك؟

يهز «رالي» كتفيه، لكن لا يجيب. ما زال يحدق في الأرض.

ـ متى؟

تنخزه أمه بيدها في كتفه.

ـ «رالي»؟

يرفع رأسه أخيرًا وينظر إلى أبيه.

ـ الليلة الماضية.

يلتفت أبوه إليه، وفمه مفتوح.

ـ تعني، بينما كنا نستضيف أصدقاء على العشاء، ومن المفترض أنك في السينما، كنت فعليًّا تتسلل إلى منزل أحد آخر؟

يزداد صوت أبيه ارتفاعًا وها هو ـ بنهاية الجملة ـ يصيح. ساد الصمت، لحظة. يتردد الهواء بتوتر.

ـ هل كنت بمفردك، أم كنت بصحبة شخص آخر؟

يتمتم:

ـ بمفردي.

ـ إذن لا نستطيع حتى أن نعزي أنفسنا بفكرة أن شخصًا آخر قادك إلى هذا السلوك الإجرامي، غير المقبول بالمرة؟

يريد «رالي» أن يضع يديه فوق أذنيه حتى يحجب صياح أبيه، لكنه يعرف أن هذا من شأنه أن يؤجج ثورة أبيه. هو يعرف أن ارتكابه للأمر منفردًا يبدو أسوأ.

ـ منزل مَن؟

ـ لا أعرف.

ـ إذن ماذا حدث؟

يرمق أبوه أمه بنظرة، ثم يعيد النظر إليه.

ـ هل قُبض عليك؟

يهز «رالي» رأسه، وتقول أمه:

ـ كلَّا، رأيت رسالة نصية على هاتفه الخلوي. «رالي»، اعرض رسائلك النصية على أبيك.

يفتح «رالي» هاتفه ويناوله إلى أبيه، وينظر أبوه ذاهلًا إلى الشاشة.

ـ يا إلهي، «رالي»! كيف تجرؤ؟ هل فعلت ذلك من قبل؟

هذا هو تفكير أبيه... فهو يعرف الأسئلة التي يمكن أن يطرحها. الأشياء التي لم تفكر أمه ـ وهي تحت تأثير الصدمة ـ أن تسأل عنها. ارتكب «رالي» هذا الفعل من قبل، بضع مرات. يكذب، متجنبًا النظر في عينَي أبيه:

ـ مرة واحدة فقط قبل ذلك.

ـ إذن اقتحمت منزلين.

يومئ برأسه.

ـ هل هناك من يعرف؟

يهز «رالي» رأسه.

ـ بالطبع لا.

يكرر أبوه بسخرية:

ـ بالطبع لا.

إن سخرية أبيه أسوأ من سخرية أمه.

ـ صديقك يعرف. من هو؟

ـ «مارك». من المدرسة.

ـ هل من أحد غيره؟

يهز «رالي» رأسه على مضض.

ـ هل هناك أي احتمال للقبض عليك؟ كاميرات مراقبة؟

يهز «رالي» رأسه مرة أخرى، ويتطلع لأبيه.

ـ لم يكن هناك أي كاميرات مراقبة. لقد تفقدت.

ـ يا إلهي، لا أستطيع أن أصدقك. هل يُفترض أن يُريحني ذلك؟

يقول «رالي» بشكل دفاعي:

ـ إنهم لا يعرفون حتى أنني كنت هناك. كنت حذرًا للغاية. أخبرت أمي أنني... لم آخذ أي شيء. لم أتسبب في أي ضرر.

يسأل أبوه:

ـ ماذا كنت تفعل هناك إذن؟

ـ لا أعرف. أظنه، مجرد استكشاف للمكان.

يكرر أبوه:

ـ أظنه، مجرد استكشاف للمكان.

هذا جعل «رالي» يشعر وكأنه في قرابة السادسة من عمره.

ـ ما الذي كنت تبحث عنه؟ ملابس داخلية نسائية؟

يصيح «رالي»:

ـ كلَّا!

تعلوه حمرة شديدة من الإحراج. فهو ليس بمنحرف جنسيًّا.

يتمتم:

ـ كنت أنظر غالبًا في حواسيبهم.

يصيح أبوه:

ـ يا إلهي. هل اخترقت حواسيب الآخرين؟

يومئ «رالي» ببؤس.

يدفع أبوه الطاولة بعنف وينهض. يبدأ بالمشي جيئة وذهابًا في المطبخ، وهو يصرخ مرة أخرى في «رالي».

ـ ألا يستخدم الناس كلمات المرور؟

يقول، بصوت مرتعش:

ـ أحيانًا أتمكن من تخطيها.

ـ وماذا فعلت، عندما كنت تتفقد حواسيب الآخرين الخاصة؟

ـ حسنًا...

وتتدفق الكلمات تباعًا. يشعر بأن فمه يلتوي ويحاول ألا يبكي.

ـ كل ما فعلته هو كتابة بعض رسائل البريد الإلكتروني على سبيل المقلب من... من حساب أحدهم.

❝ ومن ثم، انفجر في البكاء على نحو غير معهود.
❞ ٢

«أوليفيا» تحتوي الموقف. «بول» أشد غضبًا من أي مرة رأته فيها. هذا يبدو منطقيًّا. لم يفعل «رالي» من قبل أي شيء غير منطقي مثل هذا. إنها تعرف أن جزءًا كبيرًا من الغضب سببه الخوف. هل فقدا السيطرة على ابنهما ذي الستة عشر عامًا؟ لماذا فعل هذا؟ إنه لا ينقصه أي شيء. فهما ربيا «رالي» على أن يعرف الصواب من الخطأ. إذن فماذا يجري؟

تشاهده، منتحبًا ببؤس في مقعده، أبوه يحدق فيه في صمت كما لو أنه يقرر ماذا يفعل، ما هو العقاب المناسب.

تسأل نفسها، ما هو الشيء المهذب اللائق الواجب عمله؟ ما الذي يمكن أن يساعد «رالي» في أن يتعلم من هذا؟ ما الذي يخفف إحساسها بالذنب؟ تخوض في الحديث بحرص:

ـ أعتقد أن «رالي» عليه الذهاب إلى هؤلاء الأشخاص والاعتذار لهم.

يهاجمها «بول» بغضب:

ـ ماذا؟ تريدين منه أن يعتذر؟

لجزء من الثانية تستاء لأنه حول غضبه إليها، لكنها تتجاوز الموقف.

ـ لا أعني أن هذا كل شيء. بالتأكيد، لا بد أن يواجه عواقب سلوكه. عواقب وخيمة جدًّا. على الأقل يجب أن يُعاقب إن لم نستطع أن نثق به. ويجب أن نأخذ منه هاتفه لبعض الوقت. ونجعل وقته على الإنترنت مقتصرًا على الواجبات المنزلية فقط.

ينظر «رالي» إليها، مذعورًا، كما لو أن هذه عقوبة شديدة الصرامة. تفكر، إنه لم يدرك الأمر حقًّا. لم يدرك فداحة ما فعله. تشعر برعشة مستقرة حول قلبها. كيف يُفترض بك أن تُعلم الأطفال أي شيء هذه الأيام، مع كل السلوكيات السيئة التي يرونها من حولهم، في نشرات الأخبار ـ طول الوقت ـ من أشخاص في مواقع مسؤولية؟ يبدو أنه لم يعد أي شخص يتصرف جيدًا أو لديه أي تقدير للحدود. هذه ليست الطريقة التي نشأتْ بها. تعلمتْ أن تقول آسفة، وأن تكفر عن أخطائها.

يقول «بول» بحزم:

ـ لا يمكنه أن يعتذر.

تسأل:

ـ لم لا؟

ـ اقتحم منازل الآخرين. اخترق حواسيبهم. خالف القانون. لو يعتذر، فسيُعرض نفسه للتهم الجنائية. هل تريدين ذلك؟

يسيطر الخوف على قلبها. تقول بشكل قاطع:

ـ لا أدري. ربما هذا ما يستحقه.

لكن هذا تظاهر بالشجاعة، حتمًا. فزعت من فكرة أن يواجه ابنها تهمًا إجرامية، وقطعًا انتاب زوجها الشعور نفسه أيضًا. تدرك فجأة أنهما سيفعلان أي شيء لحمايته.

يقول «بول»:

ـ أعتقد من الأفضل أن نستشير محاميًا. تحسبًا.

* * *

صباح اليوم التالي، الأحد، يبدو «رالي» نائمًا عندما تدخل أمه الغرفة وتهزه من الكتف.

تقول:

ـ استيقظ، الآن.

ويستيقظ. إنه يسلك سلوكًا مثاليًّا. فهو يرغب في استرداد هاتفه والوصول إلى الإنترنت. وهو مرعوب من الذهاب إلى المحامي، الأمر الذي سيجبره أبوه على فعله. الليلة الماضية على مأدبة العشاء، تحدث أبوه عن أنه ربما من الأفضل، على المدى الطويل، أن يواجه «رالي» اتهامات ويتعرض للآثار القانونية. لم يُرد أبوه حقًّا أن يُعرضه لذلك. بل يعتقد أنه حاول إخافته فقط. وفلح الأمر. «رالي» في حالة ذعر.

ما إن ارتدى ملابسه وهبط السلالم، تخبره أمه:

ـ سنركب السيارة، وسترشدني إلى المنزلين اللذين اقتحمتهما.

التفت إليها بحذر.

ـ لماذا؟

تقول:

ـ لأنني قلت ذلك.

يسأل بشكل عصبي:

ـ أين أبي؟

ـ ذهب للعب الجولف.

يركبان سيارتها. لم تدعه حتى يتناول إفطاره أولًا. يجلس في مقعد الراكب بجوارها، معدته تتقلص وقلبه يرتجف. ربما تحدث أبواه، بعدما ذهب للنوم، وقررا أن عليه الاعتذار بعد كل شيء.

تقول:

ـ أي طريق؟

يتجمد عقله. يمكنه أن يشعر بنفسه يبدأ في التعرق. سيريها منزلين من المنازل التي اقتحمها لكي تتوقف عن ملاحقته بالسؤال. وبالتأكيد لن يخبرها بالحقيقة عن مكان وجوده الليلة الماضية.

يشعر بالتوتر بينما تتراجع أمه خارجة من الطريق وتقود إلى شارع «سبارو». تظهر الأشجار بلونها الذهبي اللامع والبرتقالي والأحمر، وكل شيء يبدو مثلما كان عليه وهو صغير عندما جمع له أبواه أوراق الشجر في كومة كبيرة على العشب ليقفز فيها. عند الزاوية، يرشدها لأن تتجه نحو اليسار، ثم تستدير يسارًا مرة أخرى إلى شارع «فينش»، الشارع السكني الطويل الذي يجاور شارعهما ويوازيه.

تقود أمه ببطء على طول شارع «فينش» حتى يشير إلى منزل. رقم ٣٢، منزل جميل من طابقين مطلي باللون الرمادي الفاتح مع مصاريع زرقاء وباب أمامي أحمر. تقف بجانب الرصيف والحدائق، تحدق في المنزل وكأنها تتذكره. اليوم مشمس والجو دافئ داخل السيارة. قلب «رالي» يدق الآن بشدة أكبر والعرق يتجمع على جبهته وبين ألواح كتفيه. نسي شعوره بالجوع تمامًا، ولا يشعر الآن إلا بالاضطراب.

تسأل:

ـ هل أنت متأكد من أن هذا هو المنزل؟

يومئ برأسه، وهو يدير عينيه بعيدًا عنها. تستمر في التحديق في المنزل. لحظة رهيبة عندما يفكر في أنها ستخرج من السيارة، لكن اللحظة تمر. إنها فقط تجلس هناك. بدأ يشعر بأنه لافت للانتباه. ماذا لو خرج أصحاب المنزل؟ هل هذا ما تنتظره؟

تسأل:

ـ متى اقتحمت هذا المنزل؟

يغمغم:

ـ لا أدري. منذ فترة وجيزة.
تشيح بوجهها عنه وتتأمل في المنزل لمزيد من الوقت.

أخيرًا يسأل:

ـ ماذا نفعل هنا يا أمي؟

لا تجيب. تدير محرك السيارة مرة أخرى ويشعر بالضعف مع الارتياح.

تسأل:

ـ أين المنزل الآخر؟

يوجهها لأن تستدير يسارًا مرة أخرى في نهاية الشارع، ومرة أخرى إلى اليسار، حتى عادا إلى شارعهما.

تنظر إليه.

ـ حقًّا، هل اقتحمت منزل جيراننا؟ لم نكن نحتاج إلى السيارة، أليس كذلك؟

لم يجب. يشير، في صمت، إلى منزل رقم ٧٩، منزل أبيض من طابقين بنافذة بارزة في الواجهة، ومصاريع سوداء، ومرآب مزدوج.

مرة أخرى، تشيح بوجهها عنه وتحدق في المنزل بشكل مضطرب.

ـ هل أنت متأكد من أن هذا المنزل هو الذي اقتحمته الليلة الماضية يا «رالي»؟

يختلس النظر إليها، متسائلًا ما الذي تحاول الوصول إليه. ما هو الشيء المميز في هذا المنزل؟

تقول، وكأنها تقرأ أفكاره:

ـ هربت زوجته منه مؤخرًا.

هذا ليس خطئي، يفكر «رالي» بعبوس، يتمنى لو أنه أخذها إلى منزل آخر.

تدير أمه محرك السيارة مرة أخرى وتغادر مبتعدة إلى الشارع.

تقول، وهي تستدير نحوه:

ـ هل أنت متأكد من أنك لم تأخذ شيئًا يا «رالي»؟ هل كان الأمر مجرد مقلب؟ أخبرني الحقيقة.

يمكنه رؤية مدى قلقها، ويشعر بالذعر لأنه جعلها تشعر بذلك.

ـ أقسم لك يا أمي. لم آخذ أي شيء.

على الأقل هذه هي الحقيقة. يشعر بالسوء لما جعل أبويه يمران به، خاصة أمه.

بالأمس، وعد أبويه بألا يفعل ذلك مرة أخرى أبدًا، وهو يعني ذلك.

* * *

تقود «أوليفيا» مجتازة الطريق القصير إلى المنزل في صمت، وتفكر في الأمر لتتخذ قرارًا. المنازل في هذه الشوارع الشهيرة مبنية منذ عقود. تقع على مسافات متباعدة وتبعد بقدر كافٍ عن الطريق، لذلك تكون مضاءة بشكل خافت من أضواء الشوارع في الليل، ويسهل اقتحامها من دون أن يرى أحد. لم تخطر هذه الفكرة على بالها من قبل قَطُّ. ربما ينبغي عليهم توفير نظام أمني. تدرك المفارقة، إنها تفكر في وضع نظام أمني بسبب أن ابنها قد اقتحم منازل جيرانهم.

الغد هو الاثنين. سيتصل «بول» بشركة محاماة يعرفها، ويحصل على ميعاد منهم من أجل التحدث مع أحدهم في الأمر. قضت جزءًا كبيرًا من ظهيرة اليوم السابق في تفتيش غرفة «رالي» تحت نظره، وهو مغلوب على أمره. لم تجد أي شيء لا يتعين وجوده هناك. ناقشت الأمر مع «بول» مرة أخرى، وهما في السرير، الليلة الماضية. وبالكاد نامت بعد ذلك.

الأبوة شيء مرهق جدًّا، تفكر، مسترقة النظر إلى ابنها متقلب المزاج المتراخي في المقعد بجانبها. تحاول أن تبذل قصارى جهدك، لكن حقًّا، أي سيطرة تملكها عليهم إذ لم يعودوا صغارًا؟ لا يكون لديك أي فكرة عما يدور في رؤوسهم، أو عما هم مقبلون عليه. ماذا لو لم ترَ هذه الرسالة النصية قَطُّ؟ إلى متى قد يستمر هذا... حتى يُقبض عليه ويأتي رجال الشرطة إلى البيت؟ اقتحم أماكن، تجسس على حياة الآخرين، وهم لا يعرفون شيئًا عن الأمر. لو اتهم أي شخص ابنها بمثل هذا الشيء، لم تكن لتُصدق قَطُّ. هذا هو مدى ضآلة معرفتها به هذه الأيام. لكنها رأت تلك الرسائل النصية بنفسها. وهو اعترف بالأمر. تتساءل باضطراب إن كان يخفي أسرارًا أخرى. تركن السيارة في طريقهما وتقول:

ـ «رالي»، هل هناك شيء آخر تريد إخباري به؟

يستدير نحوها، مندهشًا:

ـ ماذا؟

ـ سمعتني. هل هناك شيء آخر ينبغي أن أعرفه؟

تنظر إليه، مترددة، وتضيف:

ـ ليس من الضروري أن أخبر أباك.

من الواضح أنه تفاجأ بذلك، لكنه هز رأسه. هذا يجعلها تتساءل إن كان عليها أن تقول ذلك. من المفترض أن تمثل هي و«بول» جبهة واحدة. تقول في صوت لا يُظهر ما تفكر به ـ الأمر الذي يتطلب منها مجهودًا حقيقيًّا:

ـ أخبرني الحقيقة. هل تتعاطى المخدرات؟

يبتسم فعليًّا.

ـ كلَّا يا أمي، لا أتعاطى المخدرات. هذه هي الحقيقة، أقسم لك. ولن أقوم بذلك مرة أخرى. يمكنك أن تسترخي.

لكنها لا تستطيع الاسترخاء. لأنها أمه، وتقلق من اقتحامه لمنازل الآخرين ـ ليس بدافع الجشع، ولا من أجل السرقة، لكن من أجل «الاستكشاف» فقط ـ ربما يشير إلى أنه ثمة خطب به. أمر غريب، أليس كذلك؟ وتلك الرسائل الإلكترونية التي أرسلها من حساب البريد الإلكتروني لشخص آخر تقلقها. فهو لم يخبرها عن محتواها. وهي لم تجبره على ذلك لأنها غير متأكدة من أنها ترغب في المعرفة. كم هو مخطئ؟ هل ينبغي أن يذهب إلى معالج نفسي؟ بعض

الأطفال الذين تعرفهم يذهبون إلى معالجين، لكل أنواع المشكلات، القلق، الاكتئاب. في الفترة التي ترعرعت فيها، لم يذهب الأطفال إلى معالجين. لكننا في عصر مختلف.

عند دخولهما المنزل، تختلي بنفسها في غرفة المكتب بالطابق العلوي وتغلق الباب. تعرف أن «بول» لن يعود إلى المنزل من لعب الجولف قبل ساعات. تجلس على الحاسوب وتكتب خطابًا. خطاب اعتذار، لن توقع عليه. ليس من السهل كتابته.
بعد أن أصبحت راضية عنه، تطبع نسختين وتضعهما في مظروفين أبيضين بلا كتابة عليهما، تغلقهما، ثم تهبط السلالم وتضعهما في الجزء السفلي من حقيبة يدها. عليها أن تنتظر حتى حلول الظلام لكي تسلمهما. ستخرج في وقت متأخر لإنجاز مهمة في متجر الزاوية. بعد ذلك سوف تتسلل وتُسلم الخطابين. لن تخبر «بول» و«رالي» بما فعلته؛ فهي تعرف بالفعل أنهما لن يوافقا. لكن هذا يجعلها تشعر بأنها أفضل.

❝ بعد لحظة تفكير، تعود إلى الحاسوب وتمسح المستند.

❞

الوقت مبكر من صباح يوم الاثنين ١٦ أكتوبر، الضوء في السماء يزداد سطوعًا تدريجيًّا. الهواء منعش. يقف المحقق «ويب» في سكون تام، يشاهد الضباب يرتفع قبالة البحيرة، وهو يمسك كوبًا ورقيًّا من القهوة التي بردت منذ فترة طويلة. سطح البحيرة، على مسافة أبعد، ساكن تمامًا. يسمع طيرًا ينعق في الأفق. وهذا يُذكره بالتخييم عندما كان صبيًّا. هذا من شأنه أن يكون منظرًا جميلًا لولا وجود طاقم الغواصين ومختلف المركبات والمعدات والأفراد بالجوار.

إن المنطقة خارج «أيلسفورد» مكان جميل لقضاء إجازة. جاء لزيارتها من قبل مع زوجته. لكن هذا أول شيء في صباح يوم الاثنين، وهو ليس هنا لكي يمتع نفسه.

تسأل المحققة «موين»، وهي ترمقه بنظرة مريبة:

ـ أما زلت تحتسي هذه؟

إنها شريكته، أقصر منه قامة وأصغر منه بعشر سنين، في نهاية العشرينيات بينما هو في نهاية الثلاثينيات، وهي ذكية سريعة البديهة. إنه يحب العمل معها. لها شعر بني قصير وعينان زرقاوان ذواتا بصيرة. ينظر إليها ويهز رأسه، يسكب القهوة الباردة على الأرض.

رجل محلي متقاعد يحمل اسم «بريان روث» يمكث هنا في زورق التجديف الخاص به منذ بزوغ الشمس، لصيد سمك القاروص. ظن أنه رأى شيئًا أسفل زورقه، شيء يشبه سيارة، ليس بعيدًا عن الشاطئ. اتصل بالشرطة. خرج الفريق الإقليمي المعني بالبحث تحت الماء والاستعادة التابع لمكتب شريف المقاطعة. استطاعوا رؤية أن هناك سيارة بالأسفل، الآن هم بحاجة إلى معرفة ما قد يكون تحت المياه غير ذلك.

نزل الغواصون للتوِّ من أجل إلقاء نظرة. يقف «ويب» ويشاهد الماء، «موين» بجواره، في انتظار ظهور الغواصين. يريد أن يعرف إن كانت هناك جثة في السيارة. أو أسوأ من ذلك، أكثر من جثة. هناك احتمالات أنه يوجد. في تلك الأثناء، يفكر في تفاصيل الحادثة. هناك طريق خلفهم، طريق موحش. أيمكن أن تكون واقعة انتحار؟ السيارة ليست بعيدة عن الشاطئ، لكن المياه في هذه البقعة تحديدًا تصبح أعمق سريعًا. هناك منطقة الشاطئ، ومن ثم حافة البحيرة. يستدير وينظر للخلف مرة أخرى إلى الطريق خلفه. الطريق يتخذ منحنى هنا... لو أن شخصًا كان يقود بسرعة كبيرة، أو كان سكران أو تحت تأثير مخدر، هل يحتمل أن السيارة خرجت عن المنحنى وانزلقت على المنحدر الطفيف إلى الماء؟ لا يوجد حاجز أمان لمنع حدوث ذلك.

يتساءل منذ متى والسيارة هنا. فهذا مكان بعيد عن الطريق. قد تظل السيارة التي غاصت في المياه هنا من دون أن يلاحظها أحد لفترة طويلة.

يتحول انتباهه نحو الرجل الجالس على حافة الطريق. يلوح الرجل العجوز مرحبًا بعدم ارتياح.

يسير «ويب» و«موين» باتجاهه. يسأل «ويب»:

ـ أنت الشخص الذي حدد مكانها؟

يومئ الرجل:

ـ أجل. أنا «بريان روث».

يقول، وهو يُظهر شارته للرجل:

ـ أنا المحقق «ويب» وهذه المحققة «موين» من شرطة «أيلسفورد».

يسأل «ويب»:

ـ هل تصطاد هنا بانتظام؟

يهز الرجل رأسه.

ـ كلَّا، لا آتي إلى هنا عامة. لم أصطَد قَطُّ في هذا الجزء من قبل. كنت أطفو هنا فقط (يشير إلى الماء بإصبعه) بجهاز الصيد خاصتي في الماء، وشعرت بإعاقته. انحنيت لألقي نظرة وبدأت بسحبه، ورأيت السيارة.

تسأل «موين»:

ـ جيد أنك أبلغت عن الأمر.

يومئ الرجل، ويضحك بعدم ارتياح.

ـ هذا أفزعني حقًّا. المرء لا يتوقع رؤية سيارة أسفل الماء.

ينظر إليهما باضطراب.

ـ هل تعتقدان أن بها أحدًا ما؟

يقول «ويب»:

ـ هذا ما نحن هنا لاكتشافه.

يشيح بوجهه بعيدًا عن الرجل وينظر للخلف إلى البحيرة. في تلك اللحظة يخترق أحد الغواصين السطح وينظر باتجاه الشاطئ. يهز رأسه بقوة، نافيًا.

يقول «ويب»:

ـ هذه هي إجابة سؤالك.

لكن لم تكن هذه الإجابة هي التي يتوقعها. إذا لم يوجد أحد في السيارة، كيف سقطت السيارة في الماء؟ من كان يقودها؟ ربما دفعها أحدهم.

«موين»، إلى جواره، تنظر مندهشة.

ثمة احتمالات عدة يمكنها أن تبرر عدم وجود شخص في السيارة. ربما نجح من كان يقود السيارة في الخروج منها ولم يُبلغ عن الأمر لأنه كان سكران. ربما السيارة قد سُرقت. سيقومون بإخراجها من الماء والحصول على لوحة الترخيص ومن ثم يجدون نقطة البداية.

تقف «موين» بجواره، تفكر في الاحتمالات بصمت، تمامًا مثلما يفعل هو.

يقول «ويب» لـ«روث»:

ـ شكرًا لمساعدتك.

ثم يستدير بشكل مفاجئ ويسير باتجاه البحيرة، تتابع «موين» السير بجواره. يقف الرجل مرتابًا، خلفهما.

يصعد الآن أحد الغواصين إلى الشاطئ. يقف ضباط البحرية متأهبين، فمهمتهم هي إخراج السيارة من الماء. قاموا بذلك مرات لا تُحصى. ما زال هناك غواص آخر بالأسفل، يجهز المعدات لانتشال المركبة.

يرفع الغواص قناع الغوص خاصته.

ـ إنها سيارة سيدان بأربعة أبواب. كل النوافذ مفتوحة عن آخرها.

يتوقف ويضيف:

ـ ربما أُغرقت بتعمد.

يعض «ويب» شفته السفلى.

ـ هل لديك فكرة كم مكثت في الماء؟

ـ أخمن أسبوعين، يزيدان أو ينقصان.

يقول:
ـ حسنًا، شكرًا لك. هيا نحضرها.

يتراجعان مرة أخرى ويتركان الخبراء يؤدون عملهم. يقف «ويب» و«موين» في صمت ويراقبان.

أخيرًا ثمة صوت عالٍ لانتشال شيء ما وترتفع السيارة من المياه. يريانها لأول مرة وهي مرتفعة بضعة أقدام فوق السطح. يتدفق الماء من النوافذ ومن التصدعات الموجودة في الأبواب. معلقة هناك تتدلى من الأسلاك في الهواء لدقيقة، عادت إلى الحياة.

تتأرجح السيارة ببطء فوق الشاطئ من جانب إلى الآخر. تهبط على الأرض مع ارتداد ثم تستقر، وهي لا تزال تسرب السوائل. حريصًا على حذائه، يقترب «ويب» من المركبة. إنها تويوتا كامري جديدة إلى حد ما، وكل نوافذها الأربعة مفتوحة، تمامًا مثلما قال

الغواص. ينظر «ويب» في المقعد الأمامي ويرى حقيبة يد نسائية يظهر جزء بسيط منها من أسفل المقعد. يفحص المقعد الخلفي ويرى حقيبة مبيت على الأرضية. تنبعث من السيارة رائحة مياه البحيرة الراكدة والعفن. يُخرج رأسه ويمشي إلى خلفية المركبة. لوحات ترخيص نيويورك. يستدير نحو «موين». يقول:

ـ أبلغي عنها.

تومئ باقتضاب وتبلغ عن رقم اللوحة بينما يدور الاثنان حول المركبة. أخيرًا يكملان دورة كاملة ويتوقفان عند خلفية السيارة مرة أخرى. حان وقت فتح صندوق السيارة. يشعر «ويب» بشعور سيئ. يستدير وينظر إلى الرجل الذي كان أول من رأى السيارة في المياه. لا يقترب. يبدو متوجسًا كما يشعر «ويب»، لكن المحقق يعرف أنه ليس من الحكمة إظهار شعوره.

يأمر:

ـ هيا نفتح هذا.

يقترب أحد أعضاء الفريق حاملًا عتلة. من الواضح أنه فعل ذلك من قبل... ينفتح صندوق السيارة. ينظرون جميعهم بالداخل.

هناك امرأة بالداخل. مستلقية على ظهرها وساقاها مثنيتان لأعلى في جانب واحد، مرتدية ملابس كاملة، بنطال جينز وكنزة. إنها بيضاء، محتمل أنها في نهاية العشرينيات، ذات شعر بني طويل. يلاحظ «ويب» خاتم الزواج وخاتم الخطوبة الماسي في إصبعها. يمكنه رؤية أنها تعرضت لضرب مبرح. بشرتها شاحبة وشمعية وعينها المتبقية مفتوحة على مصراعيها. تنظر له وكأنها تطلب المساعدة. يمكنه القول إنها كانت جميلة.

يقول «ويب» بصوت خافت:

"- يا إلهي."

٤

تستيقظ «كارمن تورس» مبكرًا صباح يوم الاثنين. يبدأ ضوء الشمس في التسرب من خلال النوافذ الأمامية وكذلك المدخل بينما تشق طريقها هابطة السلالم، لتُحضِّر أول فنجان قهوة لها. إنها في منتصف هبوطها حينما تشاهده. مظروف أبيض ملقى بمفرده على الأرضية الخشبية الصلبة السوداء بالقرب من الباب الأمامي. أمر غريب. لم يكن هناك الليلة الماضية عندما ذهبْتُ للنوم. لا بد أنه

بريد إعلانات، تفكر، على الرغم من الإشارة التي قد عرضتها بالخارج:

لا بريد إعلانات

لكن بريد الإعلانات لا يوزَّع عادة في وقت متأخر من الليل.

تسير إلى المظروف وتلتقطه. لا يوجد شيء مكتوب عليه. تفكر في رميه في صندوق القمامة من دون أن تفتحه، لكنها فضولية، وتمزقه لفتحه عرضيًّا وهي في طريقها إلى المطبخ.

ولكن ما إن تقع عيناها على الخطاب بداخله، تتوقف ولا تحرك ساكنًا. تقرأ:

هذا خطاب من الصعب جدًّا كتابته. أتمنى ألا تكرهونا كثيرًا. ليس من السهل قول هذا، لذا سأقوله وحسب.

اقتحم ابني منزلكم مؤخرًا بينما كنتم بالخارج. منزلكم ليس الوحيد الذي تسلل إليه. أعلم أنه أمر غير مريح. أَقسم أنه لم يسرق أي شيء. فتشت غرفته بدقة كبيرة وأنا متأكدة جدًّا من أنه يقول الحقيقة بشأن هذا الأمر. هو يقول إنه استكشف المكان فقط. كان حريصًا للغاية ولم يكسر أو يتلف أي شيء. ربما لم تدركوا حتى أنه

دخل هناك. ولكن أشعر بأنه يجب عليَّ إخباركم بأنه تلصص على حاسوبكم... إنه بارع في الحواسيب... واعترف أنه كتب بعض رسائل البريد الإلكتروني الخادعة من الحساب الخاص بأحد الأشخاص. لم يخبرني بمحتوى تلك الرسائل... أعتقد أنه محرج كثيرًا... لكن أشعر بأنه ينبغي أن تعرفوا. أكره أن تتسبب تلك الرسائل في حدوث أي مشكلات لكم.

أشعر بالخزي من سلوكه. أعتذر من أنه لا يستطيع الاعتذار لكم بشخصه. لا أستطيع إخباركم باسمي، أو اسمه، لأن أباه يخشى أن هذا من شأنه أن يُعرض ابننا لتهم جنائية. لكن رجاء صدقوني عندما أقول لكم إننا آسفون بشدة ونخجل من سلوكه. قد يكون من الصعب السيطرة على المراهقين.

رجاء تقبلوا هذا الاعتذار وأؤكد لكم أن هذا لن يحدث مرة أخرى أبدًا. واجه ابني عواقب وخيمة على أفعاله في المنزل.

أردت فقط أن تعرفوا أن هذا حدث، وأننا آسفون بشدة.

ترفع «كارمن» عينيها عن الصفحة، مذعورة. اخترق أحدهم منزلها؟ يا لها من مقدمة عن الحي. فهي سكنت هنا منذ شهرين فقط، لا تزال تتعود على المكان، محاولة تكوين أصدقاء.

ليست سعيدة بالخطاب. جعلها تشعر بعدم الاستقرار. أمر مريع أن تفكر في وجود شخص داخل منزلها يتسلل في الأرجاء، يتلصص على أغراضها، يخترق حاسوبها، من دون حتى أن تدري. ستتفقد المكان وتتأكد من عدم فقدان أي شيء... لن تأخذ كلام هذه السيدة مسلمًا به. ومن الأفضل أن تتفقد حاسوبها بحثًا عن أي رسائل مرسلة لم تكتبها بنفسها. كلما فكرت في ذلك أكثر، غضبت أكثر. تشعر بالاعتداء.

تتجول «كارمن» في المطبخ وتبدأ بعمل القهوة. على الرغم من مدى انزعاجها، فإنها لا تستطيع أن تمنع نفسها من التعاطف مع السيدة التي كتبت الخطاب. تفكر، كم الأمر مروع لها. لكنها تود أن تعرف من يكون.

* * *

يقف «روبرت بيرس» عند أسفل سلالم منزله، يحدق في المظروف الأبيض الخالي من الكتابة الملقى على الأرضية في صالة منزله الأمامية. لا بد أن أحدهم دفع به عبر فتحة البريد بينما هو نائم بالأعلى الليلة الماضية.

يتقدم ببطء، لا تحدث قدماه العاريتان أي صوت فوق الأرضية الخشبية الصلبة. يمد يده ويلتقط المظروف، قالبًا إياه. لا شيء مكتوب عليه على الإطلاق.

يفتح المظروف ويسحب الورقة الوحيدة، ثم يقرأ الخطاب ذاهلًا. إنه بلا توقيع. يصل إلى نهايته، وينظر لأعلى، غير ناظر لشيء. دخل شخص إلى منزله.

يهبط ببطء ليجلس على السلالم السفلية، يقرأ الخطاب مرة أخرى. أحد المراهقين يعبث. لا يمكنه تصديق الأمر.

يجلس مدة طويلة، يفكر في أنه قد يكون في مشكلة.

* * *

يذهب «رالي» إلى المدرسة صباح يوم الاثنين، مرتاحًا لخروجه من المنزل.

يشعر أيضًا بالانفصال الكامل... لم يدخل إلى الإنترنت طوال عطلة نهاية الأسبوع. يشعر بأنه أعمى تقريبًا من دون هاتفه الخلوي. ليست لديه وسيلة للوصول إلى أي أحد، أو لوضع خطة، أو لمعرفة ما يدور في الأجواء. يشعر كأنه وطواط من دون رادار. أو مسبار

صدى. أو أيًّا كان. يتعين عليه أن يأمل اللقاء مصادفة بـ«مارك» في القاعة أو في الكافيتريا، حيث لن تجمعهما أي حصص اليوم.

لكن عندئذٍ يجد «مارك» ينتظره بجوار خزانته. لا بد أن «مارك» تبين ما حدث.

يسأل «مارك»، بينما يفتح «رالي» خزانته:

ـ أخذ الوالدان هاتفك؟

ـ أجل.

هدأ غضبه من غباء صديقه حيث يتذكر أنه ربما أرسل له رسائل غبية بالقدر ذاته. بالإضافة إلى أنه يحتاج إلى صديق الآن.

ـ لماذا؟ ماذا فعلت؟

يقترب منه «رالي».

ـ بسبب الرسائل التي أرسلتها... رأتها أمي. وعرفا بالأمر.

يبدو «مارك» منزعجًا.

ـ اللعنة! آسف.
يشعر «رالي» بالأسف الشديد الآن، لأنه في لحظة تبجح، أخبر «مارك» بما كان يفعله. كان يتباهى. لكنه الآن يتمنى لو أنه أبقى فمه مغلقًا.

التفت «رالي» لكي يرى ما إذا كان بإمكان أي شخص سماعهما. يخفض صوته:

ـ الآن يأخذونني إلى محامٍ من أجل تقرير ما يمكن عمله. يفكر والداي في تسليمي!

ـ لا يمكن. لن يفعلا. إنهما والداك.

يخلع «رالي» حقيبة ظهره.

ـ أجل، حسنًا، إنهما غاضبان للغاية.

يسأل «مارك»، والتوتر بادٍ عليه:

ـ هل سأراك بعد المدرسة؟

يمسك بكتبه.

ـ بالطبع. قابلني هنا بعد الحصة الأخيرة. أكره بشدة عدم وجود هاتف بحوزتي.

* * *

لدى «أوليفيا» عمل لتنجزه، لكن لا يمكنها التركيز. إنها تعمل من المنزل محررة نسخ لكتب تعليمية. لديها ما يكفي من العمل لإبقائها مشغولة بشكل كافٍ، ولكن ليس بشكل مفرط، حتى تتمكن من الاهتمام بالمنزل والأسرة. هذا عمل مرضٍ، لكنه ليس مميزًا. أحيانًا تحلم أحلام يقظة بعمل شيء مختلف تمامًا. ربما تصبح وكيلة عقارات، أو تعمل في محل للبستنة. ليست لديها فكرة محددة، لكن التفكير في التغيير يروقها.

كانت «أوليفيا» مشتتة للغاية إلى درجة أنها لا تستطيع العمل، في انتظار «بول» يتصل بها يبلغها بميعاد الذهاب إلى المحامي. والآن بعد علمها بأن الميعاد سيكون اليوم لا يمكنها التفكير في أي شيء آخر. إنها مترددة، بعد ذلك تمسك بهاتفها وتتصل بـ«جليندا نيويل».

تجيب «جليندا» الهاتف عند الرنة الثانية. هي تعمل من المنزل أيضًا، تجمع سلات هدايا فاخرة لمشروع تجاري محلي بضع ساعات

في الأسبوع. عادة ما تستعد لتناول القهوة في وقت اتصال «أوليفيا».
تسأل «أوليفيا»:

ـ هل ترغبين في أن نتقابل في «بين» لتناول القهوة؟

يمكنها سماع التوتر في صوتها، مع أنها تحاول إبقاءه ناعمًا.

ـ أرغب في مناقشة أمر معك.

تقول «جليندا»:

ـ بالتأكيد، أود ذلك. هل كل شيء على ما يرام؟

لم تقرر «أوليفيا» بعد ما ستخبر به «جليندا».

ـ أجل. خمس عشرة دقيقة؟

ـ ممتاز.

عند وصول «أوليفيا» إلى محل القهوة المحلي، تجد «جليندا» بالفعل هناك. «بين» مكان مريح، به مقهى قديم الطراز مع طاولات ومقاعد غير متناسقة وحوائط مغطاة برسوم متاجر السلع

الرخيصة والمستعملة، غير التقليدية. إنه ليس بسلسلة محلات، وله شعبية كبيرة وسط المحليين، في منطقة يبدو أن أغلب سكانها يعملون من المنزل. وجدت «جليندا» طاولة في الخلف، حيث يمكن أن تنعما ببعض الخصوصية. طلبت «أوليفيا» قهوة أمريكية خالية من الكافيين من على الكاونتر وانضمت إلى «جليندا» على الطاولة.

تسأل «جليندا»:

- ماذا حدث؟ لستِ على أفضل حال.

تعترف «أوليفيا»، وهي تنظر إلى «جليندا»:

- لم أنم جيدًا لبضع ليالٍ ماضية.

إنها بحاجة إلى ائتمان شخص على سرها. هي و«جليندا» صديقتان مقربتان منذ ست عشرة سنة... تقابلتا في مجموعة الأمهات حينما كان «رالي» و«آدم» ابن «جليندا» رضيعين. كما أصبح زوجاهما صديقين بسرعة. إنهم يجتمعون مرارًا؛ «جليندا» وزوجها «كيث»، هما من كانا مدعوَّين على العشاء ليلة الجمعة عندما كان «رالي» بالخارج يوقع نفسه في مشكلة.

يمكنها إخبار «جليندا». «جليندا» ستتفهم. قد تتنافس الأمهات بفظاعة هذه الأيام، لكن هي و«جليندا» لم تفعلا ذلك قَطُّ. دائمًا ما كانتا أمينتين وداعمتين لبعضهما البعض فيما يخص الولدين. تعرف «أوليفيا» أن «آدم» لديه مشكلاته. مرتان حتى الآن، في عمر السادسة عشرة، عاد إلى المنزل سكران حتى إنه قضى الليل يجثم على المرحاض أو إنه انهار على أرضية الحمام. كان على «جليندا» السهر لمراقبته حتى تتأكد من أنه لن يختنق من تقيؤه. الأمومة صعبة، لا تعرف «أوليفيا» ما ستفعله من دون وجود «جليندا» لتساعدها في الأمر. وتعرف أن «جليندا» تشعر بالامتنان نحوها، أيضًا.

تقول «أوليفيا» وهي تميل إلى الأمام وتتحدث بصوت منخفض:

ـ لن تصدقي هذا.

تسأل «جليندا»:

ـ ماذا؟

تنظر «أوليفيا» حولها لكي تتأكد من أنه لا يمكن سماعهما وتقول، وهي تخفض صوتها أكثر:

ـ اقتحم «رالي» منازل آخرين.

الصدمة على وجه «جليندا» تقول كل شيء. فجأة تتفجر الدموع من عينَي «أوليفيا» وتخشى أن تتعرض لانهيار كامل هناك في المقهى. تميل «جليندا» وتضع يدًا مطمئنة على كتفها بينما «أوليفيا» تسحب منديلًا ورقيًّا وتبقيه فوق عينيها.

تختار الفتاة تلك اللحظة لإحضار قهوة «أوليفيا»، وتضعها في مكانها، وتتحرك مبتعدة سريعًا، وتتظاهر بعدم ملاحظة أن «أوليفيا» تبكي.

تقول «جليندا»، وتعبير وجهها يتبدل من الصدمة إلى التعاطف:

ـ ماذا حدث؟ هل قبضت الشرطة عليه؟

تهز «أوليفيا» رأسها وتحاول استعادة ثباتها.

ـ حدث ذلك ليلة الجمعة، عندما كنتما عندنا لتناول العشاء.

فكرت في أن تطلب من «رالي» البقاء بالمنزل من أجل حفل العشاء. كان متفقًا بالفعل مع صديق له على الذهاب لمشاهدة فيلم... أو هكذا قال. كان بإمكانها أن تصر على بقائه بالمنزل. هو و«آدم» كانا

صديقين، لكنهما فقدا الاهتمام ببعضهما تدريجيًّا هذا الربيع، عندما بدأ «آدم» بتناول الخمور. لكن جزءًا منها لم يشأ حقًّا أن يختلط «رالي» بـ«آدم». كانت تخشى أن يكون له تأثير سيئ، لم ترغب في أن يبدأ «رالي» في تناول الخمور. بالطبع، لم تستطع أن تخبر «جليندا» بذلك. بل أخبرت «جليندا» أن «رالي» لديه خطط بالفعل وتقبلت «جليندا» هذا. «آدم» وجد شيئًا آخر ليفعله. والآن اتضح أن ابنها وجد شيئًا آخر ليفعله، كذلك. «أوليفيا» أخبرت «جليندا» القصة المخزية بالكامل. ما عدا الجزء الخاص بخطابات الاعتذار، احتفظت به لنفسها.

تسأل «جليندا» في حيرة حقيقية:

ـ لطالما كان طفلًا صالحًا.

تعترف «أوليفيا»:

ـ لا أدري. يبدو...

لا تستطيع أن تكمل. لا تريد التعبير عن ذلك في كلمات، تجعل مخاوفها حقيقية.

ـ يبدو ماذا؟

ـ هذا غريب. لماذا يريد التسلل إلى منازل الآخرين بهذا الشكل؟ أمر غير طبيعي! هل هو نوع ما من... المتلصصين؟ هل تعتقدين أنني يجب أن أجد له مساعدة؟

تعدل «جليندا» من جلستها وتعض شفتها.

ـ لا أعتقد أنه يجب أن تُفرطي في الغضب. فهو مراهق. إنهم أغبياء. لا يفكرون. يفعلون أي شيء يبدو فكرة جيدة، في أي لحظة. الأولاد يقومون بمثل هذه الأفعال طوال الوقت.

تقول «أوليفيا» بلهفة:

ـ حقًّا؟ لكن ألا يسرقون شيئًا ما عادة؟ هو لم يسرق أي شيء.

ـ هل أنت متأكدة؟ ربما كل ما أخذه زجاجة خمر، أو ربما شرب بعض الخمر من زجاجة ما ثم أكملها بالماء. الأطفال يفعلون تلك البذاءات. صدقيني، أنا أعرف.

يتجهم وجهها.

تقول «أوليفيا»، وهي تفكر في ذلك:

ـ ربما.

ربما هذا كل ما حدث. لم تتفقد نفَس «رالي» حينما كان نائمًا. فهي لم تعرف أي شيء كان خاطئًا إلا في اليوم التالي. ربما يجب أن تراقب خزانة الخمور في منزلهم.

تقول:

ـ على أي حال، سنذهب إلى محامٍ بعد ظهر اليوم. سنرى ماذا يقول. فعلنا هذا تقريبًا لإخافته.

تومئ «جليندا»:

ـ قد لا تكون فكرة سيئة.

تحتسيان قهوتهما. بعد ذلك تغير «جليندا» الموضوع. تسأل:

ـ هل ما زلت تودين الذهاب إلى نادي الكتاب الليلة؟

تقول «أوليفيا»، وهي تبدو كئيبة:

ـ أجل. أحتاج إلى الخروج. لا تخبري أي أحد بهذا الأمر، اتفقنا؟ هذا سر بيننا.

تقول «جليندا»:

ـ أكيد. وبصراحة؟ رائع أنك اكتشفت الأمر مبكرًا. أنهي الموضوع في مهده. اجعلي المحامي يخيفه بلا شفقة. عدم تكرار الأمر من جانبه، يجعلك في أمان. لن يقع ضرر.

* * *

«جليندا نيويل» في طريقها للمنزل عائدة من «بين»، عقلها مشغول بما أخبرتها به «أوليفيا» للتوِّ. «أوليفيا» المسكينة... «رالي» يقتحم المنازل! ومع ذلك، أمر مريح أن العائلات الأخرى لديها مشكلاتها، كذلك. هذا يجعلها تشعر بأنها أفضل قليلًا فيما يتعلق بموقفها.

تشعر، هي نفسها، بالقلق الشديد حيال «آدم»... اندفاعه وعدم قدرته على تهذيب سلوكه. يمكنها بالكاد النوم ليلًا بسبب قلقها على ابنها. وهي قلقة من أن لديه الجين المسبب للإدمان. فقد اعتاد على الشرب بحماس صادم. ماذا بعد؟ إن التفكير في جميع المخدرات الموجودة في العالم يجعلها تشعر بالذعر. الله وحده يعلم ما ستجلبه

السنوات القليلة القادمة، كانت آخر سنة مروعة بما يكفي. في بعض الأحيان لا تعرف ما إذا كانت ستنجو منها.

يبدو أن «كيث» يتجاهل التفكير في الحقيقة المُرة هذه الأيام. أو أنه لا يريد مواجهة الأشياء، أو أنه من الأساس لا يرى أي خطأ في الإسراف في الشرب عند السادسة عشرة. لكن «كيث» ليس شخصًا قلوقًا. وسامة شديدة، مع ثقته الخادعة بنفسه وجاذبيته المريحة... يفكر دائمًا أن الأمور ستصبح على ما يرام. يخبرها أنها تفرط في القلق. ربما هو على حق. لكنها أُم. عملها أن تقلق. ❝

❞ ٥

يغادر «روبرت بيرس» إلى العمل عندما يفتح الباب ويرى رجلًا طويلًا ذا شعر داكن في أواخر الثلاثينيات وسيدة أقصر ذات شعر بني فاتح باهت أصغر بنحو عشر سنوات. كلاهما يرتدي ملابس أنيقة. أول فكرة تراءت له أنهما يلتمسان شيئًا.

حينئذٍ يرفع الرجل شارته ويقول:

ـ صباح الخير. «روبرت بيرس»؟

ـ أجل.

ـ أنا المحقق «ويب» وهذه المحققة «موين»، من شرطة «أيلسفورد». نحن هنا من أجل التحدث معك عن زوجتك.

لم يرَ هذين الاثنين من قبل قَطُّ. لماذا هما هنا الآن؟ يسمع قلبه يدق الطبول فجأة في أذنيه. يسأل:

ـ هل وجدتماها؟

تخرج الكلمات مختنقة.

ـ هل لنا أن ندخل، سيد «بيرس»؟

يومئ ويخطو خطوة للخلف، فاتحًا الباب على مصراعيه، ثم يغلقه بقوة خلفهما. يقودهما «روبرت» إلى غرفة المعيشة.

يقترح المحقق «ويب»، عندما يقف «روبرت» مرتابًا في منتصف غرفة المعيشة يحدق فيهما:

ـ ربما من الأفضل أن نجلس.

مرة واحدة، يجد «روبرت» نفسه يحتاج إلى الجلوس. ينهار في مقعد ذي ذراعين، يمكنه أن يشعر بالدم يُستنزف من رأسه. يحدق في المحققين، مشوشًا قليلًا. حانت اللحظة. يجلس المحققان فوق الأريكة، ظهراهما مستقيمان، النافذة البارزة خلفهما.

ـ وجدنا سيارة زوجتك هذا الصباح.

ينجح «روبرت» في قول:

ـ سيارتها. أين؟

ـ كانت في بحيرة، بالقرب من «كانينج».

ينتقل بعينيه بينهما، فمه جاف.

ـ ماذا تقصد، في البحيرة؟ هل وقع لها حادث؟

يضيف برفق:

ـ كانت مغمورة بعيدًا عن الشاطئ، على عمق نحو خمسة عشر قدمًا من سطح الماء. كانت حقيبة يدها وحقيبة المبيت في السيارة. وجدنا جثة في صندوق السيارة.

ارتد «روبرت» مرة أخرى على مقعده، كما لو أنه خسر أنفاسه. يمكنه أن يشعر بالمحققين يراقبانه بحرص. يعاود النظر إليهما، يخشى أن يسأل:

- هل هي جثتها؟

- نعتقد هذا.

يشعر «روبرت» بأنه يشحب. لا يستطيع الكلام. يميل المحقق «ويب» إلى الأمام ويلاحظ «روبرت» عينيه لأول مرة... عينان حادتان، ذكيتان.

- أعرف أنها صدمة. لكننا نحتاج إلى أن تأتي لكي تتعرف على الجثة.

يومئ «روبرت». ينهض ويجلب معطفًا ويتبعهما للخارج إلى الشارع ويركب في المقعد الخلفي لسيارتهما.

مكتب الطبيب الشرعي للمقاطعة، مبنى جديد منخفض من الطوب. يخرج «روبرت» من السيارة، في انتظار إرشاده إلى المشرحة. يتخيل غرفة طويلة، باردة، معقمة، مع بلاط لامع، فاتح اللون وفولاذ مقاوم للصدأ، وضوء شديد ورائحة الموت. يبدأ رأسه يدور،

ويعرف أنهما يراقبانه. لكن بدلًا من المشرحة قاداه إلى غرفة انتظار واسعة وعصرية بها لوحة عرض زجاجية. يجلس أمام الزجاج ويشاهد بينما تُطوى الملاءة للكشف عن وجه الجثة فوق النقالة الفولاذية.

يسأل «ويب»:

ـ هل هذه زوجتك؟

يجبر نفسه على النظر. يقول:

ـ أجل.

ثم يغمض عينيه.

يقول المحقق:

ـ آسف. هيا لنعيدك إلى المنزل.

بهدوء، يعودون إلى السيارة. ينظر «روبرت» عبر النافذة، لكنه لا يرى الشوارع المارة، ما يراه هو وجه زوجته، مضروبًا ومنتفخًا وملونًا بالأخضر. هو يعرف ما يحدث بعد ذلك. سيستجوبانه.

وصلوا منزله. خرج المحققان من السيارة واصطحباه إلى الباب.

يقول المحقق «ويب»:

ـ آسف، أعرف أن هذا وقت عصيب، لكن نود أن ندخل ونسألك بضعة أسئلة إضافية، إن كان هذا يناسبك.

يومئ «روبرت» ويدعهما يدخلان. يعودون إلى غرفة المعيشة التي كانوا فيها منذ وقت قصير، ويجلسون على المقاعد نفسها. يبتلع لعابه ويقول:

ـ لا أعرف شيئًا أكثر مما قلتُه عندما اختفت منذ أسبوعين. أخبرت الشرطة بكل ما يمكنني حينها. ماذا كنتم تفعلون طوال هذه المدة؟

جاءت الكلمات عدوانية أكثر مما ينبغي. ينظر المحقق «ويب» إليه دون أن يرمش. يقول «روبرت»:

ـ لم تبحثوا حتى عنها.

صوته مرير.

ـ هذا هو الانطباع الذي أخذته، على أي حال.

يقول المحقق، وهو ينظر إلى شريكته:

ـ إنه تحقيق في جريمة قتل الآن. مؤكد سيكون هناك تشريح للجثة وسننظر في كل شيء عن كثب.

يضيف:

ـ نريد أن نعود إلى نقطة البداية.

يومئ «روبرت» بضجر.

ـ حسنًا.

ـ كم مضى على زواجكما، سيد «بيرس»؟

ـ أكملنا سنتين في يونيو الماضي.

يلاحظ أن المحققة «موين» تدون ملاحظات.

ـ هل كان هناك أي مشكلات في زواجكما؟

ـ كلَّا. لا يوجد شيء خارج عن المألوف.

ـ هل حدث أن خانتك زوجتك؟

ـ كلَّا.

ـ هل حدث أن خنتها؟

ـ كلَّا.

ـ هل حدث أي خلافات، أي... عنف أو إساءة؟

ينزعج.

ـ بالطبع لا.

ـ هل لزوجتك أي أعداء؟

ـ كلَّا، على الإطلاق.

ـ هل كان بها شيء مختلف في الأيام أو حتى الأسابيع السابقة لفقدانها؟ ألم تبدُ مشغولة البال على الإطلاق؟ هل ذكرت أي شخص يضايقها؟

يهز رأسه.

ـ كلَّا. لم ألحظ ذلك. الأمور كانت بخير حال.

ـ هل من مشكلات مالية؟

يهز رأسه.
ـ كلَّا. كنا نخطط لرحلة إلى أوروبا. أحوال العمل كانت جيدة معي. كانت موظفة مؤقتة، وهي أحبت ذلك، الحرية. لم تكن تحب التقيد بالعمل ذاته اثنين وخمسين أسبوعًا في السنة.

يقول المحقق:

ـ أخبرنا عن عطلة نهاية الأسبوع تلك.

ينظر «روبرت» إلى المحققين ويقول:

ـ خططتْ لقضاء تلك العطلة مع صديقة لها، «كارولين لو». كانتا ذاهبتين إلى نيويورك.

يتوقف.

ـ هذا ما أخبرتني به، على أي حال.

ـ هل فعلت ذلك كثيرًا، أن تسافر في عطلة الأسبوع؟

ـ أحيانًا. أحبت رحلاتها الصغيرة للتسوق.

ـ كيف تقوم بترتيبات سفرها؟

يرفع رأسه.

ـ قامت بعمل الترتيبات بنفسها. حجزت كل شيء عبر الإنترنت، من حاسوبها المحمول، ودفعت باستخدام بطاقة ائتمانها.

ـ ألم تشك حينما غادرت؟

ـ كلَّا، على الإطلاق. أعرف «كارولين». كنت أكن لها المعزة. وقد فعلتا هذا النوع من الأشياء سابقًا.

يضيف:

ـ أنا لا أستمتع بالتسوق.

يقول «ويب»:

ـ إذن أخبرنا عن صباح يوم الجمعة، التاسع والعشرين من سبتمبر.

ـ أعدت حقيبة المبيت الخاصة بها من الليلة السابقة. أتذكر أنها كانت تدندن وهي تتجول في غرفة النوم وتحزم أمتعتها. كنت مستلقيًا على السرير، أراقبها. بدت... سعيدة.

ينظر بجدية إلى المحققين. يؤكد لهما:

ـ تطارحنا الغرام تلك الليلة، كل شيء كان على ما يرام.

يتذكر، لكنه لم يكن كذلك على الإطلاق.

يُكمل «روبرت»:

ـ صباح اليوم التالي، حينما غادرت إلى العمل، قبَّلتها مودعًا، أخبرتها أن تستمتع بوقتها. كانت ستغادر مباشرة من العمل، على أن تترك سيارتها في المحطة وتستقل القطار. كان آخر يوم لها في تلك الوظيفة المؤقتة.

يسأل المحقق:

ـ أين كان ذلك؟

يتذمر «روبرت»:

ـ أخبرت الشرطة فعليًّا بكل هذا. كانت شركة محاسبة. يجب أن تكون المعلومات في الملف.

يشعر بوميض من الإثارة.

ـ ألم تتحدث معها مرة أخرى ذلك اليوم على الإطلاق؟

ـ كلَّا. كنت أنوي، لكني انشغلت في العمل. وعندما عدت إلى المنزل، اتصلت بها، لكنها لم تجب. لم أفكر في أي شيء من هذا حينها. لكنها لم تجب طوال عطلة الأسبوع... كان الهاتف يحولني فقط إلى البريد الصوتي. لم نكن زوجين ملتصقين، نتصل ببعضنا

طوال الوقت. فكرت أنها مشغولة، تستمتع بوقتها. لم أفكر كثيرًا في الأمر.

يسأل «ويب»:

ـ متى بدأت تدرك أنه وقع سوء ما؟

ـ عندما لم تعد ليلة الأحد كما هو متوقع، بدأت أقلق. تركت رسائل على هاتفها الخلوي، لكنها لم تعاود الاتصال بي. لم أستطع أيضًا أن أتذكر مكان إقامتهما. عندئذٍ اتصلت بـ«كارولين». ظننت أن زوجها ربما يعرف شيئًا، إن كانتا قد أَجلتا عودتهما. لكن «كارولين» أجابت الهاتف.

يتوقف.

ـ وأخبرتني أنها لم يكن لديها أي خطط قَطُّ مع «أماندا» لقضاء عطلة هذا الأسبوع، ولم تتحدث فعليًّا مع «أماندا» منذ فترة.

يفرك يده في جبهته.

ـ ذهبت إلى قسم الشرطة صباح يوم الاثنين وأبلغت عن فقدانها.

تسأل المحققة «موين»:

ـ ما نوع العمل الذي تقوم به؟

هذا يذهله قليلًا، ويوجه اهتمامه إليها.

يضيف:

ـ أنا محامٍ. ينبغي أن... أن أتصل بالمكتب.

تتجاهل المحققة ذلك. تسأل:

ـ هل يمكنك أن تثبت لنا أين كنت تلك العطلة الأسبوعية... بدءًا من الجمعة التاسع والعشرين من سبتمبر، حتى يوم الاثنين؟

ـ ماذا؟

ـ هل يمكنك أن تثبت...

يقول:

ـ أجل، بالطبع. كنت في العمل طوال يوم الجمعة، غادرت في الخامسة تقريبًا. ذهبت مباشرة إلى المنزل. أخبرت الشرطة بكل هذا من قبل، عندما ذهبت للإبلاغ عن فقدانها. مكثت بالمنزل ليلة الجمعة. يوم السبت، كنت في المنزل، مشغولًا ببعض الأعمال، ويوم الأحد ذهبت للعب الجولف مع بعض الأصدقاء.

يضيف:

ـ يجب أن يكون كل هذا في الملف.

تسأل المحققة «موين»:

ـ هل لدى زوجتك عائلة، غيرك؟

ـ كلَّا. كانت طفلة وحيدة، ومات أبواها.

يتوقف:

ـ هل لي أن أسأل سؤالًا؟

يقول المحقق «ويب»:

ـ بالطبع.

ـ هل لديك أي فكرة عما حدث؟ من قد فعل هذا؟

يقول المحقق:

ـ ليس بعد، لكننا لن نتوقف حتى نعثر عليه. هل هناك شيء آخر يمكنك أن تخبرنا به؟

يقول «روبرت»، ووجهه خالٍ من التعبير:

ـ كلَّا، تقريبًا.

يقول «ويب»:

ـ حسنًا.

يضيف، كما لو كانت فكرة ثانوية:

ـ نود أن يأتي فريق ويلقي نظرة داخل منزلك، إذا كان ذلك يناسبك.

يقول «روبرت»، بصوت حاد:

ـ تجاهلتم مخاوفي لمدة أسبوعين، الآن تريدون تفتيش منزلي؟ يمكنكم الحصول على إذن تفتيش.

يقول «ويب»:

ـ حسنًا. سنقوم بذلك.

يقف «روبرت» والمحققان ينهضان ويغادران.

بمجرد أن يشاهدهما يبتعدان، يقفل «روبرت» الباب الأمامي ويشق طريقه لأعلى بسرعة إلى غرفة مكتبه. يجلس على مقعد المكتب ويسحب الدرج السفلي.
هناك كومة من الأظرف بنية اللون بالداخل. يعرف أنه تحت تلك الأظرف هاتف زوجته سابق الدفع، وهو الهاتف الذي لا يعرف عنه رجال الشرطة شيئًا. يجلس لدقيقة، يحدق في الأظرف، خائفًا. يفكر في الخطاب الموجود بدرج المطبخ والذي وجده في الصباح أسفل السلالم. دخل أحد الأشخاص منزله. أحد المراهقين كان هنا، تسلل إلى غرفة مكتبه. ولا بد أنه رأى الهاتف، لأنه في أحد الأيام عندما فتح «روبرت» الدرج، كان الهاتف موجودًا هنا فوق تلك الأظرف البنية. صدمة هذا جعلته يجفل في مقعده. يعرف أنه كان واضعًا

الهاتف أسفل الأظرف. لكنه الآن يفهم. لا بد أن هذا الصبي قد شاهد الهاتف، وحركه. والآن ستقوم الشرطة بتفتيش منزله. يجب عليه التخلص منه.

لديه فترة زمنية قصيرة قبل أن يعودا بإذن التفتيش. لكن كم من الوقت؟ يمد يده أسفل الأظرف بحثًا عن الهاتف الخلوي، فجأة يخشى أنه لم يعد هناك على الإطلاق. لكن يمكنه الشعور الآن بسطحه الأملس في يده ويسحبه للخارج. يحدق به، هذا الهاتف هو من تسبب له في مثل ذلك الألم.

يغلق الدرج ويدس الهاتف في جيبه. ينظر من النافذة، الشارع بالأسفل خالٍ. عندما يتردد خبر العثور على جثة زوجته في الصحافة، سيكون هناك مراسلون على عتبة بابه، وعندها لن يكون قادرًا على الخروج أبدًا. يجب أن يتصرف بسرعة. يبدل ملابسه ويرتدي بنطال جينز وتيشيرتًا، يسرع هابطًا السلالم، يسحب سترة ومفاتيحه من الباب الأمامي، ويتوقف فجأة، بعد قليل من فتح الباب. ماذا لو رآه أحد؟ وبعد ذلك يكتشف المحققان أنه خرج مُسرعًا من المنزل بعد مغادرتهما؟

يظل واقفًا لدقيقة، يفكر. سيفتشون المنزل. لا يمكنه إخفاء الهاتف في المنزل. ما هي الاختيارات التي أمامه؟ يمشي إلى الخلف وينظر خارج الباب من المطبخ إلى الباحة الخلفية. إنها باحة خاصة جدًّا.

لعله يتمكن من دفن الهاتف في حديقة الزهور الخلفية. بالطبع لن يحفروا الحديقة. فلديهم الجثة بالفعل.

يستطلع مجموعة البستنة الخاصة بـ«أماندا» في الفناء، ويضع قفازات البستنة الخاصة بها، ويمسك مجرفة. يمشي إلى أحواض الزهور في الجزء الخلفي من الحديقة. ينظر حوله... المنزل الوحيد الذي يطل على باحة منزله هو منزل «بيكي»، وهو لا يراها تراقب من النوافذ، أو من الباب الخلفي. ينحني بسرعة ويحفر حفرة صغيرة ضيقة، بعمق نحو ١٠ بوصات، تحت شجيرة. يمسح الهاتف بالتيشيرت، تحسبًا، يفكر لو يجدونه، يمكن أن يخبرهم بأن هي من وضعته... «أماندا» كانت تقوم بكل أعمال البستنة. بعد ذلك يضع الهاتف على عمق داخل الحفرة ويغطيها مرة أخرى. لا يظهر حتى أن الأرض تبعثرت من جراء ما فعله. يعيد أدوات البستنة إلى مكانها ويعود إلى الداخل.

“ انحلت المشكلة.

”

«رالي» يجلس متراخيًا في حصة اللغة الإنجليزية. المدرس يتحدث ويتحدث بصوت خافت ممل جدًّا، و«رالي» لا يمكنه التركيز إلا على الورطة التي هو فيها.

بدأ الأمر بنوع ما من حسن النية الربيع الماضي، في يوم من أيام شهر مايو. ترك حقيبة ظهره في منزل صديقه «زاك» بعد المدرسة. كان بها فرض منزلي مطلوب في اليوم التالي. أرسل «رالي» رسالة إلى «زاك» يخبره أنه يحتاج إلى أن يأتي إلى منزله. ورد «زاك» عليه برسالة تقول إنه بالخارج مع أسرته ولن يعودوا إلا في وقت متأخر. محبطًا، ذهب بالدراجة إلى منزل «زاك». لم يكن متأكدًا حتى من السبب. يعرف أنه لا يوجد أحد بالمنزل. لا يملك مفتاحًا. عندما وصل «رالي» إلى هناك، ذهب إلى خلفية المنزل ونظر في نافذة القبو. كانت حقيبة ظهره على الأرض بجوار الأريكة حيث تركها ـ متجاهلًا ـ بينما كان يلعب مع «زاك» ألعاب الفيديو. ولمجرد فعل شيء ما، حاول أن يفتح النافذة. تفاجأ أنها انفتحت بسهولة. تفقد الفتحة. كان طويلًا ونحيفًا ـ يعرف أنه يستطيع الدخول بلا مشكلة ـ وحقيبة ظهره ملقاة هناك، بحق الجحيم. نظر «رالي» حوله ليتبين ما إذا كان هناك أي شخص يراقبه، لكن للأمانة، لم يكن متوترًا كثيرًا، إذا رآه أحد، يمكنه أن يشرح. وبعد ذلك دخل من النافذة.

في ذلك الحين أصبحت الأمور غريبة بعض الشيء. لأنه لم يأخذ حقيبته وحسب، ويلقي بها من النافذة، ويخرج وراءها. يعرف أنه

يجب عليه فعل ذلك. والآن، يتمنى لو أنه قد فعل. بدلًا من ذلك، وقف في القبو ينصت إلى الصمت. يبدو المنزل مختلفًا من دون أحد غيره بداخله... ممتلئًا بالخيارات. رجفة بسيطة من الإثارة تتملكه. المنزل الخاوي ملكه في هذه اللحظة. مشاعر غريبة تنتابه، وعلم أنه لن يستدير ويعود من النافذة.

ذهب إلى الطابق العلوي مباشرة ليرى ما إذا كانت هناك غرفة مكتب... المكان المرجح أن يجد فيه حاسوبًا. مر بغرفة «زاك» ونظر فيها نظرة عابرة. رأى آخر اختبار كيمياء لـ«زاك» منطرحًا فوق المكتب، وكانت الدرجة أقل بعشر في المائة مما ادعى. يتساءل «رالي» ما الذي كذب «زاك» بشأنه أيضًا. بعد ذلك اتخذ طريقه إلى غرفة المكتب وشرع في محاولة اختراق حاسوب والد «زاك». لم يخترقه، لكن صعوبة ذلك أعطته تشويقًا غريبًا.

عندما سأله «زاك» عن حقيبة ظهره في اليوم التالي، اعترف «رالي» بخجل أنه تسلل من النافذة ليأخذها... وتمنى أن يمر الأمر بسلام. من الواضح أن «زاك» لم يظن شيئًا.

في المرة التالية، بعد بضعة أسابيع، كان «رالي» أكثر إثارة. بالكاد صدق أنه كان هناك، مخططًا لأن يفعل هذا مرة أخرى. وقف في الظلام في الباحة الخلفية لمنزل أحد زملائه، «بن». علم أنهم كانوا بالخارج لقضاء عطلة الأسبوع. لم يرَ أي نظام أمني واضح.

وجد نافذة قبو مفتوحة في جانب المنزل. كان حيًّا من ذلك النوع حيث أغلب سكانه لا يوصدون بالضرورة كل شيء، سواء كانوا بالمنزل أو لا. لم يجد «رالي» مشكلة في الدخول. ما إن دخل، في الظلام، حتى بدأت ضربات قلبه تهدأ. لم يستطع فعليًّا تشغيل الإضاءة. ماذا لو أنهم أخبروا الجيران أيضًا أنهم سيخرجون؟ لكن لحسن الحظ، كان القمر منيرًا تلك الليلة، وبعد أن تكيفت عيناه، استطاع أن يجد طريقه تمامًا. حرص ألا يمشي أمام النوافذ... وبعد ذلك صعد السلالم إلى غرف النوم. وجد حاسوبًا شخصيًّا فوق مكتب في غرفة النوم الرئيسية. هذه المرة كان مستعدًّا. استخدم فلاشة الإقلاع الخاصة به ودخل بسهولة، تجسس على الحاسوب، ومن ثم غادر المنزل، بالطريقة نفسها التي دخل بها.

إذا لم يكن قد حصل على قدر من المتعة عن قيامه بالاختراق، لما استمر في فعل ذلك. لكن بعد هذا المنزل، كانت هناك أخرى. أصبح بارعًا في اختراق حواسيب الآخرين. رأى معلوماتهم الخاصة، لكنه لم يأخذ أي شيء أو يغير أي شيء قَطُّ. لم يتسبب في أي ضرر قَطُّ. لم يترك قَطُّ أي علامة على أنه كان هناك.

لقد كان خطأً منه أن يخبر «مارك» بما كان يفعله. لو لم يرسل «مارك» تلك الرسالة الغبية...

اندهش «رالي» من سماع اسمه عبر مكبرات الصوت. كل العيون اتجهت إليه تلقائيًّا، ثم ابتعدت. جمع كتبه وسار بخطى حثيثة عرضًا إلى الباب. لكنه مرتبك وخجل بشكل مؤلم. يمكن أن يشعر بوجهه متوردًا قليلًا.

اتخذ طريقه هابطًا ثلاث قلبات من السلالم إلى مكتب الإدارة، ذرات العرق تتفتح على بشرته. لم يُستدعَ من قبل إلى المكتب. يخشى أن الأمر متعلق بعمليات الاقتحام. هل الشرطة هنا؟ هل كانت هناك كاميرات في مكان ما ولم يدركها؟ ربما رآه أحد وهو خارج من المنزل وتعرف عليه. يحارب الرغبة في أن ينتزع أغراضه من خزانته ويتفادى كل شيء بأن يذهب فقط إلى المنزل ويختبئ في غرفة نومه.

عندما يدخل المكتب يتنفس الصعداء حينما يرى أمه هناك بانتظاره. لا شرطة على مرأى البصر.

تقول:

ـ لدينا موعد. أحضر أغراضك. سأنتظر في السيارة بالقرب من المدخل.

يتصاعد قلقه مرة أخرى.

بينما هما في طريقهما عبر وسط المدينة إلى مكتب المحامي، يخيم صمت مؤلم على السيارة. يعمل أبوه في وسط المدينة في منطقة الأعمال المركزية وسيقابلهما هناك. يقضي «رالي» الوقت متخوفًا مما سيقوله المحامي.

مكتب المحامي مهيب. لم يدخل مثله قَطُّ. يقع في الطابق العلوي من مبنى إداري، جميع الأبواب زجاجية والأثاث أنيق. نظرة واحدة ويدرك أن هذا بالطبع كلف أبويه مبلغًا ماليًّا كبيرًا.

أبوه موجود بالفعل في مكان الاستقبال وبالكاد سيلتقي بعينيه. يجلس «رالي» بائسًا، ينتظر مع أبويه. واضح أنهما محرجان من وجودهما هنا، يتظاهران بقراءة عدد من «النيويوركر». «رالي» لم يلتقط حتى مجلة ما، فقط يحدق في قدميه، مفتقدًا هاتفه.

لم يمضِ وقت طويل قبل دخولهم قاعة هادئة مغطاة بالسجاد تؤدي إلى مكتب واسع مع إطلالة رائعة على النهر. ينهض المحامي الجالس خلف مكتب ضخم ويصافح كلًّا منهم. يعرف «رالي» أن يديه متعرقتان من التوتر؛ يد المحامي باردة. يأخذ «رالي» في الشعور بالبغض الفوري تجاه «إميليو جالو»، رجل ممتلئ الجسم يحدق فيه، تقييمًا له.

يقول «جالو»:

ـ إذن، أخبرني لم كل هذا يا «رالي»؟

ينظر «رالي» إلى أمه، لا يتجرأ على النظر إلى أبيه. كان يعتقد أن أبويه هما من سيتوليان الكلام وهو سيجلس هنا فقط ويبدو حزينًا ويفعل كل ما يقال له. لكن أمه رفضت أن تلتقي بعينيه. حينئذٍ يخبر المحامي بالقصة نفسها التي قصها على أبويه، مرعوبًا من أن يكون «جالو» قادرًا على قراءة ما بداخله. لا يريد أن يعرف المحامي بعدد المنازل التي اقتحمها، أو مقدار خبرته في الحواسيب، ماذا يستطيع أن يفعل. كل ما فعله حقًّا كان أن يخترق ويتجسس ويخرج. هذه هي الحقيقة. كان بإمكانه أن يفعل الكثير.

يقول المحامي عندما أنهى حديثه:

ـ فهمت.

يسوي ربطة عنقه بأصابعه.

ـ إذن لم يمسك بك أحد.

يقول «رالي»:

ـ كلَّا.

يقول المحامي:

ـ هذا اقتحام وتسلل وتعدٍّ على ممتلكات الغير. وموضوع الحاسوب هو الأسوأ. تأخذ ولاية نيويورك هذا النوع من الجرائم بجدية بالغة. هل أنت على علم بالمادة ١٥٦ من قانون عقوبات نيويورك؟

يهز «رالي» رأسه، مرعوبًا.

يميل إلى الأمام ويرمق «رالي» بنظرة حادة.

ـ لا أظن ذلك. دعني أعلمك. بموجب المادة ١٥٦ «الاستخدام غير المصرح به للحاسوب»... هذه جريمة. هذا يكون عندما تدخل على حاسوب أو تستخدمه من دون إذن من مالكه الشرعي. هذه جنحة من الدرجة الأولى. يتعرض الأشخاص لغرامات أو لقضاء بعض الوقت في السجن بسبب ذلك. عقوبة قابلة للزيادة. هل أنت متأكد تمامًا من أنك لم تأخذ أو تنسخ من بيانات أي أحد، أو تمسح أو تغير أي شيء في حواسيبهم؟ لأن هذا يعد تلاعبًا، ويمكن أن تُسجن لذلك مدة تصل إلى خمس عشرة سنة.

يبتلع «رالي» لعابه:

ـ كلَّا، أنا تجسست وحسب. هذا كل شيء.

ـ وأرسلت تلك الرسائل الإلكترونية. هذه سرقة هوية.

يقول أبوه بحدة:

ـ سرقة هوية؟

يذكرهم المحامي:

ـ كتب رسائل إلكترونية من حساب شخص آخر، متظاهرًا أنه ذلك الشخص.

يقول أبوه، وهو يبدو مفزوعًا:

ـ لا بد أن الرسالة الإلكترونية المزيفة لا تشكل سرقة للهوية.

ـ حسنًا، لن ترغب في التعرض لهذا، أليس كذلك؟ الأشخاص لا يتهاونون في شأن الاعتداء على خصوصيتهم.

يركز المحامي نظره الحاد على «رالي»، الذي يشعر بنفسه ينكمش أكثر في مقعده.

ـ وهناك دائمًا إمكانية رفع دعوى مدنية. هذه هي أمريكا، والناس محبون للتقاضي كثيرًا. ويمكن أن يكون ذلك مكلفًا للغاية.

تمر لحظة توقف طويلة، مرعبة. واضح أن أبويه لم يفكرا في ذلك. وبالتأكيد لم يفكر «رالي» في ذلك.

أخيرًا، تقول الأم:

ـ فكرت في أنه يجب عليه الاعتذار لهؤلاء الأشخاص، وربما يقدم تعويضات، لكن زوجي رفض الفكرة.

يقول «جالو»، وهو يبدو مندهشًا:

ـ كلَّا، زوجك محق. قطعًا لا ينبغي عليه أن يعتذر. سيكون ذلك بمثابة الاعتراف بجريمة أو جرائم.

حينئذٍ تقول:

ـ ماذا لو أرسلَ لهم خطابًا، من مجهول، لكي يعتذر؟

يقول أبوه:

ـ لماذا يفعل ذلك بحق الجحيم؟

يقول المحامي، وهو يهز رأسه:

ـ معذرة، هذه لفتة جميلة، لكنني محامٍ جنائي متشائم، هذه ستكون حماقة كبيرة. من الأفضل ألا يعرف أبدًا هؤلاء الأشخاص أنه كان هناك.

يلاحظ «رالي» تورد وجه أمه قليلًا من جراء التوبيخ.

يقول «جالو»:

ـ أخبرني أكثر عن ذلك الفتى الآخر، «مارك». من يكون؟

ـ إنه صديق من المدرسة.

ـ ما مقدار علمه عن الأمر؟

ـ أنني اقتحمت بضعة منازل. وأنني تسللت إلى الحواسيب.

ـ هل محتمل أن يشي بك؟

يقول «رالي» بحزم:

ـ مستحيل.

يسأل المحامي:

ـ كيف يمكنك أن تثق بهذا الشكل؟

«رالي» فجأة غير واثق. لكنه يقول:

ـ أعرف وحسب.

ـ هل من شيء على أي موقع من مواقع التواصل الاجتماعي نحتاج إلى أن نقلق حياله؟

يتورد وجه «رالي» ويهز رأسه.

ـ لست أحمق تمامًا.

يسند المحامي ظهره في مقعده ويبدو وكأنه غير متفق. ثم ينظر إلى والدَي «رالي».

ـ نصيحتي هي أن تنتظروا بصبر ولا تفعلوا شيئًا. إذا لم يأتِ أحد إليكم ولم تدق الشرطة بابكم، اعتبروا أنفسكم محظوظين. لكن دعني أذكرك، أيها الشاب...

وهنا يميل إلى الأمام وينظر إلى «رالي» مرة أخرى بعينين حادتين، داهيتين:

ـ الحظ ينفد دائمًا. لذا أنصحك بشدة أن تترك حياتك الإجرامية الآن، لأنه لو قُبض عليك، لا بد أن توضع في دار الأحداث.

يبتلع «رالي» لعابه بتوتر، وعند هذا التنبيه، نهضوا لكي يغادروا.

«أوليفيا» لا تنطق بكلمة أثناء الطريق إلى البيت. أفكارها مضطربة. تستشيط غضبًا تجاه «رالي»، وتستشيط غضبًا تجاه الموقف. تندم، الآن، على هذين الخطابين المجهولين. لن تخبر أحدًا بأمرهما، لكنها الآن تخشى أن يعودا لمطاردتها بشكل ما. تسمع صوت المحامي في عقلها، يقول: «هذه ستكون حماقة كبيرة».

لماذا لم تترك الأمور على حالها؟ يأتي هذا من محاولة العيش بطريقة أخلاقية، من محاولة القيام بما هو صائب في عالم مجنون وساخر لا يهتم بفعل الصواب. ما الخطأ في الاعتذار؟ بدلًا من ذلك، يبدو أن الموضوع كله يتعلق بعدم التعرض للاعتقال، بمحاولة النجاة من العقاب. لم يعجبها ذلك المحامي كثيرًا، لكنها تخشى أنه يعرف ما يفعله، فهي ساذجة جدًّا بالنسبة إليه.

لا يمكنها ألا تقلق حيال العواقب التي قد يتلقاها ابنهما نتيجة كل ذلك. قد تكون فكرة السجن أرعبته إلى درجة تجعله يُحسن من سلوكه... وهذا شيء جيد، ستتولى الأمر. على الرغم من أنه يحتمل ألا يكون خائفًا مثلما هي خائفة. لكنها تتمنى أن يفهم لماذا ما فعله خطأ بدلًا من مجرد الخوف مما قد يحدث له. تغتاظ بشدة، كيف يُفترض أن تعلم طفلًا الصواب والخطأ عندما يتصرف كثير من الأشخاص في مواقع المسؤولية بشكل سيئ باستمرار؟ ما مشكلة أمريكا هذه الأيام بحق الجحيم؟

* * *

تتناول «كارمن» عشاءها بمفردها المكون من صدر دجاجة وسلطة، تأكل على طاولة المطبخ، التلفاز مغلق بحزم. فلديها قواعدها. تحافظ على روتين إعداد وجبة مسائية لنفسها، على الرغم من أنها تتساءل في بعض الأيام لماذا تتضايق. لديها كتب طبخ تُمجد متعة

الطهي لشخص واحد، لكنها لا تشعرها بالسعادة. أحبت الطبخ من أجل زوجها وأطفالها. لكن زوجها مات وجميع أولادها تجاوزوا الأمر واستمروا في عيش حياتهم الخاصة المشغولة.

أسست روتينًا آخر... تمشيتها المسائية في الحي. روتين يعطي بنية لأيام فارغة. هذه التمشية المسائية لممارسة الرياضة ولإشباع فضولها الطبيعي حول جيرانها. تأخذها التمشية إلى «فينش» ومنه إلى «سبارو»، ثم تعود إلى شارعها. إنه حي سكني طويل وتمشية رائعة. ستواصل ما دام الطقس يسمح، معجبة بالبيوت المعتنى بها، وتنظر في النوافذ المضاءة بدفء. الليلة، بينما تأخذ تمشيتها تفكر في الاقتحام والخطاب. حتى الآن، تحدثت فقط مع جارتها المجاورة، «زوي بوتيلو»، حول هذا الموضوع. «زوي» الوحيدة التي أصبحت صديقتها حتى الآن. لم تقرر «كارمن» بشكل كامل ما إذا كانت ستدع الأمر على حاله أو تحاول العثور على من اقتحم منزلها. جزء منها يشعر بتعاطف طبيعي مع المرأة التي كتبت الخطاب. لكن جزءًا منها يشعر بقدر من الغضب، وتريد أن تفعل شيئًا حيال هذا الموضوع.

بينما هي عائدة إلى شارعها تقترب من منزل به إضاءة ساطعة. يمكنها أن ترى عبر الحديقة الأمامية ومن خلال النوافذ الكبيرة لغرفة المعيشة، حيث تجتمع مجموعة صغيرة من السيدات. يتحدثن ويضحكن بحماس، وكؤوس النبيذ في أيديهن. بعد ذلك

تلاحظ «كارمن» امرأة أخرى تقترب بسرعة. تظهر في الممر الخاص بالمنزل، معها كتاب في يدها، وتدق الجرس. تسمع «كارمن» الهمهمة للأصوات لفترة وجيزة، في اللحظات التي يُفتح فيها الباب ليُسمح للوافدة الجديدة بالدخول، ثم يتوقف الصوت فجأة مرة أخرى.

إنه نادٍ للكتاب، تشعر «كارمن» بألم الشوق، تتوقف للحظة. الشوق يمتزج بلمسة استياء. الأشخاص هنا ليسوا ودودين بشكل يفوق العادة. ❝

❞ ٧

«أوليفيا»، في عجلة من أمرها لتغادر إلى نادي الكتاب، كادت أن تنسى الكتاب، لكنها سحبته وهي متجهة إلى الباب. دائمًا ما تتطلع إلى نادي الكتاب، لكنها الليلة مستاءة من «رالي» إلى درجة تجعلها لا تستمتع بأي شيء. كان عشاء متوترًا بعد زيارة المحامي.

تذهب إلى منزل «سوزان هالبيرن» في شارع «فينش». بدأ نادي الكتاب منذ عدة سنوات، مجموعة من سيدات الحي يعرفن بعضهن من المدرسة والألعاب الرياضية وغيرها من مناسبات الحي. هناك عديد من العضوات المنتظمات. يتبادلن جميعهن الاستضافة.

تحب «سوزان» استضافة نادي الكتاب، إنها تتباهى قليلًا. دائمًا ما تؤدي عرضًا لا داعي له، فتعد وجبات خفيفة معقدة وتتفاخر بقرانها بأنواع النبيذ المناسبة تمامًا لها. أما «أوليفيا»، فعندما يحين دورها تختار تلقائيًا نبيذًا أحمر جيدًا وموثوقًا وآخر أبيض عاديًا جدًّا يتماشى مع كل شيء، وتجلب مجموعة من الأغراض من «كوستكو». إنها لا تحب الاستضافة بشكل خاص. بالنسبة إليها، نادي الكتاب هو سبيل للخروج.

«جليندا» هناك بالفعل عندما تصل «أوليفيا». تقف السيدات يتجاذبن أطراف الحديث في غرفة المعيشة، مع كؤوس النبيذ وأطباق الطعام الصغيرة الخاصة بهن، تاركات كتبهن عند مقاعدهن. كتاب الليلة هو كتاب «تانا فرنتش» الجديد. بالطبع، لا يبدأن بالكتاب أبدًا. ينخرطن في حديث صغير أولًا، عادة يدور حول الأطفال ـ كلهن لديهن أطفال ـ وهو ما يفعلنه عندما يرن هاتف «جانيت». ترى «أوليفيا» «جانيت» تلقي نظرة عابرة على هاتفها... بعد ذلك يتجمد وجه «جانيت». في الوقت نفسه تسمع «أوليفيا» رنتين أو ثلاث من هواتف أخرى وتتساءل ماذا يجري.

تقول «جانيت» فجأة:

ـ آه، يا إلهي.

تسأل «أوليفيا»:

ـ ماذا يحدث؟

تقول «جانيت»:

ـ تتذكرن كيف فُقدت «أماندا بيرس» منذ أسبوعين؟

بالطبع يتذكرن، «أوليفيا» تفكر. هجرت «أماندا بيرس» زوجها فجأة من دون أن تخبره. لم تعرف «أوليفيا» «أماندا»، بشكل شخصي. قابلتها فعليًّا مرة واحدة فقط، في حفل بالحي أقيم بالحديقة الصغيرة بين «سبارو» و«فينش» منذ أكثر من عام بقليل، في سبتمبر، بعد أن انتقل الزوجان «بيرس» إلى هنا بفترة قصيرة. كانت «أماندا بيرس» امرأة جذابة، وكان جميع الأزواج يراقبونها، تقريبًا يسيل لعابهم، يتعثرون على بعضهم البعض من أجل أن يناولوها حاجاتها ـ كاتشب من أجل نقانقها ومنديلًا ومشروبًا، بينما حاولت الزوجات ألا يبدون غاضبات. بدت وكأنها عارضة أزياء، أو ممثلة... كانت بتلك المثالية. بتلك الإثارة. بتلك الثقة. دائمًا ترتدي ملابس أنيقة ونظارات شمس عصرية. الزوج ـ لا يمكنها تذكر اسمه ـ لكنه كان أيضًا شديد الوسامة. لديه سمة نجم السينما، لكنه كان أكثر تحفظًا. مراقبًا. سكنا في شارع «أوليفيا»، لكن أبعد بمسافة. كان الاثنان في

أواخر العشرينيات، أصغر بكثير من «أوليفيا» وصديقاتها، وليس لديهما أطفال، ولذلك ما من داعٍ لأن تتقاطع طرقهم.

تقول «سوزان»:

ـ لم تكن مفقودة حقًّا. هجرت زوجها.

تقول «جانيت»:

ـ هناك رسالة إخبارية. عثروا على سيارتها، في بحيرة بالقرب من «كانينج». كانت جثتها في صندوق السيارة.

ساد سكون مفاجئ والغرفة تعمها الصدمة.

تقول «بيكي» وهي ترفع نظرها عن هاتفها، يشحب وجهها فجأة:

ـ لا أستطيع أن أصدق.

تستعيد «أوليفيا» مصعوقة أن «رالي» كان بداخل منزل أسرة «بيرس».

تهمس «بيكي»:

ـ مسكين «روبرت».

تسكن «بيكي هاريس» بجوار الزوجين «بيرس».

ـ هو أبلغ عن فقدانها بالفعل. أخبرني ذلك بنفسه.

«بيكي» صديقة جيدة لـ«أوليفيا»، وأخبرتها بكل شيء. «أوليفيا» مصدومة لتخيلها «بيكي»، التي ما زالت جذابة للغاية، لكن ربما ليست جذابة مثلما تظن، تتحدث مع الزوج الوسيم المهجور عبر السياج الخلفي.

تقول «جليندا»، تبدو مرتعبة:

ـ أذكر أنني سمعت ذلك. ولكن إذا كنت أتذكر بشكل صحيح، فإن القصة كانت أن الشرطة لم تأخذ الأمر على محمل الجد لأنها كذبت عليه بشأن الذهاب لقضاء العطلة الأسبوعية مع صديقة. اعتبروا أنها هجرته، وأنه لم يكن اختفاء حقيقيًّا.

تقول «جانيت»:

ـ حسنًا، يتضح الآن أنها جريمة قتل.

تسأل «أوليفيا»:

ـ ماذا تقول الرسالة الإخبارية غير ذلك؟

ـ هذا كل شيء. ليست هناك تفاصيل.

تسأل «سوزان» بعد مرور لحظة، وهي تنظر إليهن جميعًا:

ـ هل تظننَّ أن زوجها هو من فعلها؟ هل تظننَّ أنه ربما قتلها؟

تقول «جانيت» برفق:

ـ لن أتفاجأ.

تستدير «بيكي» نحوها فجأة:

ـ أنت لا تعرفين أي شيء عن الموضوع!

يسود صمت متوتر للحظة عقب ثورة «بيكي». بعد ذلك تقول «سوزان»، وصوتها مشوب بما يشبه الرهبة:

ـ هذا مخيف جدًّا.

تقترح «زوي»:

ـ يمكن أن يكون الزوج بريئًا تمامًا.

تقول «سوزان»:

ـ لكن ألا يكون عادة الزوج هو الفاعل؟

تقول «بيكي»:

ـ لو كان قتلها، إذن لماذا أخبر الشرطة لكي يبحثوا عنها؟ واضح أن «بيكي» لا ترغب في تصديق أن الرجل الوسيم، الوحيد الذي يسكن بجوارها قد يكون قاتلًا.

تقول «أوليفيا»:

ـ حسنًا، توجب عليه الإبلاغ عن فقدانها، أليس كذلك؟ لا يمكنه تجاهل الأمر وحسب. ينبغي أن يلعب دور الزوج القلق، حتى لو أنه قتلها.

تقول «جليندا»:

ـ يا إلهي، أنت رهيبة.

تقول «أوليفيا» بتمعن:

ـ فكري في الأمر، على الرغم من ذلك، يمكن أن تكون جريمة القتل الكاملة. قتلها، وأبلغ عن فقدانها، وأخبر الشرطة أنها قالت إنها كانت مسافرة مع صديقة لقضاء عطلة الأسبوع في حين أنها لم تكن. بعد ذلك حين لا تظهر، ستفكر الشرطة أنها هجرته وحسب ولن يبدو الأمر بهذه الصعوبة في الواقع. شيء عبقري، حقًّا.

يحدقن جميعهن فيها. تضيف:

ـ خاصة لو لم يعثروا قَطُّ على سيارتها في البحيرة. كان من المحتمل أن ينجو بفعلته.

تقول «سوزان»:

ـ لست متأكدة من أن طريقة تفكيرك تعجبني.

تنظر «بيكي» لـ«أوليفيا» بضيق وتقول:

ـ للعلم، لا أصدق أن زوجها فعل ذلك.

تقف «سوزان» وتبدأ في إعادة ملء كؤوس الجميع. ترتجف بشكل واضح.

ـ يا إلهي، هل تتذكرن كم كانت جميلة؟ هل تتذكرن حفل السنة الماضية؟ كانت أول مرة تراها أي واحدة منا حقًّا. كان كل الرجال رهن إشارة إصبعها الصغيرة.

تقول «بيكي»:

ـ أتذكر. كانت مشغولة جدًّا في أن تكون فاتنة أكثر من أن تساعد في التنظيف.

تقول «جليندا»:

ـ ربما لديها مطارد أو شيء من هذا القبيل. امرأة مثل هذه...

تقول «زوي»:

ـ كانت مغازلة. لا أعلم كيف تحمل زوجها هذا.

كانت «زوي» في الحفلة أيضًا، «أوليفيا» تتذكر، وهي تنظر حول الغرفة. كانت جميعهن هناك.

تقول «جانيت»:

ـ ربما كانت هذه هي المشكلة. ربما كان غيورًا، وقتلها.

ينظرن جميعهن بعضهن لبعض، باضطراب.

تغير «زوي» فجأة الموضوع.

ـ هل سمعت إحداكن عن الاقتحامات والخطابات المجهولة؟

تشعر «أوليفيا» بقبضة في معدتها وتتجنب النظر إلى «جليندا». اللعنة. لم يكن عليها حقًّا كتابة هذه الخطابات. تتناول كأس النبيذ الخاص بها من فوق طاولة القهوة.

تقول «سوزان»:

ـ أي اقتحامات؟ أي خطابات مجهولة؟

تقول «زوي»:

ـ سمعت هذا من «كارمن تورس». إنها جارتي المجاورة الجديدة. أخبرتني أنها وجدت خطابًا مجهولًا هذا الصباح من سيدة تقول إن ابنها اقتحم منزلها وإنهم آسفون.

تضيف:

ـ وُضع خفية من خلال فتحة البريد الخاصة بها ليلًا.

تقول «جانيت»:

ـ حقًّا؟ لم أسمع أي شيء عن هذا الموضوع.

تومئ «زوي» وتقول:

ـ دقت بابي لكي تسألني لو كنت حصلت على خطاب، أيضًا، لكنني لم أحصل.

تسأل «سوزان»:

ـ هل سرق أي شيء؟

ـ لا تظن ذلك. قالت إنها ألقت نظرة فاحصة لكن لم يكن هناك شيء مفقود.

تتجرأ «أوليفيا» لأن تلقي نظرة سريعة على «جليندا» ووميض من التفاهم بينهما. سيتعين عليها أن تتحدث معها بعد نادي الكتاب. لم تخبر «جليندا» بشأن الخطابات.

تقول «سوزان»:

ـ من أيضًا تعرض للاقتحام؟ لم أسمع أي شيء.

تقول «زوي»:

ـ لا أعلم. يقول الخطاب إن هناك آخرين. «كارمن» أرتني إياه... أنا قرأته.

تشعر «أوليفيا» بالغثيان، وتضع كأس النبيذ. ليس هذا ما قصدت أن يحدث، على الإطلاق. أرادت فقط أن تعتذر وحسب. لم تُرد أن يقرأ الخطاب آخرون! لم تُرد أن يحاول أحد العثور على من كتبه! بالتأكيد لم تُرد أن يثرثر الأشخاص بشأن هذا. كان عليها أن تترك

الأمور على حالها. كيف لها أن تكون بمثل هذا الغباء؟ كان المحامي محقًّا... كل ما فعلته هو إثارة الموضوع.

تتعجب «زوي»:

ـ كان يجدر بكن أن ترين هذا الخطاب! المرأة المسكينة التي كتبته. الظاهر أن الابن اخترق حواسيب آخرين وتجسس عليها... حتى إنه أرسل رسائل إلكترونية خادعة من حسابهم الشخصي!

تقول «سوزان»، مذعورة:

ـ لا!

تسأل «جانيت»، فزعة ومستمتعة على حد سواء:

ـ ما محتواها؟

تقول «زوي»:

ـ لا أعلم. قالت «كارمن» إنها لم تجد أي رسائل على حاسوبها. لا بد أن هذا حدث في منزل شخص آخر.

تقول «جليندا»، بصوت جاد:

ـ يبدو لي شيئًا من غباء المراهقين، والأم تفعل الشيء اللائق، تعتذر. إنه شيء يمكن أن يحدث لأي منا مع أولادنا. أنتن تعرفن كيف يبدو المراهقون.

تلاحظ «أوليفيا» بضع إيماءات آسفة متعاطفة من بعض الأخريات. تشعر بالامتنان الشديد نحو «جليندا» في تلك اللحظة لكنها حريصة ألا تظهره.

تقول «سوزان»:

ـ أعتقد يجب أن أكون أكثر اهتمامًا بغلق الأبواب والنوافذ. لا أتفقدها دائمًا في الليل.

تقول «جانيت» بصوت خافت:

ـ أمر مخيف جدًّا التفكير في شخص يتسلل إلى منزلك ويخترق حاسوبك وأنت بالخارج. ويا للهول... لو لم تحصل هذه السيدة «كارمن» على ذلك الخطاب، لما عرفت قَطُّ.

هناك صمت كما لو أنهن يتأملن ذلك لدقيقة.

تقول «زوي»:

ـ ربما تعرض بعضنا للاقتحام.

تقول «سوزان»:

ـ لكن حينها كنا سنحصل على خطاب.

تقول «زوي»:
ـ ليس بالضرورة. ماذا لو أن الفتى اعترف ببعض المنازل فقط، لم يخبر أمه بالمدى الكامل لكل ما كان يفعله؟ هذا ما فكرت فيه «كارمن». ربما يكون هناك كثير من المنازل التي اقتحمها هذا الفتى، ولا يعرف بالضرورة أصحابها. ربما ينبغي أن نقلق جميعًا.

تنظر «أوليفيا» حولها إلى السيدات في الحلقة، ويبدو أن جميعهن قلقات حقًّا من فكرة اقتحام منازلهن من دون علمهن. هل من الممكن أن يكون «رالي» كذب عليها بشأن عدد المرات التي قام فيها بذلك؟ تشعر بالغثيان وتريد الذهاب إلى المنزل.

تقول «سوزان» في النهاية:

ـ أعتقد ينبغي أن نتحدث عن الكتاب. ❝

❞ ٨

«أوليفيا» تتبع «جليندا» إلى الخارج. الطقس بارد الآن، وهي سعيدة أن المكان مظلم بينما تفلتت الأخريات. تنتظرها «جليندا» وتتحدثان بهدوء في نهاية الممر، وهما تجذبان سترتيهما غلقًا.

تنتظر «أوليفيا» حتى تبتعد الأخريات عن مدى السمع وتقول ببؤس:

ـ أشكرك لأنك لم تفصحي عن أي شيء.

ترد «جليندا»:

ـ لماذا أقول أي شيء؟ سرك في أمان معي.

تزفر الهواء بشدة.

ـ تعجرف فظيع من «زوي»، من وجهة نظري. لديها ابنتان، ليس لديها صبيان. ليس لديها أي فكرة.

بعد ذلك تسأل:

ـ كيف سار الأمر مع المحامي؟

حولتا طريقهما إلى الرصيف نحو منزل «جليندا». تخبرها «أوليفيا» عن زيارتها للمحامي. ثم تضيف بقلق:

ـ ما كان يجب أن أكتب هذه الرسائل.

ـ لم تخبريني بشأنها.

تسترق النظر إلى «جليندا».

ـ أعرف. لم أخبر «بول» أو «رالي» كذلك. عديني أنكِ لن تبوحي. إذا اكتشف «بول»، فسيستشيط غضبًا. ما كان يجب أن أرسلها قَطٌّ. الآن سيحاول الجميع اكتشاف من كتبها.

ـ كم عددها؟

ـ اثنتان فقط. «رالي» قال إنه اقتحم منزلين فقط. جعلته يريني إياهما.

ـ لمن كان المنزل الآخر؟

تتردد «أوليفيا».

ـ الزوجان «بيرس».

ـ حقًّا؟

تومئ «أوليفيا». تشعر بالانزعاج الشديد حيال ذلك. ماذا لو كان «روبرت بيرس» قاتلًا؟

تسأل «جليندا» بعد لحظة:

ـ هل تصدقينه؟

ـ صدقته. للأمانة، لم أعد أعرف. ربما «زوي» محقة، وهو لم يخبرني عن كل المنازل. لم أكن لأفكر قَطُّ في أن «رالي» قادر على مثل هذا الشيء.

تصمتان لحظة، وهما تمشيان على الرصيف في الظلام. تتخيل «أوليفيا» «سوزان» و«بيكي» و«جانيت» و«زوي» يدخلن على

حواسيبهن بأسرع ما يمكن ويتفقدن رسائلهن المُرسلة بحثًا عن رسائل لم يكتبنها. بعد فترة تسأل «جليندا»:

ـ هل تعتقدين أن «روبرت بيرس» قتل زوجته؟

تنظر «أوليفيا» إليها بشكل مضطرب. تقول:

ـ لا أعلم. ماذا تعتقدين؟

ـ أنا أيضًا لا أعلم.

تقول «أوليفيا»:

ـ لم أكن أعرفها حتى. لكنها كانت جارة... كانت واحدة منا. يبدو الأمر قريبًا بشكل مروع.

* * *

قررت «كارمن تورس» أن تذهب إلى كل منزل في شارعها، وتخبر جيرانها أنها تعرضت لاقتحام وتريهم الخطاب. هذا الصباح، تحدثت مرة أخرى باختصار مع «زوي» المجاورة لها، التي أخبرتها أنه ولا واحدة في نادي الكتاب الخاص بها الليلة الماضية سمعت أي شيء

عن هذا. بعد ذلك بدأتا بالطبع الحديث عما جاء في الأخبار، عُثِرَ على امرأة من هذا الحي الذي يفترض أنه هادئ ـ تسكن على بعد شارع واحد فقط ـ مقتولة بوحشية.

تخطط «كارمن» أيضًا لأن تمشي جيئة وذهابًا في شارع «سبارو»، الشارع الذي تسكن فيه المرأة المقتولة، وترى ما يمكنها معرفته عن هذه المرأة التي في صندوق السيارة. تحب «كارمن» الثرثرة الحميدة.

قبل أن تذهب، تتجول في المنزل باضطراب، تلمس الأشياء، تفحصها، تسوي الصور. تنظر في خزانة الأدوية لديها. هل تحرك شيء؟ لا يمكن أن تتأكد. تشعر بالذعر قليلًا الآن، وحدها في منزلها، وهو ما لم يحدث قَطُّ. تكره كونها أرملة، تشعر بالوحدة. وتكره فكرة أن أحدًا ـ حتى لو أنه مجرد صبي مراهق ـ يفتش في أغراضها. يقرأ ما بداخل حاسوبها. وليست المسألة أنه ثمة شيء لا ينبغي أن يكون. أي نوع من الفتيان الذي يفعل شيئًا مثل هذا؟ لا بد أن به شيئًا غير طبيعي.

* * *

يجد «رالي» نفسه يتجنب «مارك» في المدرسة صباح يوم الثلاثاء. لا يريد التحدث معه بخصوص الاجتماع مع المحامي. لقد قرر إنهاء الأمر... لن يقتحم أي منازل أخرى. أبدًا.

* * *

يعود «ويب» و«موين» إلى مكتب الطبيب الشرعي من أجل نتائج تشريح جثة «أماندا بيرس». غرفة واسعة مطلية حديثًا، وكثير من الضوء الطبيعي يغمر المكان من النوافذ الكبيرة على طول النصف العلوي من الغرفة. على الرغم من ذلك، ما زالت الرائحة كريهة. يمص «ويب» واحدة من حلوى النعناع التي أحضرتها «موين». يصدر حذاؤه صريرًا فوق البلاط اللامع والنظيف. على طول الجدار أسفل النوافذ يوجد كاونتر طويل مزود بأحواض وأدوات معقمة مرتبة بدقة. وموازين معلقة فوق الكاونتر... يفكر «ويب»، تبدو تمامًا مثل الموازين الموجودة في المتجر حيث يمكن للمرء أن يزن كيسًا ورقيًّا من الفطر.

يقول «جون لافيرتي»، كبير أطباء الطب الشرعي:

- سبب الوفاة هو ضربة قوية حادة. ضُرِبَت في الرأس بشكل متكرر بأداة، على الأرجح مطرقة، وهو ما يبدو من النظر.

يركز «ويب» على الجثة الراقدة فوق الطاولة الفولاذية. تُسحَب الملاءة للخلف. مشهد شنيع. الجسم المتحلل منتفخ والجلد به صبغة خضراء قبيحة. تبدو أسوأ بكثير مما كانت عليه في اليوم السابق.

يقول «لافيرتي»:

ـ آسف على الرائحة، لكن الأجسام تميل إلى التدهور سريعًا بمجرد خروجها من الماء.

بلا تزعزع، يقترب «ويب» من الجثة لفحصها. عملية التشريح منتهية، الأعضاء فُحِصَت ووزِنَت، وخُيطَت مرة أخرى. لب رأسها مبعثر. إحدى عينيها مهشمة خارج وجهها.

يقول الطبيب الشرعي:
ـ من المستحيل تقريبًا تقدير وقت الوفاة تحت هذه الظروف. من الصعب جدًّا تحديد وقت الوفاة من تطورات ما بعد الوفاة بعد أكثر من ٧٢ ساعة من الوفاة، وحقيقة أنها كانت في المياه... آسف.

يومئ «ويب».

ـ مفهوم.

يُكمل الطبيب الشرعي:

ـ لا يوجد دليل واضح على وقوع اعتداء جنسي أو أي إصابات أخرى. حتمًا أنها ماتت قبل السقوط في الماء. لا جروح دفاعية، لا شيء تحت أظافرها. لا علامات واضحة على المقاومة، على الرغم من أنه يبدو أنها ضُربت من الأمام. ربما أنها تعرف قاتلها. الأرجح أن الضربة الأولى جاءت مفاجئة وعجّزتها. ضُرِبَت مرات عديدة، بقوة هائلة. محتمل أنها قُتِلَت من أول ضربتين. الضربات المتتالية تشير إلى غضب خارج عن السيطرة.

ـ إذن كان الأمر شخصيًّا.

يضيف الطبيب:

ـ يبدو هذا. كانت امرأة بصحة جيدة... لا توجد علامات على أي كسور قديمة قد تشير إلى عنف منزلي مستمر.

يقول «ويب»:

ـ حسنًا. هل من شيء آخر؟

ـ كانت حاملًا. في عشرة أسابيع تقريبًا. هذا كل شيء.

يقول «ويب»:

ـ شكرًا لك.

ويخرج هو و«موين».

يقول «ويب»:

ـ نعرف أنها كانت على قيد الحياة وذهبت للعمل يوم الجمعة التاسع والعشرين من سبتمبر. لا بد أنها قُتِلَت في وقت ما خلال تلك العطلة الأسبوعية. محتمل أنها كانت ميتة في الوقت الذي أبلغ فيه زوجها عن فقدانها يوم الاثنين.

يمشيان إلى السيارة، يأخذ كل منهما نفسًا عميقًا من الهواء العليل.

تقول «موين»:

ـ لا يسعد كل رجل عندما يعلم أنه سيصبح أبًا.

يقاطع «ويب»:

ـ جريمة قتل قاسية، أليس كذلك؟

تهز «موين» كتفيها. تقول موضحة:

ـ ليس لدينا إلا أقوال «روبرت بيرس» بأنها أخبرته أنها مسافرة مع «كارولين». لم يؤيد أحد صحة هذا الكلام... لم تذكر سفرها لقضاء العطلة الأسبوعية لأي أحد عملت معه.

يومئ «ويب».

ـ ربما لم تكن ذاهبة لأي مكان. ربما هو اختلق هذا، بعد أن قتلها. لم نعثر على أي سجل لحجزها في فندق.

ـ قد يكون قتلها وحزم حقائبها وأغرق سيارتها على أمل ألا يُعثر عليها أبدًا. ولذلك بدا الأمر وكأنها خططت لهجره.

يقول «ويب»:

ـ من الأفضل أن نتحدث مع «كارولين لو».

* * *

تمر «أوليفيا» بأسبوع غير منتج. تلوم «رالي»... والأخبار الصادمة عن «أماندا بيرس»... لعدم قدرتها على التركيز. الوقت مبكر من ظهيرة يوم الثلاثاء وهي تقريبًا لم تنجز شيئًا اليوم. تترك الملف المفتوح على شاشتها، وتنهض، وتذهب إلى الطابق السفلي من أجل فنجان طازج من القهوة. المنزل هادئ... «بول» في العمل و«رالي» في المدرسة. لكن لا يمكنها التوقف عن التفكير في أشياء بدلًا من مشروع التحرير الحالي لديها. إنها قلقة بشأن «رالي».

ماذا لو لم يخبرها «رالي» بكل شيء؟ لا ترتاح للطريقة التي يُبعد بها عينيه عن عينيها عندما تسأله. بدا صادقًا عندما قال إنه لم يتعاطَ المخدرات، لكنها لا تزال تشعر بأنه يخفي شيئًا عنها.

و«أوليفيا» لا تستطيع أن تحدد السبب، لكنها أيضًا لا تستطيع أن تمنع الشعور بأن «بول» يخفي شيئًا عنها. بدا أنه يفكر في شيء في آخِر بضعة أسابيع، شيء لا يشاركها فيه. عندما تطرقت معه في الحديث حول ذلك، تجاهلها بتعليق عن الحمل الزائد في العمل. بالطبع هو الآن حزين أيضًا بسبب «رالي».

بشكل قلق، تلتقط الجريدة اليومية، «أيلسفورد ريكورد»، وتحملها إلى المقعد المريح أمام الأبواب الزجاجية المنزلقة التي تطل على الباحة الخلفية. قرأتها بالفعل، وتابعت القصة على الإنترنت. لكنها

وضعت قهوتها فوق الطاولة الجانبية الصغيرة وفتحت الجريدة مرة أخرى. في الصفحة رقم ٣، هناك صورة وعنوان رئيسي:

العثور على امرأة مفقودة ميتة

يُظهِر التصوير صورة «أماندا بيرس»، مبتسمة وجميلة في الصورة، بلا تلميح لأي مأساة ستقع لها. تبدو جميلة مثلما كانت في حفل الحي، تجعل الجميع يبدون إعجابهم بكل ما تقوله.

تفحص «أوليفيا» الصورة عن كثب، مستعيدة المناقشة في نادي الكتاب الليلة الماضية. تقرأ المقال. هناك بعض الحقائق القليلة. سحبوها وسيارتها من البحيرة في وقت مبكر من صباح الأمس. الخبر يقول فقط إن جثتها عُثر عليها في صندوق السيارة. تتساءل «أوليفيا» كيف ماتت. المعلومات الأخرى شحيحة. الشرطة ملتزمة الصمت، لا تقول سوى «جاري التحقيق».

تضع الجريدة، تقرر الذهاب للتمشية، وتربط حذاءها. ربما يصفي المشي ذهنها ومن ثم تستطيع إنجاز بعض العمل.

شيء مريع، «أوليفيا» تفكر وهي تغادر المنزل. امرأة تسكن بشارعهم تُقتل. لا يمكنها التوقف عن التفكير في الموضوع. ❝

٩٩

ينظر «روبرت بيرس» إلى الشارع من خلف إحدى الستائر في غرفة النوم الرئيسية. هناك مجموعة من الأشخاص يقفون بالخارج يحدقون في المنزل، يحدقون إلى الأعلى في «روبرت»، بعد أن لاحظوا الحركة في النافذة. يمكنه تخيل ما يقولونه عنه.

يبتعد عن النافذة ويراقب فريق الطب الشرعي وهو يواصل بحثه الدقيق في غرفة نومه. يراقب ويفكر. ليس لديهم دليل ضده. الشيء الوحيد هو هاتفها الخلوي غير المسجل سابق الدفع، وهو الآن مدفون بأمان في الحديقة.

يفكر في الهاتف. أصبح مشكلة بينه وبين «أماندا». لم يتحدثا عنه. هذه هي حالهما، كثير من أمور زواجهما أصبحت مبهمة. لم يتحدثا بخصوص الأشياء. لم يتشاجرا، بل كانا يمارسان الخداع والألاعيب.

عرف أنها بالتأكيد تمتلك هاتفًا سابق الدفع. عرف أنها تحتفظ به معها ـ محتمل في حقيبة يدها ـ وخبأته في مكان ما عندما كانت في المنزل. لأنه فتش حقائب يدها، وسيارتها، ولم يعثر عليه قَطُّ. بعد ذلك في إحدى الليالي منذ وقت ليس ببعيد، فاجأها بإعداد عشاء

لها عندما كانت بالخارج. شيء بسيط... لحم مشوي وسلطة ونبيذ أحمر. وشيء صغير في كأس النبيذ الخاص بها ليُفقدها الوعي.

وبينما كانت تتمدد على سريرهما، غافلة، قلب المنزل رأسًا على عقب باحثًا بشكل منهجي، كما يفعل هذا الطاقم الآن. ووجد مكانها السري لإخفاء الأشياء. علبة السدادات القطنية أسفل خزانة الحمام. كان الحمام هو المكان الوحيد داخل المنزل الذي تستطيع دائمًا البقاء فيه بمفردها. حقًّا، ليس ابتكارًا كبيرًا منها. بالطبع إذا نظروا بداخل علبة السدادات القطنية الخاصة بها الآن، بالطبع، لن يجدوا أي شيء غير السدادات القطنية.

كم يجب عليه أن يقلق حقًّا؟

عندما استيقظت في صباح اليوم التالي بصداع شديد، وبخها لأنها شربت كثيرًا. أشار إلى زجاجة النبيذ الفارغة المتروكة فوق كاونتر المطبخ ـ حيث أفرغ نصفها في الحوض ـ أومأت وابتسمت بارتياب. لاحقًا، عندما ارتدت ملابسها من أجل الذهاب للعمل، بدت عصبية، سيئة المزاج. اقتربت منه، وعلى وجهها تعبير غامض. تساءل إن كانت ستسأله. تساءل إن كانت لديها الشجاعة. نظر في وجهها برفق.

ـ هل أنت بخير يا حبيبتي؟ تبدين حزينة.

لم يكن عنيفًا معها من قبل قَطُّ، لكنها نظرت إليه كما لو أنها فأرة بنية حريرية صغيرة تواجه ثعبانًا.

حدقا في بعضهما البعض. فهو أخذ هاتفها السري من مخبئها السري. هو يعرف هذا وهي تعرف. هل ستقول شيئًا؟ لا يظن أنها ستتجرأ. إنه ينتظر.

أخيرًا تقول:

ـ كلَّا. أنا بخير.

وتبتعد.

راقبها ليرى ما إذا كانت ستحاول البحث في المنزل بسرية عن هاتفها المفقود قبل مغادرتها للعمل، لكنها لم تفعل ذلك. كان في درج مكتبه السفلي، أسفل بعض الأظرف. هنا يمكن العثور عليه بطريقة أسهل عن المكان الذي أخفته فيه. لكنه يعرف أنها لن تتجرأ على الذهاب إلى مكتبه. ليس أثناء وجوده في المنزل. لذلك مكث في المنزل إلى أن غادرت إلى العمل.

كان هذا هو يوم اختفائها.

* * *

المحقق «ويب» منتبه كثيرًا لـ«روبرت بيرس» وهو متربص في المنزل أثناء بحثهم. هل قتل زوجته؟ ووضع جثتها في صندوق السيارة وأغرقها في البحيرة؟ لا يؤدي جيدًا دور الزوج المكلوم. يبدو مضطربًا.

لو أنه قتلها هنا، في المنزل، فسيعثرون على شيء. يعرفون أنها ضُربت حتى الموت بمطرقة أو شيء مماثل. كان هناك كثير من الدم. حتى لو بدت الأرضية نظيفة بالكامل، لو هناك آثار دماء، سيجدونها. لكن «ويب» لا يظن أنه قتلها هنا. فهو ذكي إلى درجة تجعله لا يفعل ذلك.

ينتقل الفريق ببطء في أرجاء المنزل. يمسحون كل شيء من أجل البصمات، ينظرون في الأدراج وأسفل الأثاث، يبحثون عن أي شيء قد يمدهم بمعلومات إضافية عن موت «أماندا بيرس».

يأخذون حاسوبها المحمول. هاتفها الخلوي الذي عُثر عليه في حقيبة يدها، منذ أسبوعين في الماء الذي جعله عديم الفائدة، لكنهم سيفحصون سجلات هاتفها الخلوي. يتساءل «ويب»، ماذا لو أن هناك أي شيء تخفيه «أماندا بيرس». أخبرت زوجها أنها كانت

مسافرة مع صديقة. ليس لديهم دليل على ذلك سوى أقواله. لكن ماذا لو أن كلامه صحيح، إذن «أماندا» كذبت عليه بشأن «كارولين لو». إذا كان الأمر كذلك، فمن كانت تقابل؟ هل اكتشف زوجها الحقيقة؟ هل قتلها بدافع الغيرة الشديدة؟ أم أن هناك سببًا آخر لقتله لها؟ ربما كان مسيئًا لها نفسيًّا. هل حاولت الفرار من الزواج وعلم ذلك؟

لم تسفر مقابلتهم مع «كارولين لو» عن شيء مفيد. كانت المرأتان صديقتين منذ الكلية لكنهما لم تريا بعضهما كثيرًا في الأشهر الأخيرة، لم تعرف «كارولين» إن كانت «أماندا» لديها عشيق، ولم تعلم بأي مشكلات زوجية محتملة. تفاجأت عندما اتصل بها «روبرت» وأخبرها أن «أماندا» قالت له إنهما تقضيان تلك العطلة معًا.

الآن في غرفة النوم الرئيسية، «روبرت» يشاهد في صمت، يلاحظ ببرود. يقترب فني من «ويب» ويقول بصوت منخفض:ـ أربع مجموعات متميزة من البصمات في المنزل. بالطابق السفلي في غرفة المعيشة والمطبخ. وبالأعلى هنا وفي غرفة المكتب... خاصة المكتب وأدراجه، وفي غرفة النوم على مفتاح الإضاءة، ومسند رأس السرير... وأيضًا في الحمام الداخلي.

هذا مثير، يفكر «ويب» وهو ينظر إلى «موين»، التي ترفع حاجبًا وهي تبادله النظر. يتجه إلى «روبرت» ويقول:

ـ هل استقبلت أصدقاء مؤخرًا؟

يهز رأسه.

ـ هل فعلت زوجتك؟

ـ كلّا، هذا ما أعرفه.

ـ عاملة نظافة؟

يهز «روبرت» رأسه.

ـ كلّا.

ـ هل لديك فكرة لماذا يوجد أربع مجموعات مختلفة من البصمات في منزلك بدلًا من مجموعتين... بصماتك وبصمات زوجتك؟

ـ كلّا.

يفكر «ويب»، أحدهما كان لديه عشيق أو ربما الاثنان. ربما جاءت «أماندا» بعشيقها إلى المنزل في غياب زوجها. كانت هذه مخاطرة.

ربما تسبب هذا في قتلها. سيستجوبون سكان الحي. ليعرفوا ما إذا كان أحدهم لاحظ شخصًا آخر يدخل المنزل أو يخرج منه.

لم يسفر البحث عن شيء آخر. يفكر «ويب»، ربما هذا ليس أمرًا عفويًّا، ربما خطط لهذا، وصولًا إلى الكذبة حول إخبارها له أنها ستسافر في عطلة نهاية الأسبوع. ينظر «ويب» إلى «روبرت»، الواقف في الزاوية، يراقب كل شيء. يحتاجون إلى أن يضغطوا بشدة على «روبرت بيرس». يعرف «ويب» أنه في الحالات التي تُقتل فيها الزوجة، يكون عادة الفاعل هو الزوج. لكنه ليس بالشخص الذي يستنتج قبل حصوله على الحقائق كافة. الأشياء نادرًا ما تكون بسيطة.

* * *

بينما تمشي «أوليفيا» بسرعة في الشارع، ترى شيئًا أمام منزل عائلة «بيرس». هناك جمهور يقف في الأرجاء، يحدقون في البيت الأبيض ذي النافذة البارزة والمصاريع السوداء.

المنزل ليس لافتًا للنظر، مثل عديد من المنازل المختلفة في الشارع، لكن المشهد السلمي المعتاد مختلف بعض الشيء الآن. توجد سيارات شرطة تركن على طول الشارع، وشاحنة شرطة بيضاء. مراسل يحاور أحد الجيران فوق الرصيف. لا ترغب «أوليفيا» في أن

تكون أحد الأشخاص البشعين الذين يتغذون على آلام الآخرين، لكن لا يمكنها إنكار كونها فضولية. من هنا، لا يمكنها رؤية أي شيء لما يحدث بالداخل، باستثناء المرور العرضي لأحد الأشخاص أمام إحدى النوافذ.

تتحرك «أوليفيا» بسرعة. تفكر في الأشخاص الموجودين في الشارع، يثرثرون، يتكهنون. تعرف ماذا يقولون، يقولون محتمل أنه هو من قتلها.

تفكر «أوليفيا» في «روبرت بيرس»، داخل منزله الآن مع الشرطة، الأشخاص يشاهدون من الخارج. فقد حقه في الخصوصية لأن زوجته قد قُتلت، وربما لم يكن له أي علاقة بالقتل.

تجد نفسها تتمنى، بأنانية، أن الاهتمام المستجد بـ«أماندا بيرس» يجعل الأشخاص ينسون كل شيء عن الاقتحامات والخطابات المجهولة. ❝

❞ ١٠

تنظر «بيكي هاريس» من نافذة غرفة ابنتها في جانب المنزل، محتجبة بالستارة. من هنا يمكنها رؤية الشارع بالأسفل ومنزل

«بيرس» المجاور. ترصد «أوليفيا» وهي تمشي بالخارج، في طريقها عابرة الحشد الصغير في الشارع. تمزق «بيكي» بعصبية الجلد حول أظافرها، وهي عادة قديمة كانت قد تركتها منذ سنوات، ولكنها عادت إلى الظهور مؤخرًا. تعيد انتباهها إلى منزل «بيرس».

تتساءل ماذا وجدوا، إن كانوا قد وجدوا أي شيء.

يخرج شخصان من المنزل. رجل وامرأة، كلاهما يرتدي بذلة سوداء. تتذكر رؤية الشخصين أنفسهما أمس، يوصلان «روبرت» إلى المنزل. تفكر، محققان. لا بد أنهما كذلك. يقفان أمام المنزل دقيقة يتحدثان مع بعضهما. تراقب عينَي الرجل وهما تمشطان الشارع جيئة وذهابًا. تومئ شريكته بالموافقة، ويبدآن الخروج من الممر.

واضح أنهما سيبدآن استجواب الجيران.

تلاحظ «جانيت» المحققين من خلف النافذة. تعرف أنهما سيجيئان منزلها قريبًا. تحاول تجاهل مدى القلق الذي تشعر به. فهي لا تريد التحدث مع الشرطة.

عندما يدق الباب أخيرًا، ترتعب بعض الشيء، حتى على الرغم من أنها تتوقع ذلك. تمشي إلى الباب الأمامي. يلوح المحققان على عتبة

بابها... خلفهما إطلالة مثالية على منزل «بيرس»، مباشرة عبر الشارع. عيناها ترفرفان بعصبية بعيدًا عن المحققين.

يُظهر الرجل شارته.

ـ أنا المحقق «ويب»، وهذه المحققة «موين». نحن نحقق في مقتل «أماندا بيرس»، التي تسكن في الجهة المقابلة لك من الشارع. نود أن نطرح عليك بعض الأسئلة.

تقول، بقدر يسير من العصبية:

ـ حسنًا.

ـ ما اسمك؟

ـ «جانيت بوروث».

يسأل «ويب»:

ـ ما مقدار معرفتك بـ«روبرت» و«أماندا بيرس»؟

تهز رأسها. تقول:

ـ ليس بدرجة كبيرة، حقًّا. أعرفهما شكلًا فقط. انتقلا هنا منذ ما يزيد على سنة بقليل. إنهما منطويان، كثيرًا.

ـ هل رأيتِهما يتشاجران قَطُّ، أو سمعتِهما يتشاجران؟

تهز رأسها.

ـ هل رأيتِ أي كدمات على «أماندا بيرس»، كدمة حول عينها، مثلًا؟

تقول «جانيت»:

ـ كلَّا، لا شيء من هذا.

ـ هل تصادف أن لاحظت «روبرت بيرس» خرج أو دخل يوم عطلة الأسبوع التاسع والعشرين من سبتمبر، العطلة التي اختفت فيها زوجته؟

لا تستطيع أن تتذكر رؤية «روبرت» على الإطلاق طوال تلك العطلة.

ـ كلَّا.

تسأل «موين»:

ـ هل رأيتِ قَطُّ أي أحد آخر يدخل أو يخرج من منزلهما؟

يجب عليها أن تجيب، لم ترغب في ذلك. تعض شفتها بعصبية وتقول:

ـ لا أريد أن أسبب أي مشكلة لأي أحد.

يقول المحقق «ويب» مؤكدًا، صوته هادئ لكنه حاسم:

ـ أنت لا تتسببين في المشكلات يا سيدة «بوروث». أنت تتعاونين مع تحقيقات الشرطة، إن كنت تعرفين شيئًا، يجب أن تطلعينا عليه.

تتنهد وتقول:

ـ أجل، رأيت شخصًا. جارتهم المجاورة، «بيكي هاريس». رأيتها تخرج من بابهم الأمامي، في منتصف الليل. نهضت لإحضار كوب حليب... أحيانًا أصاب بمشكلات في النوم... وتصادف أن نظرت من نافذتي. ورأيتها.

يسأل «ويب»:

ـ متى كان ذلك؟

لم ترد الإجابة، لكنها فعليًّا ليس لديها اختيار.

ـ كان في وقت متأخر جدًّا من ليلة السبت، العطلة الأسبوعية التي اختفت فيها «أماندا».

نظر المحققان إلى بعضهما وعلى وجهيهما التعبير ذاته.

يسأل «ويب»:

ـ هل أنتِ متأكدة تمامًا من التاريخ؟

تقول ببؤس:

ـ أجل. متأكدة منه. لأنه في يوم الثلاثاء، انتشرت شائعة تقول إن «أماندا بيرس» لم تعد إلى المنزل وإنه أبلغ عن فقدانها.

تضيف:

ـ زوج «بيكي» يسافر كثيرًا من أجل العمل. أعتقد أنه كان مسافرًا تلك العطلة. والأولاد في الكلية.

يقول «ويب»:

ـ شكرًا لك. لقد كنت مساعدة جدًّا.

تنظر إليه. تشعر بغصة في قلبها.

ـ لم أكن لأقول شيئًا قَطُّ، إلا لأنكم الشرطة. لن تخبرها من أين سمعتم بالأمر، أليس كذلك؟ نحن جارتان.

يومئ المحقق مودعًا لها وهو يستدير لكي يذهب، لكنه لم يجب سؤالها.

تتراجع «جانيت» داخل المنزل، مغلقة الباب بشيء من التجهم العبوس. لم تخبر أي أحد بما رأته. لو ترغب «بيكي» في خيانة زوجها، فهذا شأنها. لكن الشرطة، أمر مختلف. يجب إخبارهم بالحقيقة.

تتذكر «أماندا» في حفل الحي، عينيها الواسعتين، بشرتها المثالية، الطريقة التي تقلب بها شعرها للخلف عندما تضحك، فتنتن كل

الرجال. تتذكر «روبرت»، أيضًا، بالقدر ذاته من الوسامة، لكنه يراقب زوجته بهدوء. يمكنه الحصول على أي امرأة يريدها، إذا أراد.

إذن ما الذي أعجبه في «بيكي هاريس»؟

* * *

يسحب «رالي» باب خزانته بالقوة ليفتحها بعد حصته الأخيرة. يريد أن يسحب أغراضه ويذهب للمنزل وحسب. مر بيوم عصيب. أخفق في اختبار الرياضيات. ابتسم لفتاة لطيفة ولم تعِره انتباهًا، كأنه لم يكن موجودًا. هذا كله جزء من حياته العصيبة.

يقول «مارك»، الذي ظهر خلفه فجأة:

- مرحبًا.

يقول «رالي»، بلا حماس:

- مرحبًا.

يميل «مارك» مقتربًا منه ويقول:

ـ أين ذهبت بعد المدرسة أمس؟
ينظر «رالي» وراءه ليتأكد من أنه لا أحد ينصت.

ـ أقلتني أمي... كان عليَّ الذهاب لمقابلة المحامي.

يقول «مارك» متفاجئًا:

ـ حدث ذلك بسرعة. إذن ماذا قال المحامي؟

يجيب «رالي» بصوت منخفض:

ـ قال لو قُبض عليَّ، فسأذهب إلى دار الأحداث.

ـ أهذا كل شيء؟

ـ إلى حد كبير.

يزفر «مارك» الهواء بشدة.

ـ كم دفع أبواك مقابل ذلك؟

ينظر في عينيه ويقول:

ـ لا أعلم. وهذه ليست مزحة يا «مارك». انتهيت. لن أفعل ذلك بعد الآن. كان ممتعًا لفترة، لكنني الآن لا أريد أن أذهب إلى السجن.

يقول «مارك»:

ـ أكيد، أفهم ذلك.

ـ ماذا يفترض أن يعني هذا؟

ـ لا شيء.

يقول «رالي»:

ـ يجب عليَّ أن أذهب.

* * *

عندما يدق الباب، يجف الدم في عروق «بيكي». تقف في المطبخ، بشد عضلي في الكتف، تنتظرهم.

تفتح الباب وترى المحققين. من النافذة يبدوان عاديين. لكنهما عن قرب أكثر تخويفًا بكثير. تبتلع ريقها بعصبية وهما يقدمان أنفسهما.

يسأل المحقق «ويب»:

ـ اسمك؟

ـ «بيكي هاريس».

المحقق لديه نظرة يقظة استكشافية، تجعلها أكثر عصبية.

يسأل:

ـ هل تعرفين «أماندا بيرس»؟

تهز رأسها ببطء، عابسة.

ـ ليس تمامًا. أعني، أنا وزوجي شربنا معها هي وزوجها في مناسبة أو اثنتين... فقط بشكل عرضي. دعوناهما مرة واحدة، في بداية انتقالهما إلى هنا. وقاما بدعوتنا، بعدها ببضعة أسابيع. لكننا لم نكررها. لم نجد بيننا أشياء مشتركة، غير حقيقة أننا جيران.

ينتظر المحقق، كما لو أنه يتوقع المزيد.

تضيف:

ـ وأعتقد أن «أماندا» عملت أحيانًا بشكل مؤقت في مكتب زوجي. لكننا بالكاد نعرفهما، حقًّا. ما حدث لـ«أماندا» شيء فظيع.

يسأل المحقق، وهو ينظر إليها عن قرب:

ـ ولم تقضي أي وقت مع «روبرت بيرس» باستثناء هاتين المناسبتين؟

تتردد.

ـ اعتدت أن أرى «روبرت» عبر السياج أحيانًا، صيفًا، يجلس في الباحة الخلفية، يقرأ ويشرب البيرة. أحيانًا نتبادل الحديث، بشكل عرضي جدًّا. يبدو رجلًا لطيفًا.

تنظر إلى المحققين وتقول:

ـ كان محطمًا حينما فُقدت زوجته.

يسأل المحقق «ويب»:

ـ إذن تحدثت معه بعد اختفاء زوجته؟

تتحرك بعدم ارتياح.

ـ ليس تمامًا. فقط... عبر السياج الخلفي. عندما لم تعد «أماندا» إلى المنزل، أخبرني أنه قد أبلغ عن فقدانها، لكنه لم يرغب في أن يتكلم. بدا في حالة مزرية.

يميل المحقق رأسه باتجاهها، كما لو أنه يفكر في شيء. بعد ذلك يقول:

ـ إذن، لم تكوني في منزله حتى وقت متأخر من ليلة السبت في العطلة الأسبوعية التي اختفت فيها زوجته؟

تشعر بأنها تتورد باللون الأحمر الداكن، سيعرفان أنها تكذب. لكن ينبغي أن تنكر هذا.

ـ أنا... كلَّا، لا أعلم ما الذي تتحدث عنه. من أين جئتما بهذه الفكرة؟

هل أخبرهما «روبرت»؟

ـ هل أنتِ متأكدة؟

تقول بحدة:

ـ بالطبع أنا متأكدة.

يقول المحقق، ومن الواضح أنه لم يقتنع:

ـ حسنًا.

يسلمها الكارت الخاص به.

ـ ولكن إذا كنت ترغبين في إعادة النظر في قصتك، فيمكنك الاتصال بنا. شكرًا لكِ على وقتك.

* * *

يراقب «روبرت بيرس» من النافذة والمحققان يدقان أبواب الجيران، الواحد تلو الآخر، ويستجوبانهم عند أعتابهم. يشاهدهما يحاوران «بيكي»، الجارة المجاورة. تهز رأسها. تلقي نظرة عاجلة نحو منزله. هل تراه، يراقب من النافذة؟ يخفي رأسه عن النظر.

* * *

أعدت «أوليفيا» معكرونة بيني مع صلصة بيستو ودجاج من أجل العشاء. يأكل «بول» بهدوء، تذهب أفكاره بوضوح إلى مكان آخر. دار بينهما حديث قصير ومضطرب حول «أماندا بيرس» عندما عادت إلى المنزل من نادي الكتاب في الليلة السابقة. بعد ذلك، عندما عاد إلى البيت من العمل، أخبرها أن خبر «أماندا» انتشر في المكتب. تتساءل إن كان «رالي» سمع بذلك، أو أنه غافل ببساطة. يلتهم «رالي» وجبته من دون أن ينطق بكلمة. لقد كان متجهمًا وهادئًا منذ عودته من المدرسة، من الواضح أنه عابس. تشعر بتفجر الضيق. لم التعامل معهما أمر شاق؟ لماذا الأمر متروك لها للاستفسار عن حال الجميع، لفتح موضوع للحديث على طاولة العشاء؟ تتمنى لو أن «بول» يبذل جهدًا. لم يعتد أن يكون هكذا... إذن، هو مشتت. ومشكلات «رالي» الأخيرة تؤرق أجفانهما.

تسأل:

ـ كيف سار اليوم بالمدرسة يا «رالي»؟

يتمتم، وفمه مملوء، رافضًا التوضيح:

ـ على ما يرام.

ـ كيف سار اختبار الرياضيات الخاص بك؟

ـ لا أعلم. أعتقد كان جيدًا.

تقول:

ـ كانت الشرطة تفتش منزل عائلة «بيرس» اليوم.

يتجهم «بول» في وجهها. «رالي» ينظر لأعلى. تعرف «أوليفيا» أن المراهقين يعيشون إلى حد كبير في فقاعة من الأنانية... «أماندا» لا تشغل تفكيره، على الرغم من أنه اقتحم منزلها. تستدير نحوه.

ـ السيدة التي سكنت في نهاية شارعنا، «أماندا بيرس»... فُقدت منذ أسبوعين. فكر الجميع أنها هجرت زوجها.

يقول «رالي»:

ـ حسنًا، وماذا بعد؟

ـ اتضح أنها قُتلت. عثروا على جثتها أمس.

يضع «بول» أدوات المائدة ويخرج عن صمته.

ـ هل ينبغي أن نتحدث عن هذا على طاولة العشاء؟

تقول:

ـ حسنًا، الخبر منتشر في كل النشرات. يقولون الآن إنها ضُربت حتى الموت.

يسأل «رالي»:

ـ أين وجدوها؟

تقول «أوليفيا»:

ـ لم يذكروا على وجه التحديد. في الواقع، لم يقولوا الكثير. في مكان ما بالقرب من «كانينج»، على جبال «كاتسكيل».

يسأل ابنها:

ـ هل تعرفانها؟

تقول «أوليفيا»، وهي تنظر إلى زوجها:

ـ كلَّا.

يكرر «بول»:

ـ كلَّا. لا نعرفها.

تنظر إلى زوجها وتلاحظ تعبيرًا ما مكث على وجهه لبرهة، لكنه سرعان ما اختفى حتى إنها لم تتأكد من رؤيتها له على الإطلاق. تنظر بعيدًا. تقول «أوليفيا»:

ـ الأمر قريب جدًّا من المنزل، حيث قُتل شخص في شارعنا.

يسأل «رالي» باضطراب:

ـ هل يعرفون من قتلها؟

تقول «أوليفيا»:

ـ أعتقد أنهم يظنون أن زوجها متورط في الموضوع. على أي حال، كانوا يفتشون المنزل اليوم.

تعبث بالمعكرونة في طبقها وتنظر إلى ابنها. يبدو مضطربًا. تدرك فجأة الشيء الذي قد يضايقه. ماذا لو وجدوا بصمات «رالي» في المنزل؟ ❝

❞ ١١

تشعر «بيكي» بأنها مهزوزة وهي تدخل مركز الشرطة في وسط البلد يوم الأربعاء. استقبلت المكالمة الهاتفية صباح اليوم، بعد التاسعة بقليل. علمت، حتى قبل أن ترد عليها. حدقت في الهاتف، تراقبه وهو يرن، لكنها أجابت في النهاية.

كان المحقق «ويب». عرفت صوته قبل حتى أن يعرف نفسه، توقعت الأمر. ظهر المحقق في أحلامها الليلة الماضية، وليس بطريقة حسنة. طلب منها أن تأتي إلى المركز، في أقرب وقت مناسب لها. قصد بأسرع ما يمكن.

سألت بحذر:

ـ لماذا؟ لأي سبب؟

يقول المحقق:

ـ لدينا بعض الأسئلة الإضافية، إذا لم تمانعي.

يعرفون أنها كانت في منزل «روبرت» تلك الليلة. لا بد أن «روبرت» أخبرهم. لقد كانوا يعرفون أنها تكذب. قلبها يدق بصخب في أذنيها. لو اكتُشف هذا الأمر، فسيدمر زواجها، أسرتها.

ما كل هذا الحظ العثر! كيف لها أن تعرف، عندما طارحت جارها الوسيم الغرام ـ مرتين فقط، كما يتضح ـ أن كل ذلك سينفضح لأن زوجته ستُقتل وسيصبح الوسيم محور تحقيقات الشرطة؟ بالطبع استجوبوه، وضعوه تحت المجهر... وكان عليه أن يخبرهم.

لم تكن خائنة من قبل قَطُّ، طوال عشرين سنة من الزواج. وها هي الآن، تصعد درجات سلم مركز الشرطة، تأمل ألا يراها أحد يعرفها. وحينئذٍ تفكر، ما الفرق الذي سيحدثه هذا، إذا وصل كل هذا إلى الصحف بأي حال؟ إنها تشعر بالعار بلا شك، لديها أولاد، توأم في التاسعة عشرة من عمرهما... ماذا سيظنان بها؟ محال أن يفهما.

الضابط على مكتب الاستقبال يطلب منها أن تنتظر ويستقبل مكالمة. تجلس على مقعد بلاستيكي محاولة أن تبطئ أنفاسها. قد تستطيع إقناعهم بألا يستخدموا اسمها. تتساءل إن كان لها أي

حقوق على الإطلاق. تتساءل إن كانوا سيتهمونها بأي شيء. يقترب منها المحقق «ويب». تقف بعجالة.

يقول مجاملًا:

ـ شكرًا لمجيئك.

لا يمكنها حتى الإجابة، لسانها عالق في حنجرتها. يقودها إلى غرفة الاستجواب، حيث تجد المحققة «موين» منتظرة. إنها ممتنة لوجود امرأة أخرى هنا. لا ترغب في أن تكون وحدها مع «ويب». إنه يخيفها.

تقول «موين»، وهي تقدم لها مقعدًا:

ـ رجاء، اجلسي.

تجلس «بيكي» والمحققان يجلسان أمامها.

يقول المحقق «ويب»:

ـ لا داعي للتوتر.

يخبرها:

ـ إجابة أسئلتنا هو عمل تطوعي محض ويمكنك المغادرة في أي وقت.

لكن لديها كل الأسباب لتتوتر، وهو يعرف هذا.

تعرض «موين»:

ـ هل ترغبين في بعض الماء؟ فنجان من القهوة؟

تنظف «بيكي» حنجرتها وتقول:

ـ كلَّا. أنا بخير.

تجلس ويداها في حضنها، تحت الطاولة، حيث لا يمكنهما رؤيتها وهي تقتطف الجلد حول أظافرها، في انتظار انهيار حياتها.

يسأل «ويب» صراحة:

ـ هل أقمتِ علاقة جنسية مع «روبرت بيرس»؟

لا تستطيع أن تمنع هذا. تبدأ في البكاء. تنتحب بشدة إلى درجة لا تستطيع معها أن تجيب عن الأسئلة. تدفع «موين» صندوق مناديل فوق الطاولة باتجاهها. يسمحان لها بالبكاء. أخيرًا تزفر الهواء بشدة وتمسح عينيها وتنظر إليهما.

يكرر السؤال.

ـ أجل.

يقول «ويب»:

ـ لم تذكري ذلك عندما تحدثنا إليك أمس. أنكرت أنك كنت في منزله ليلة الثلاثين من سبتمبر.

تنظر إلى «موين»، التي تنظر إليها بنظرة قد تكون تعاطفًا.

تقول ببؤس:

ـ لم أرغب في أن يعرف أحد. لديَّ زوج وأولاد. هذا سيدمر أسرتي.

تميل «موين» نحوها وتقول:

ـ لا نريد أن ندمر أسرتك يا «بيكي». فقط نريد أن نعرف الحقيقة.

تنظر إلى المحققين بعينين منتفختين.

ـ لم أخبركما لأنني أعرف أنه لم يؤذِ زوجته. لم يكن ليؤذيها ولم يكن ليقتلها بكل تأكيد. «روبرت» لا يستطيع أن يؤذي ذبابة.

تستمر في فرك المنديل في يديها توترًا.

ـ لذلك لم أظن أنه يجب أن تعرفا. لم أظن أن العلاقة التي أقمناها ستكون لها أهمية. حدث هذا مرتين فقط. أفهم أنه توجب عليه أن يخبركما. أتمنى فقط لو أنه لم يفعل.

يقول المحقق «ويب»:

ـ لم يكن «روبرت» هو الذي أخبرنا.

ترفع رأسها فجأة.

ـ ماذا؟

ـ إنه ينكر إقامة علاقات جنسية مع أي أحد غير زوجته خلال زواجه.

تشعر «بيكي» بأنها ربما يغمى عليها. من غيره يعرف؟ بعد ذلك تدرك أنها تسببت في أن «روبرت» يُمسَك بكذبة.

ـ رآك أحدهم وأنت تخرجين من منزل «بيرس» في منتصف الليل، وخمن الوضع.

تسأل:

ـ من؟

تقول «موين»:

ـ لا أعتقد أن هذه الجزئية مهمة الآن.

تضع رأسها بين يديها وتهمس:

ـ آه يا إلهي.

يقول المحقق «ويب»:

ـ لسوء الحظ، هذه تحقيقات جريمة قتل، وأنتِ ضرر جانبي. أفضل شيء يمكنك عمله هو التعاون معنا بالكامل.

تومئ «بيكي» بضجر. ليس أمامها خيار. لكنها تشعر وكأنها تشي بـ«روبرت»، عندما حاول هو أن يحميها كما اتضح. تشعر بالدفء تجاهه من أجل هذا، مما يجعل ما عليها القيام به الآن أكثر إيلامًا.

تقول «موين»:

ـ أخبرينا عن علاقتك بـ«روبرت بيرس».

تبدأ «بيكي» بشكل بائس، وهي تنظر إلى المنديل الممزق في حضنها:
ـ فعليًّا، ليس هناك الكثير لأخبركما به. يسافر زوجي من أجل العمل كثيرًا. بدأ طفلاي التوأم ارتياد الكلية خارج المدينة السنة الماضية ولا يمكثان بالمنزل كثيرًا. كنت وحيدة، سئمت الفراغ. اعتدت أن أرى «روبرت» في باحته. أحيانًا تكون زوجته بالخارج. تجاذبنا أطراف الحديث بضع مرات، مثلما أخبرتكما. لكن من هنا نمت العلاقة. كان غباء، أعلم ذلك. فهو أصغر مني بكثير.

تتورد خجلًا.

ـ يمكنني القول إنه انجذب لي، حقيقة... فعل ذلك بوضوح... ولم أستطع المقاومة. فكرت... فكرت أنه لن يتأذى أحد. فكرت أنه لن يعرف أحد.

ينصت «ويب» إليها، تعبيره محايد، لكن «موين» تومئ لها متعاطفة.

تُكمل:

ـ في إحدى العطلات الأسبوعية من شهر أغسطس... قال إن زوجته سافرت لقضاء العطلة مع صديقة. دعاني عنده. لم يكن هناك أحد في منزلي... «لاري» مسافر في عمل وابناي بالخارج عند أصدقائهما. كانت هذه أول مرة.

تتردد... لا تريد إخبارهما بالجزء التالي.

ـ المرة الثانية كانت في نهاية سبتمبر، العطلة الأسبوعية التي فُقدت فيها.

يقول «ويب»، منتظرًا استكمال حديثها.

ـ أجل.

تقول «بيكي» بأسى:

- ليس لديكما أي فكرة كم كان هذا مؤلمًا. ولم أستطع أن أتحدث عنه مع أي أحد.

تنظر إلى المحققين.

- أعلم أنه لا يمكن أن يفعل ذلك. أخبرني أن «أماندا» مسافرة لقضاء العطلة مع صديقتها «كارولين»، وأنها لن تعود قبل ليلة الأحد. مكثت هناك حتى وقت متأخر جدًّا من ليلة السبت، وعدت إلى المنزل في الثانية صباحًا تقريبًا.

يسأل «ويب»:

- كيف عرفت أنه لا يمكن أن يفعل ذلك؟

تعدل من جلستها باضطراب.

- ثقا بي، مستحيل أن يكون قتل زوجته. كان لدينا هذا الروتين غير المعلن... تحدثنا فقط عبر السياج الخلفي، حيث لن يرانا أحد. لم

أرَه مرة أخرى حتى الثلاثاء التالي. أخبرني حينها أن «أماندا» لم تعد إلى المنزل. وأنه أبلغ الشرطة عن فقدانها.

تنظر إليهما بتألم.

ـ خشيت أن ينفضح الأمر، أمر أننا قضينا معًا عطلة الأسبوع تلك.

يسأل «ويب»:

ـ ومنذ ذلك الوقت، هل تحدثت معه؟

تهز رأسها.

ـ كلَّا. إنه يتجنبني. لم يعد يدخل الباحة الخلفية قَطُّ. وأعتقد أنني أردت أن أتجنبه، أيضًا، بعد كل شيء. تركت ذلك وراء ظهري.

تضيف:

ـ أنا متأكدة من أنه قلق من أن الأمر سيجعله يبدو سيئًا، ذلك أنه أقام معي علاقة، وزوجته... مقتولة. لكنني أؤكد لكما أنه رجل صالح. لا يمكن أن يؤذي امرأة. إنه فقط ليس من ذلك الطراز.

يقول «ويب»:

ـ ربما كان مختلفًا معكِ عما كان عليه مع زوجته.

تقول بعناد:

ـ لا أعتقد ذلك.

تقول المحققة «موين»:

ـ نود أن نأخذ بصماتك، إذا لم تمانعي.

تسأل «بيكي»، بذهول:

ـ لماذا؟

تتساءل مرة أخرى لو أنها ستتهم بشيء.

ـ وجدنا بعض البصمات غير المعرفة في غرفة نوم الزوجين «بيرس» وفي الحمام الداخلي. نعتقد أنها ربما تكون بصماتك. إذا لم تكن كذلك، نحتاج إلى أن نعرف مَن أيضًا دخل غرفة النوم هذه.

تشعر بأنها بدأت ترتجف. لم تُؤخذ بصماتها من قبل قَطُّ. تتمكن من السؤال:

ـ هل ستوجهان لي أي اتهام؟

يقول المحقق «ويب»:

ـ كلَّا. ليس في الوقت الحالي.

* * *

تعود «بيكي» من مركز الشرطة مباشرة إلى المنزل. تركن السيارة في الممر وتدخل المنزل عبر الباب الأمامي. ثم تعود إلى الطابق العلوي وترمي نفسها فوق سريرها.

سيعود ابناها من أجل عيد الشكر. بماذا ستخبرهما؟ والأمر الأكثر إلحاحًا، بماذا ستخبر زوجها عندما يعود إلى المنزل؟ هل يجب أن تخبره بكل شيء، أم تلتزم الصمت وتتمنى على نحو ما ألا ينفضح الأمر أبدًا؟

تنقلب على جنبها وتفكر بتوتر في «روبرت». لا أصدق أنهم يمكنهم التفكير في أنه قتل زوجته. هذا مستحيل. تفكر في يديه وهما

تتحركان على جسدها لأعلى ولأسفل. يبدو حقًّا أنه يستمتع بها... برفقتها. إنها تفكر في صدره النحيل الصلب، وشعره المتساقط على جبهته، وابتسامته التي تبرز على جانب واحد.

كيف تقنع الشرطة بأن عليهم البحث في مكان آخر؟ بدت احتجاجاتها هذا الصباح وكأنها تسقط على آذان صماء. «روبرت» لم يقتل زوجته. لو فهموا مثلما فعلت، لما فكروا فيه بشكل وثيق، ولما فكروا فيها. تريد أن تحمي نفسها، أن تحمي سرها. وتود أن تحميه.

لا تريد أن تعترف بذلك، لكنها تشعر بقدر من العشق تجاه «روبرت بيرس».

إنها متأكدة تمامًا من أن البصمات الموجودة في غرفة النوم بصماتها. عندما تقعين بتهور في نزوة، وتكسرين عهود زواجك وتقيمين علاقة مع رجل آخر، لا تفكرين أبدًا، نهائيًّا، أن بصمات أصابعك ستنتهي إلى التحقيق في جريمة قتل.

تريد أن تحمي «روبرت». لذلك لم تخبر المحققين بكل شيء.

لم تخبرهم أن «روبرت» أخبرها تلك الليلة أنه يشك في أن «أماندا» على علاقة غرامية. تخشى إن علمت الشرطة، فسيعتقدون أن لديه دافعًا.

ولم تخبر «روبرت»، عندما كانت راقدة في السرير بجواره، أنها عرفت من هو الذي قد تكون «أماندا» على علاقة غرامية به. لن تخبر المحققين بما رأته. إلا إذا أصبح ضرورة ملحة. لأنها تعرف من هو عشيق «أماندا». ومحال أن يقتلها كذلك. ❝

❞

١٢

عندما ينظر المحقق «ويب» إلى «روبرت بيرس» بعد ظهر ذلك اليوم، يرى رجلًا قد يكون قادرًا تمامًا على قتل زوجته. «بيرس» وسيم جدًّا وماهر ومغرور بعض الشيء وشائك قليلًا. يفكر «ويب»، لا بد أن يكون مختلفًا بعض الشيء عن جارته، «بيكي هاريس». كلنا نرتدي أقنعة. لدينا جميعًا ما نخفيه في مرحلة أو أخرى. يريد أن يعرف ما قد يخفيه «روبرت بيرس».

يجلس «بيرس» في مقعد على طاولة الاستجواب، مع تحكم كامل بنفسه. يجلس بارتياح، يسند ظهره على المقعد. لكن عينيه حادتان، لا تفوتان شيئًا.

يقول «بيرس»:

ـ إذن أنا المشتبه به الأول، أليس كذلك؟

يرد «ويب»:

ـ لست مشتبهًا به في الوقت الحالي. ولست محتجزًا... أنت حر في أن تذهب، إن رغبت.

يبقى «بيرس» في مكانه. يتفحصه «ويب» بعناية ثم يبدأ.

ـ تقول إنك وصلت البيت بعد العمل مباشرة نحو الساعة الخامسة من يوم الجمعة التاسع والعشرين. هل رآك أحد؟

ـ لا أعلم. هذا عملك، أليس كذلك؟ أليس هذا ما كنت تسأل الجيران عنه؟

لسوء حظ المحققين، كل التحقيقات مع الجيران كانت محبطة. باستثناء «بيكي هاريس»، يبدو أنه لا أحد يعرف الزوجين «بيرس». كانا منطويين. لم يتذكر أحد رؤية «روبرت بيرس» خارجًا من منزله أو داخلًا إليه تلك العطلة. لديه عادة إبقاء سيارته في المرآب، مع غلق الأبواب، لذلك من الصعب معرفة إن كان بالمنزل. باستثناء «جانيت بوروث»، لم يلحظ أي أحد أي شخص آخر يخرج أو يدخل. لم يكن هناك من يشهد له، لكنه ربما كان في المنزل يومي الجمعة

والسبت. أو ربما لم يكن بالمنزل. تظهر السجلات أن هاتفه الخلوي كان بالمنزل، وهذا لا يعني بالضرورة أنه كان بالمنزل. يسأل «ويب»:

ـ ماذا فعلت بعد ذلك؟

ـ مثلما أخبرتك من قبل، شاهدت التلفاز لبعض الوقت، ثم ذهبت للنوم مبكرًا. عادة أكون متعبًا جدًّا في نهاية الأسبوع.

ـ بمفردك؟

ـ أجل، بمفردي.

ـ ماذا عن يوم السبت؟

ـ نمت متأخرًا. تجولت في أرجاء المنزل. أنجزت بعض العمل. نظفت قليلًا.

ـ هل من أحد يثبت كلامك؟

ـ كلَّا. أعتقد ليس هناك أحد.

ـ ماذا عن المساء؟

يعدل من جلسته ويطوي ذراعيه على صدره، وينظر إلى «ويب» مباشرة في عينيه.

ـ انظر، لم أكن أمينًا تمامًا معك من قبل. في المساء، استقبلت صديقة لي. قضت معي أغلب الليل.

يسمح «ويب» بفترة توقف طويلة قبل أن يقول:

ـ من هي؟

ـ جارتي المجاورة، «بيكي هاريس». أعتقد أنكما تحدثتما معها أمس. رأيتكما، عند عتبة بابها.

ـ تحدثنا معها.

ـ لا أعرف بماذا أخبرتك. لم أخبرك من قبل لأنني كنت أحاول حمايتها. لا بد أنها لا تريد أن يعرف أحد. إنها متزوجة. كان هذا اندفاعًا بريئًا. لست فخورًا به. ما كان يجب أن أخون زوجتي. لكنني كنت وحيدًا، وهي كانت هناك، لذلك...

يهز كتفيه.

ـ لم يحدث هذا مرة أخرى.

يفحصه «ويب» بعينين ضيقتين.

ـ لكنه حدث من قبل، أليس كذلك؟

ينظر له «بيرس» مندهشًا.

ـ إذن أخبرتْك. كنت بالفعل تعرف كل شيء.

يضيف:

ـ أجل، تطارحنا الغرام مرة واحدة أخرى، في أغسطس. ليس بالأمر الجلل. فقط أطلقنا العنان لأنفسنا.

تسأل «موين»:

ـ إذن لماذا كذبت علينا يا «روبرت»؟ أخبرتنا أنك لم تخن زوجتك قَطُّ.

ـ ماذا تعتقدين؟ هذا يجعلني أبدو زوجًا سيئًا، وهذا ما تريدانه، أليس كذلك؟ وربما كنت. ولكن هذا لا يعني أنني قتلت زوجتي.

يميل إلى الأمام ويقول:

ـ أريدكما أن تتوقفا عن العبث معي وتعثرا على قاتل «أماندا». أريدكما أن تجدا الوغد الذي فعل هذا.

يقول «ويب»:

ـ آه، سنفعل.

تقول «موين»:

ـ ماذا عن يوم الأحد؟

ـ يعتدل «بيرس» في جلسته مرة أخرى. يوم الأحد ذهبت للعب الجولف مع بعض الأصدقاء طوال اليوم. لم يكن لديَّ أي فكرة أن «أماندا» لن تعود تلك الليلة. ولا بد أن أسماءهم وأرقام هواتفهم موجودة بالكامل في الملف. سيؤكدون الأمر. تناولنا العشاء في النادي، بعد ذلك ذهبت إلى المنزل لكي أنتظر «أماندا».

ـ هل لديك فكرة لمن تكون البصمات التي وجدت في منزلك؟

ـ أتخيل بعضها يخص «بيكي».

ـ ماذا عن المجموعة الأخرى؟

يهز كتفيه.

ـ ليست لديَّ فكرة.

ـ هل تخفي شيئًا آخر عنا يا «بيرس»؟

ينظر إلى «ويب»، بعينين وقحتين.

ـ مثل ماذا؟

ـ زوجتك. هل كانت على علاقة غرامية؟

يمضغ «بيرس» شفته.

ـ لا أعلم.

يقول «ويب» بنبرة غير رسمية:

ـ حقًّا؟ ربما كانت لديها علاقة غرامية واكتشفتها. ربما عرفت أنها لم تكن صديقتها «كارولين» هي الشخص الذي سافرت معه لقضاء تلك العطلة الأسبوعية. ربما عرفت وقتلتها.

لم يبدُ «روبرت» منزعجًا أو مندهشًا على الإطلاق.

ـ أو ربما أنك اختلقت ذلك، أنها قالت إنها مسافرة مع «كارولين». ربما رتبت لمقابلة زوجتك في مكان ما، ولم تكن لديها فكرة عما خططت له من أجلها.

يقول «روبرت»، وهو يهز رأسه:
ـ كلَّا. أنت أبعد ما تكون عن الحقيقة. لم أفكر حينها في أن «أماندا» كانت لها علاقة غرامية. الفكرة لم تخطر ببالي قَطُّ حتى تحدثت مع «كارولين» يوم الأحد وأدركت أن «أماندا» كذبت عليَّ.

لم يصدقه «ويب».

ـ هل تعرف أن زوجتك كانت حاملًا؟

ـ أجل. خططت للتخلص منه. لم نرغب في أطفال.

ينظر إليهما «بيرس» كما لو كان يتوقع منهما أن يواجها مشكلة في ذلك.

يقول:

ـ هل انتهينا؟

يفكر «ويب»، «بيرس» فقد أعصابه، لكنه يبلي حسنًا في محاولة عدم إظهار ذلك. يقول:

ـ أجل، لا تجعلنا نعطلك.

ويراقب بينما «بيرس» يدفع المقعد للخلف بشدة ويخرج.

تقول «موين»، بمجرد أن غادر «روبرت بيرس».

ـ ليست لديه حجة قوية. كان بإمكانه الذهاب إلى أي مكان يومي الجمعة والسبت. وترك هاتفه الخلوي في المنزل حتى لا يدلل على مكانه.

يقول «ويب»:

ـ كلما أراه، أبغضه. وغد متعجرف.

تلاحظ «موين»:

ـ لا يبدو أنه حزين بشكل خاص على زوجته.

يوافق «ويب»:

ـ نعم. لو كانت لـ«أماندا» علاقة غرامية، إذن مع من كانت على علاقة غرامية؟

تتمتم «موين»:

ـ لو نعلم ذلك، نكون أمسكنا بطرف الخيط. ❝

❞ ١٣

فتشت «أوليفيا» في الصحف والأخبار الإلكترونية يوم الأربعاء عن أي معلومات حول جريمة قتل «أماندا بيرس». من الغريب كيف انهمكت في الموضوع بسرعة كبيرة. ولكن لم يكن هناك شيء جديد،

وقليل في طريق الحقائق المؤكدة. كل ذلك كان مجرد إعادة صياغة لما قد قيل بالفعل. التحقيقات مستمرة.

حاولت التحدث مع «بول» حول الموضوع الليلة الماضية وهما في السرير.

تسأل:

ـ ماذا حدث لها برأيك؟

تمتم «بول»، محاولًا قراءة كتابه:

ـ لا أعلم.

تسأل «أوليفيا»:

ـ لا بد أنها كانت على علاقة غرامية. غير هذا السبب، لماذا تكذب على زوجها بخصوص مع من كانت؟

يقول «بول»:

ـ هذا ليس من شأننا يا «أوليفيا».

تجيبه، وهي متفاجئة قليلًا من لهجته:

ـ أعلم. لكن ألا تشعر بالفضول؟

يقول:

ـ نعم، لا أشعر.

لا تصدقه. بعد ذلك تطرقت إلى موضوع عرض «رالي» على متخصص. لم تتوقع منه أن يعجب بالفكرة، لكنها لم تكن مستعدة لرد فعله.

تقول:

ـ «بول»، أنا قلقة على «رالي».

ـ أعرف.

ـ أنا فقط... أعتقد أنه يجدر بنا أن نرسله إلى معالج نفسي.

هنا وضع كتابه وحدق فيها.

ـ معالج نفسي.

ـ أجل.

ـ لماذا نفعل ذلك بحق الجحيم؟

ـ لأنه ربما... ربما يكون من المفيد له التحدث مع أحد.

ـ «أوليفيا»، هو لا يحتاج إلى معالج نفسي. بل يحتاج إلى ركلة قوية في المؤخرة.

تحدق فيه، بضيق.

بعدها يضيف «بول»:

ـ ألا تعتقدين أنك تبالغين في رد فعلك؟

ـ نعم، لا أعتقد. الموضوع جدِّي يا «بول».

ـ جدِّي، نعم، لكنه ليس مختلًّا عقليًّا يا «أوليفيا».

تقول بسخط:

ـ ليس بالضرورة أن تكون مختلًّا عقليًّا حتى تذهب لمعالج نفسي.

لماذا يكون رجعيًّا في هذه الأشياء؟

ـ هذه مجرد مرحلة. وسنتعامل معها. هو لا يحتاج إلى معالج نفسي.

ـ كيف تعرف؟ ما الذي يجعلك الخبير؟

يقول بحدة:

ـ لن أناقش هذا الموضوع يا «أوليفيا».

وأطفأ ضوء الطاولة بجانب سريره وأدار جانبه بعيدًا عنها ليخلد إلى النوم.

كانت مستلقية في السرير بجانبه، وهي غاضبة، لفترة طويلة بعد أن بدأ الشخير.

الآن، بينما تشرب فنجان قهوة بعد الظهيرة، تستعيد أنها رأت «بول» يقرأ مقالًا عن «أماندا بيرس» في الجريدة الليلة الماضية. لديه فضول. بالطبع هو كذلك. هو فقط لا يريد أن يعترف بهذا. يستطيع «بول» دائمًا أن يكون مدعيًا للمثالية بعض الشيء.

* * *

يكشف تقرير البحث الجنائي حول السيارة وممتلكات «أماندا» عن القليل بشكل محبط.

تقول «ساندرا فيشر»، طبيبة شرعية من مكتب الطب الشرعي:

ـ آسفة لأنني خذلتك، لكننا لم نصل إلى الكثير.

يومئ «ويب»، لم يتوقع الكثير، من السيارة التي كانت في الماء، لكن يجب دائمًا ألا نفقد الأمل.

تقول:

ـ لم نجد أي دم أو جلد أو شعر باستثناء ما يخص الضحية. لا شيء نحصل منه على ملف حمض نووي. ولم نستطع الحصول على أي شيء آخر... لا بصمات ولا ألياف.

يسأل «ويب»:

ـ هل حصلتم على أي شيء من حقيبة اليد أو الأمتعة؟

فحصوا بالفعل سجلات هاتفها الخلوي ولم يكشفوا عن أي شيء، بلا شك ليست هناك علامة على وجود أي رجل على علاقة بها.

تهز رأسها.

ـ آسفة.

يومئ «ويب» وينظر إلى «موين». أيًّا كان من قتل «أماندا» ودفع بالسيارة في البحيرة، فهو لم يترك أي أثر.

تقول «فيشر»:

ـ كما تعرف، لا يوجد شيء في مكان العثور على السيارة يشير إلى أن هذا هو المكان الذي قُتلت فيه. كان يجب أن يوجد كثير من الدماء. الأرجح أنها قتلت في مكان آخر والقاتل قاد سيارتها إلى ذلك المكان لإغراقها.

يقول «ويب»:

ـ محتمل أنه يعرف المنطقة، علم أنها ستكون مكانًا جيدًا للتخلص من سيارة. مكان مهجور، لا يوجد حاجز أمان، ومنحدر لائق، والماء يصبح أعمق بسرعة.

تومئ «موين» بالموافقة. تقول:

ـ خاطر بأن يراه شخص ما، مهما كان الطريق مهجورًا.

يسأل «ويب»:

ـ هل وجدتم أي شيء آخر في السيارة؟ أي شيء في تابلوه السيارة؟

ـ دليل المالك وسجل الخدمة. عدة إسعافات أولية. علبة مناديل. كانت الضحية مرتبة جدًّا.

تزفر «فيشر» الهواء بشدة في عدم تصديق واضح.

ـ يجب أن ترى القرف في سيارتي.

يكتم «ويب» شعوره بخيبة أمله. كان يأمل في الحصول على شيء.

تقول «فيشر»:

ـ البصمات التي بغرفة نوم عائلة «بيرس» متطابقة مع بصمات «بيكي هاريس». لكننا لا نعرف لمن تكون مجموعة البصمات الأخرى. لا يظهر في أي مكان. لأي من كانت، فهي موجودة في غرفة المكتب وفي كل مكان بالمكتب، كذلك.

* * *

أخذ «روبرت بيرس» الأسبوع إجازة من العمل. إنه الأربعاء وحسب. أخبروه أن يأخذ أي وقت يحتاج إليه. لا يكترث للعودة إلى المكتب. يتساءل عما إذا كان زملاؤه المحامون في شركة المحامين الخمسة الصغيرة يفكرون بأنه قاتل. محتمل أنهم يفكرون. يجول في أرجاء منزله ويفكر في استجواب المحققين له في وقت مبكر بعد ظهر ذلك اليوم، يعيده مرارًا وتكرارًا في عقله.

يتساءل ماذا تفعل «بيكي». يعرف أنها بالمنزل. سيارتها في الممر. كان يتجنبها. تلاعب بها، بقدر من الوقاحة. هذا لا يزعجه كثيرًا. كان من السهل جدًّا إغواؤها. لكنه قلق مما قد تخبره للمحققين غير ذلك، الآن انكشف السر. أخبرتْهما أنهما تطارحا الغرام. هل أخبرتهما أيضًا أنه فكر في أن لـ«أماندا» علاقة غرامية؟ هل ستفعل؟ يود أن يعرف.

يجد نفسه في المطبخ، ينظر عبر الأبواب الزجاجية المنزلقة إلى الفناء. الجو معتدل بعد ظهر اليوم، مع لمسة من الثلج في الهواء. يقرر أن يسحب زجاجة بيرة ويخرج لبعض الوقت. ربما ستخرج، ربما لا تفعل.

يسير «روبرت» بخطى حثيثة نحو الباحة الخلفية. إن كانت تراقب من داخل المنزل، ستكون قادرة على رؤيته هناك، لا تستطيع رؤيته في الفناء ما لم تخرج إلى باحتها الخلفية.

يسمع صوتًا لا يخطئه خلفه لصوت باب منزلق مجاور يُفتح، ويتوقف. يعرف أنه لا يوجد أحد في الشارع يستطيع رؤيتهما هنا، لديهما كل الخصوصية التي يحتاجان إليها. يستدير يرفع عينيه عبر السياج نحو منزل «بيكي». تقف هناك، في الممر، تحدق فيه. يمشي ببطء عبر السور باتجاهها.

تبدو بحال مزرية. شعرها الأشقر الحريري المعتاد يبدو باهتًا، ولا تضع أي مساحيق تجميل. يتساءل كيف استطاع أن يطارحها الغرام. تبدو كما لو أنها كبرت في السن خلال الأسبوعين الماضيين.

تظل عند الباب المفتوح، تراقبه، وقفتها جامدة. لا يمكنه قراءة تعبيرها. ربما أساء فهمها طوال الوقت. للحظة، يشعر بطعنة من

الضيق تجاهها. يبتسم. ومن ثم تعطيه ابتسامة مترددة بالمقابل، تظهر الغمازات بوجهها، ويتذكر لماذا وجدها جذابة لفترة وجيزة.

يقول، بالطريقة التي يعرف أنها تحبها. رجولية لكن بهمس وإغراء:

ـ «بيكي».

تخطو ببطء خارج الباب وتتجه نحوه كما لو أنه يسحبها إليه بسلسلة غير مرئية. وهذا قطعًا سهل معها. كان دائمًا كذلك.

يلوي فمه إلى جانب واحد، ويميل برأسه عليها.

يقول:

ـ تعالي هنا.

وتفعل. تأتي إليه بسرعة كبيرة عند السياج، الطريقة التي اعتادت عليها.

يقول، عندما تقترب، فما يفصل بين وجهيهما يقل عن اثنتي عشرة بوصة:

ـ «بيكي». افتقدتك.

تغلق عينيها، كما لو أنها لا تريد أن تنظر إليه. لماذا؟ هل تعتقد أنه قاتل؟ يرى دمعة تبدأ في التشكل عند زاوية إحدى عينيها.

يسأل برفق:

ـ هل أنتِ بخير؟

تفتح عينيها برعشة وتهز رأسها. تقول، وصوتها يبدو مختنقًا:

ـ كلَّا.

ينتظر.

تقول، بهمس:

ـ إنهم يعتقدون أنك قتلت «أماندا».

إنه يعرف ذلك، يريد أن يعرف ماذا تعتقد هي.

ـ أعرف. لكنني لم أقتلها يا «بيكي». تعرفين ذلك، أليس كذلك؟

ـ بالطبع! أعرف أنك لم تقتلها!

إنها أكثر حيوية الآن، وغاضبة تقريبًا، نيابة عنه.

ـ لم تكن لتقدر على فعل هذا. أخبرتهم بذلك.

تتجهم.

ـ ولو أنني لا أعتقد أنهم صدقوني.

يقول:

ـ آه، حسنًا، أنت تعرفين، هؤلاء هم الشرطيون. دائمًا يفكرون أن الزوج هو الفاعل.

تقول:

ـ إنهم يعرفون شأننا.

الطريقة التي قالت بها شأننا جعلته ينكمش خوفًا، لكنه حريص ألا يظهر لها هذا.

ـ أعرف.

ـ آسفة. كان عليَّ أن أخبرهم.

ـ لا بأس. أنا أخبرتهم، أيضًا. لا بأس يا «بيكي».

ـ لم أكن لأقول أي شيء، لكنهم كانوا يعرفون بالفعل.

ـ ماذا؟

ـ رآني أحدهم وأنا أخرج من منزلك في منتصف الليل، تلك العطلة التي اختفت فيها «أماندا».

ـ من؟

انتباهه مركز عليها الآن بحدة أكبر. من كان يراقب منزله في منتصف الليل؟ كان يفترض ببساطة أن «بيكي» أفضت إلى الشرطة بحقيقة أنهما أقاما علاقة معًا.

ـ لا أعلم، لم يخبرني المحققان.

تنظر إليه، وجهها ملطخ بالدموع الجديدة ومبطن بالقلق. تقول، بصوت مرتجف:

ـ أنا خائفة من أن ينفضح الأمر. أعتقد أن بصماتي في غرفة نومك. أخذوا بصماتي في مركز الشرطة. لا أعلم بماذا أخبر زوجي.

تنظر إليه بتوسل، كما لو أنه يستطيع أن يحل هذه المشكلة من أجلها. لا يمكنه أن يساعدها. إنه بالكاد يعيرها اهتمامًا، يتساءل من رآها تغادر مكانه في وقت متأخر من الليل.

تنظر إليه بعينين كبيرتين دامعتين، وتقول:

ـ ماذا لو تحدثت معه الشرطة؟

يفكر، هذه مشكلتك.

ـ «بيكي»، بماذا أخبرتِ المحققين، تحديدًا؟

ـ فقط أننا شربنا أحيانًا، أننا تحدثنا عبر السياج، أننا تطارحنا الغرام مرة في أغسطس عندما كانت «أماندا» مسافرة، ومرة أخرى ليلة السبت تلك العطلة التي اختفت فيها. وأنك محال أن تؤذيها.

يومئ مؤكدًا.

ـ هل قلت لهما إنني أشك بأن «أماندا» كانت على علاقة غرامية؟

ـ كلَّا، بالطبع لا. أنا لست غبية.

ـ حسنًا، لا تخبريهما بذلك. لأن هذه ليست الحقيقة. لا أعرف لماذا قلت ذلك.

تبدو مندهشة.

ـ آه.

يريد أن يتأكد من أنها تفهم.

ـ لم أفكر قَطُّ أن «أماندا» تعاشر شخصًا آخر. حتى ليلة الأحد عندما تكلمت مع «كارولين». تعرفين هذا، أليس كذلك؟ هل ستتذكرين هذا؟

قد تكون خائفة قليلًا منه الآن. جيد.

تقول:ـ بالتأكيد.

يومئ، ولا يعطيها الابتسامة الملتوية.

ـ انتبهي لحالك يا «بيكي». ❝

❞ ١٤

تعمل «أوليفيا» في غرفة المكتب بالطابق العلوي بعد ظهر اليوم عندما تسمع جرس الباب يرن. تتساءل ماذا لو أنهما المحققان، يوسعان تحرياتهما. تسرع بهبوط السلالم إلى الباب الأمامي. لكن لم يكن المحققان يقفان هناك، إنها سيدة لم ترَها من قبل قَطُّ. أكبر في السن، قد تقترب من الستين، بجسم ممتلئ. وجهها العريض تخططه التجاعيد، وشعرها الأشقر مرتب، وتضع أحمر شفاه شاحبًا. «أوليفيا» على وشك أن تقول بأدب:

ـ كلَّا، شكرًا لك.

وتغلق الباب، متضايقة من التطفل، عندما تقول السيدة، وتبتسم بحرارة:

ـ لا أحاول بيع أي شيء.

تتردد «أوليفيا».

تقول السيدة بنبرة ودية:

ـ اسمي «كارمن».

يبدو الاسم مألوفًا، لكن «أوليفيا» لا تستطيع تذكر أين سمعته.

ـ ماذا تريدين؟

ـ آسفة على مضايقتك، لكنني انتقلت إلى هنا قريبًا. وتعرض منزلي لاقتحام مؤخرًا. أنا أتجول في الحي أخبر السكان أن يحترسوا.

يبدأ قلب «أوليفيا» فورًا في الدق. تقول، محاولة إبداء تعبير متعاطف بشكل مناسب:

ـ شيء فظيع. هل سرقوا الكثير؟

ـ كلَّا، لم يُسرق أي شيء.

تقول «أوليفيا»:

ـ آه، هذا جيد. إذن لم يقع ضرر.

تريد أن تغلق الباب بعنف في وجه المرأة، لكنها لا تتجرأ أن تكون وقحة معها.

تجيب السيدة:

ـ لن أقول إنه ما من ضرر وقع. الفتى تسلل إلى منزلي. وليس منزلي فقط... الظاهر أنه اقتحم منازل أخرى بالمثل، واخترق حواسيب الأشخاص.

تقول «أوليفيا»، مندهشة من مباغتة السيدة:

ـ آه يا إلهي. هل أمسكوا بمن فعلها؟

تأمل أن يكون وجهها وصوتها هو ما تتوقعه هذه السيدة في هذه الظروف. إنها حزينة لأنها لا تستطيع أن تبوح.

ـ كلَّا. لكنني استلمت خطابًا مجهولًا بخصوص الموضوع. الظاهر أنه كان صبيًّا مراهقًا، وأمه كتبت هذا الخطاب من أجل الاعتذار. لكنني لا أعرف من هي.

تحمل الخطاب. الخطاب الذي كتبته «أوليفيا» وطبعته ووضعته من خلال فتحة البريد الخاصة بهذه السيدة. هل كشفت الأمر؟ هل تعرف أنه كان «رالي»؟ هل هذا هو سبب مجيئها هنا؟ لمواجهتها؟ «أوليفيا» لا تعرف كيف تتصرف، ماذا تقول. هذه السيدة ما جاءت هنا لولا أن كتبت «أوليفيا» الخطاب. تنظر إليها السيدة، تفحصها بعناية.

تسأل:

ـ هل أنت بخير؟

تقول «أوليفيا»، ووجهها متورد:

ـ أجل، أنا بخير. آسفة، كنت مريضة مؤخرًا.

تكذب.

ـ وما زلت لم أتعافَ بشكل كامل.

تقول السيدة وهي تنظر إليها عن كثب.

ـ آه، إذن أعتذر لمضايقتك بهذا.

ـ كنت أستريح عندما قرعت الجرس.

تقول السيدة بتعاطف.

ـ آسفة.

لكنها لا ترحل. بل تقول:

ـ أرى أن لديك شبكة كرة سلة في الممر الخاص بكِ.

تفقد «أوليفيا» أعصابها وتريد أن ترحل هذه السيدة المتطفلة وحسب. إنها حقًّا تشعر بتوعك وبأن وجهها متورد، كما لو أنها قد يُغمى عليها. لكنها لا تريد أن يبدو الأمر كما لو أن هذا الحديث يضايقها. في ارتباكها، تتساءل لماذا تشير السيدة إلى شبكة كرة السلة. بعد ذلك تدرك.

كل ما يمكن أن تفكر في قوله:

ـ أجل.

تسأل:

ـ مراهقون؟

تنظر إليها «أوليفيا» الآن، عيناها تقابلان عينَي السيدة. وهذا يبدو كما لو أن هناك تواصلًا غير منطوق بينهما... تسألها السيدة إن كان ابنها هو من اقتحم المنزل وإن كانت هي التي كتبت الخطاب. ما هذه الوقاحة الرهيبة لهذه السيدة، التي تقف بالباب!

ـ أجل. هناك كثير من المراهقين في المنطقة.

تقول السيدة:

ـ يمكن أن يكون المراهقون صعاب المراس.

تسأل «أوليفيا»:

ـ هل لديكِ أطفال؟

تومئ السيدة.

ـ ثلاثة. كبروا جميعهم الآن وابتعدوا. أحدهم كان مشاغبًا فعليًّا.

تتردد «أوليفيا»، على شفا دعوة المرأة للداخل، لكنها بعد ذلك تتذكر «بول» والمحامي والأهم من ذلك كله «رالي». لا يمكنها الاعتراف بأي شيء لهذه السيدة. يجب أن تتمسك «أوليفيا» بموقفها.

تقول «أوليفيا»، مؤيدة:

ـ لديَّ ولد. أنا محظوظة جدًّا. لم يسبب لي أي مشكلات قَطُّ.

تكذب.

ـ على الأقل حتى الآن. أنا فخورة جدًّا به.

تقول السيدة بقدر من البرود:

ـ أنت محظوظة جدًّا.

لا بد أن هذه السيدة تعرف ـ أو تشك في الوقت الحالي ـ أن ابنها هو من اقتحم منزلها، وأنها هي المرأة التي تشعر بالخزي كاتبة الخطاب. تشعر «أوليفيا» بالتعب في معدتها وتريد بإلحاح أن تنهي هذا الحديث.

تقول «أوليفيا»:

ـ أجل، أعرف. حقًّا يجب أن أذهب. إلى اللقاء.

وتغلق الباب وتسرع إلى الطابق العلوي، حيث تجري إلى الحمام وتفرغ غداءها في المرحاض. تأتي الدموع إلى عينيها، كما تفعل دائمًا عندما تتقيأ. ولكن بينما لا تزال تحوم حول قاعدة المرحاض، تنهمر الدموع بغزارة. لقد أفسدت الأمور بحق. تشعر بخوف وحزن على حد سواء. هذه السيدة اكتشفت ما اقترفتْه. يجب أن تكون قد اكتشفت. ماذا سيحدث لـ«رالي» الآن؟ هذه السيدة لا يمكنها إثبات أي شيء، أليس كذلك؟ لكن «أوليفيا» لا تريد أن يعرف «بول» أو «رالي» ـ خاصة «بول» ـ أنها أرسلت هذه الخطابات.
الواضح أنها لا يمكنها أيضًا أن تخبرهما عن زيارة السيدة إلى منزلهم.

تقف «أوليفيا» ببطء على قدميها وتشطف فمها على الحوض. تنظر إلى نفسها في المرآة... تبدو في حالة مريعة. غير قادرة على التعامل مع الموقف بمفردها، تتصل بـ«جليندا» وتطلب منها أن تأتي. تصل «جليندا» بعد نحو خمس عشرة دقيقة، بشعرها الكستنائي القصير المبعثر بفعل الرياح ووجهها المبطن بالقلق.

تسأل، وهي تخطو إلى الداخل:

ـ ما الخطب؟

تعرف «أوليفيا» الحالة التي تبدو عليها. تبدو كأنها تقيأت للتوِّ. تبدو مضطربة. لكن إن كان هناك أي أحد يمكنها الوثوق به بشأن هذا الموضوع، فستكون «جليندا». يمكنها أن تخبر «جليندا»، لكن لا يمكنها إخبار زوجها. إلى ماذا يشير ذلك في زواجها؟ تفكر «أوليفيا» بسرعة. لكن لا يوجد شيء خاطئ حقًّا في زواجها، تخبر نفسها، هذه ظروف خاصة. هي عادة لا تخفي شيئًا عن «بول»، وهو لا يخفي شيئًا عنها، باستثناء هذا الشيء الوحيد الذي تتمنى الآن لو لم تفعله قَطُّ. لكنها لا تريد أيضًا أن يكتشفه «بول». تتساءل إن كان بإمكانها أن تخبره ببساطة، أم لا. هذا ما تسعى إليه مع «جليندا»... الدعم العاطفي، وإسداء المشورة لها بشأن ما يجب فعله بعد ذلك.

تبدأ:

ـ «جليندا». حدث أمر فظيع.

يتغير وجه «جليندا» فجأة كما لو أنها تفكر أن شخصًا ما قد مات.

ـ ما الأمر؟

تقودها «أوليفيا» إلى المطبخ ومن ثم تستدير وتواجهها. تقول:

ـ أنا بالفعل تصرفت بغباء، مع هذه الخطابات.

تقول «جليندا»، بارتياح واضح:

ـ آه، فكرت أنه وقع حادث أو شيء من هذا القبيل.

تقول «أوليفيا»:

ـ كلَّا.

تقول «جليندا»:

ـ لا تقلقي كثيرًا بشأن الخطابات. سوف تندثر. لن يكتشف أحد أن «رالي» هو من فعل ذلك.

ـ أعتقد أن هناك من اكتشف بالفعل.

تجلسان و«أوليفيا» تخبرها عن «كارمن».

تقول «أوليفيا»:

ـ لا بد أنها السيدة التي تسكن بجوار «زوي». هل تتذكرين حديث «زوي» عن هذا في نادي الكتاب؟

تعض «جليندا» شفتها، تفكر. تسأل «جليندا»:

ـ لم تتهمك فعليًّا بكتابة الخطابات، أليس كذلك؟

تعترف «أوليفيا»:

ـ ليس بشكل مباشر. لكن يمكنني الإخبار بما كانت تفكر فيه من الطريقة التي كانت تنظر بها إليَّ.

تنظر إلى «جليندا» ببؤس.

ـ أتمنى لو استطعت إخفاء مشاعري بشكل أفضل، لكنك تعرفين طبيعتي. يمكنها معرفة أنني كنت مرتبكة، ولِمَ يجدر بي أن أكون، إذا لم يكن ابني هو من اقتحم منزلها؟

تسند مرفقيها على طاولة المطبخ وتحمل رأسها بين يديها. تفكر كيف بدأ الأمر، قبل بضعة أيام فقط، وهي و«بول» يستجوبان «رالي» بشأن الأمر في هذا المطبخ بالذات.

ـ لو لم أكتب هذه الخطابات اللعينة، لما عرفت حتى أنه كان هناك. سيغضب «بول» جدًّا مني.

تقول «جليندا»، محاولة التخفيف عنها:

ـ حقًّا هذا ليس ذنبك. لم تفعلي أي شيء خاطئ. «رالي» هو من اقتحم. أنتِ تصرفت بدافع الأدب. كنت تحاولين عمل الشيء الصحيح.

ترد «أوليفيا» بمرارة:

ـ وانقلب الأمر عليَّ.

ـ «بول» سيتفهم.

ـ كلَّا، لن يتفهم. ولا «رالي» كذلك.

ـ لكنك وضعت تلك الخطابات من خلال فتحات البريد ليلة الأحد. لم تذهبي إلى المحامي قبل الاثنين. الأمر يختلف لو أنك أرسلتِ الخطابات بعد أن قال المحامي ألا تفعلي.

ـ كلّا. لكني أعرف أن «بول» لم تعجبه الفكرة. وربما كان يجب أن أعترف بذلك في حينها، في مكتب المحامي، لكنني لم أعترف. على الأقل سيكون كل هذا في العلن، ويمكنني أن أعود إلى المحامي وأسأله ماذا أفعل.

ـ ما زال بإمكانك سؤال المحامي ماذا تفعلين. لكن يجب أن تصارحي «بول» أولًا. سيكون عليك إخباره.

تقول «أوليفيا» ببؤس:

ـ أعلم، يا لها من فوضى. وأنا قلقة جدًّا على «رالي». لماذا فعل هذا؟ لماذا يريد أن يتسلل إلى منازل الآخرين؟

تهز «جليندا» رأسها بيأس.

ـ لا أعلم.

ـ اقترحت على «بول» الليلة الماضية أنه ربما يجدر بنا إرسال «رالي» إلى معالج نفسي. أخبرني أنني أبالغ في رد فعلي، وأنها مجرد مرحلة. هو لا يؤيد ذلك... في الواقع، كان مصرًّا على رأيه.

كانت هذه أول مناقشة حقيقية بينهما منذ سنوات. والثانية ستكون الليلة، عندما تخبره عن الخطابات.

تقول «جليندا»:

ـ هذا أسوأ شيء في الأبوة. لا تعرف إن كنت تقوم بالشيء الصحيح، إن كان عليك أن تتقدم أو تتراجع. آباؤنا تجاهلونا وحسب. ربما كان هذا أفضل.

تتنهد «أوليفيا»:

ـ أعلم.

تنظر «جليندا» إليها باضطراب وبعدها تنظر بعيدًا.

ـ أنا قلقة على «آدم»، طول الوقت. منذ أن بدأ بشرب الخمر. الأمر يختلف عن أنني و«كيث» ندمن الخمر.

تتجرأ «أوليفيا»:

ـ هذا بسبب الأولاد الذين يتسكع معهم.

ـ لم يعتد أن يتسكع مع هؤلاء الأولاد. اعتاد أن يكون رياضيًّا وأكاديميًّا. الآن تتدنى درجاته ويُفوت التدريبات. وأصبح مزاجيًّا ووقحًا. صراحة، الوجود معه شيء فظيع.

تستطيع أن تسمع «أوليفيا» الإجهاد في صوت «جليندا». تبدوان هما الاثنتان مجهدتين هذه الأيام عندما تتحدثان عن طفليهما. هذا غير معتاد. اعتادتا أن تجلسا حول حوض سباحة الأطفال، تدردشان وتضحكان، هادئتان في توقعات أن طفليهما سيكونان مشرقين وجميلين وغير مزعجين. تفكر «أوليفيا»، يبدو أن الآباء لديهم دائمًا رؤى متفائلة بشكل مفرط عن مواهب أطفالهم ومستقبلهم عندما يكونون أطفالًا صغارًا... ربما بهذه الطريقة يتمكنون من الاستمرار.

أخيرًا تنهض «جليندا» لكي ترحل.

ـ ليس بالطريقة التي اعتقدنا أنها ستكون، أليس كذلك؟

* * *

تمشي «جليندا» إلى البيت وهي تفكر بعمق. يحذرك الجميع أن فترة المراهقة ستكون شاقة، لكنها لم تتوقع أي مشكلة مثل التي تعالجها. تفكر في مشكلاتها. ابنها... ماذا سيحدث له؟ تجد نفسها تنفجر فجأة بالبكاء. ماذا سيحدث لهم جميعًا؟

تفكر فيما حدث الليلة الماضية. منذ سنة، كان «آدم» يخرج من أجل تدريبات أو لعبة رياضية. وربما قد تبقى هي و«كيث» على العشاء، ويتناولان كأسًا مميزة من النبيذ، ويتحدثان. هذا شيء لا يفعلانه منذ ذلك الوقت. لم تعد تشتري النبيذ كثيرًا على الإطلاق، لأنها لا تريد أن يراهما «آدم» وهما يشربان. هل هذا هو سبب توقفها عن شرائه، أم أنها تخشى أن يسرق «آدم» بعضًا منه؟ ربما الاثنان.

لم تعد هي و«كيث» يتحدثان كثيرًا. في المنزل، الأمور متوترة. الغريب أنها هي و«كيث» لا يبدوان على طبيعتهما إلا عندما يكونان خارج المنزل، مع الآخرين. تفكر في ليلة الجمعة الماضية عندما ذهبت مع «كيث» إلى منزل أسرة «شارب» لتناول العشاء. ربما أفرطا في الشرب قليلًا في تلك الليلة... يطلقان العنان لأنفسهما لأن «آدم» لم يكن هناك لرؤيتهما، وكان عليهما فقط السير إلى الشارع التالي للوصول إلى المنزل.

كانت «أوليفيا» و«بول» في حالة معنوية جيدة. لم يعرفا حينها أن ابنهما كان بالخارج يقتحم المنازل. قامت «أوليفيا» بعمل شواء ممتاز، وشربت «جليندا» نبيذها وراقبت زوجها الذي لا يزال وسيمًا للغاية وهو يضحك مع «بول»، وهما يتذكران بعض الأشياء المضحكة التي حدثت على مر السنين. لقد كانت أمسية رائعة، مثل

الأوقات القديمة. لو يستطيعون فقط إعادة عقارب الساعة إلى الوراء. ❝

❞ ١٥

تنتظر «أوليفيا» حتى الانتهاء من غسيل أطباق العشاء و«رالي» في غرفته، متصلًا بالحاسوب المحمول الخاص به مع وضع سماعات الرأس، ظاهريًّا يؤدي واجبه المنزلي. «بول» في غرفة المعيشة، يطالع الجريدة.

تقف صامتة لحظة، تراقبه. عليها إخباره. تجلس بالقرب منه فوق الأريكة. ينظر «بول» من وراء الجريدة.

تقول له برفق:

ـ نحتاج إلى أن نتحدث.

تعلو وجهه في الحال نظرة قلق. لا تبدأ عادة بهذا النوع من البدايات. هذا يبدو نذير شؤم. إنه نذير شؤم.

يسأل، بصوت منخفض أيضًا:

ـ ما الخطب؟

ـ هناك شيء يجب أن أخبرك به، ولن يعجبك.

يبدو منزعجًا الآن. ينتظر، وعيناه تركزان عليها، في حالة تأهب. تقول:

ـ لا أريد أن يسمع «رالي» بذلك حتى نقرر ماذا سنقول له.

ـ بحق المسيح يا «أوليفيا»، ما الأمر؟ أنت تخيفينني.

تأخذ نفسًا عميقًا وتقول:

ـ في عطلة الأسبوع الماضي ـ قبل أن نذهب إلى المحامي ـ كتبت خطابات اعتذار إلى أصحاب المنازل التي اقتحمها «رالي».

ينظر إليها بارتياب.

يقول بشكل قاطع:

ـ لكنك لم ترسليها.

تمضغ خدها من الداخل.

ـ بل فعلت. وضعت خطابات مجهولة متطابقة في فتحات البريد لديهم.

يحدق فيها بفم مفتوح، في ذهول واضح. بعد ذلك يغمغم:

ـ عمَّ تتكلمين؟

ـ أخذت «رالي» بالسيارة، عندما كنت بالخارج تلعب الجولف يوم الأحد الماضي، وجعلته يريني المنزلين اللذين تسلل إليهما.

يهسهس مستاء منها، بغضب واضح:

ـ ولم تخبريني؟

ـ نعم.

ـ لم لا؟

ـ لأنني أعرف أنه لن يعجبك.

يرتفع صوته.

ـ بالطبع لا يُعجبني! أخبرتك بالفعل أنني أرى الاعتذار فكرة سيئة! واتفق معي المحامي.

ـ أعلم. وأنا آسفة. فعلت هذا قبل أن نذهب إلى المحامي.

تبدأ بالبكاء.

ـ لم أفكر في أن ذلك سيحدث أي ضرر، وفكرت أنه يجب الاعتذار بشكل ما. لا يوجد شيء في الخطاب يشير إلى «رالي».

ينظر إليها بغضب بارد.

ـ لا يعجبني أنك فعلت ذلك من وراء ظهري.

تقول، تقريبًا بذات البرود:

ـ أعلم. وأنا آسفة، ولكن لماذا ينبغي أن تتخذ أنت كل القرارات؟ لا أحب أن تخبرني بما يمكنني عمله وما لا يمكنني.

تشعر بغضب نحوه فجأة. لماذا ينبغي أن يقرر كل شيء؟ على الرغم من أنه هذه المرة كان محقًّا بالكامل. ما زالت مستاءة بسبب تسلطه عليها الليلة الماضية بخصوص عرض «رالي» على معالج نفسي. تأخذ نفسًا عميقًا وتزفر.

ـ ارتكبت خطأً. كنت محقًّا. ما كان يجب أن أفعل هذا. أشعر بالسوء لأنني ذهبت من وراء ظهرك. وشعرت بالاستياء لأنني لم أخبرك. لم نخفِ أسرارًا من قبل عن بعضنا قَطُّ. طالما كنا صادقين بعضنا مع بعض.

يبتعد عنها.

ـ دعينا فقط نتمنى ألا يتسبب لنا سوء التقدير هذا بتلقي ركلة قوية في المؤخرة. كيف فعلت هذا من دون أن تتكلمي معي؟ هذه ليست طبيعتك.

لأنك لم تمنحني خيارًا، تريد «أوليفيا» أن تبوح بذلك، لكنها تلزم الصمت. تمر لحظة، لكن التوتر بينهما لا يتلاشى.

يسأل «بول» بحدة، وهو يستدير نحوها مرة أخرى:

ـ إذن لماذا تخبرينني بذلك الآن؟

ـ لأنه... قد تكون هناك مشكلة.

يتوتر صوته:

ـ أي مشكلة؟

تتشجع «أوليفيا» لكي تخبره بالجزء التالي.

ـ جاءت سيدة هنا اليوم. اسمها «كارمن». تسكن بجوار «زوي»، من نادي الكتاب.

تتوقف «أوليفيا»، بعد ذلك تجبر نفسها على الاستمرار.

ـ اقتحم «رالي» منزلها. كانت تتجول في الحي، تخبر السكان عن الاقتحام، وتعرض عليهم الخطاب.

يحملق «بول» فيها بسخط.

ـ لم تخبريها الحقيقة، أليس كذلك؟

ـ نعم، بالطبع لم أخبرها!

يزفر «بول» الهواء بشدة:

ـ حسنًا، هذا إنجاز.

ـ لكن ربما تكون قد خمنت.

ـ كيف؟

تصيح «أوليفيا»:

ـ أنت تعرف طبيعتي! لا يمكنني إخفاء أي شيء! كنت متوترة فعليًّا. سألتني إن كنت بخير. يمكنها معرفة أنني كنت متوترة. بعد ذلك بدأت تسأل إن كان لديَّ مراهقون في المنزل. خشيت أن تكون كشفت الأمر.

مر صمت طويل مؤلم. «أوليفيا» لا تستطيع حتى أن تنظر إلى زوجها. بدلًا من ذلك تحدق ببؤس في الأرضية.

يغمغم «بول»:

ـ بحق المسيح. لا يمكنني أن أصدق.

بعد لحظة، يسأل:

ـ كيف كانت تبدو؟

ـ ماذا تعني؟

ـ هل هي من النوع الذي قد يواصل هذا ويوجه اتهامات؟ هل محتمل أن تقتفي أثره؟

ـ أنا... لا أعلم. ربما. أعني، لماذا تتجول في الأساس وتطرق الأبواب؟

تسمع «أوليفيا» صوتًا وتنظر لأعلى، و«بول» ينظر لأعلى أيضًا. ترى «رالي» يقف في ممر غرفة المعيشة، يبدو متوترًا.

يسأل «رالي»:

ـ ما الذي انكشف؟ ماذا يجري؟

ينظر بقلق إليهما. وهي تنظر إلى «بول». عليهما إخباره.

يسأل «رالي»:

ـ لماذا تبكين يا أمي؟ ماذا حدث؟
تنظر «أوليفيا» إلى زوجها، في تقييم للموقف، هو بالفعل غضبان منها. ليس لديهما خيار. تستدير إلى «رالي». تكره فكرة أن يسمع «رالي» بأمر الخطابات، وأنه قد يكون كُشف أمره. سيلومها. لن يتحمل المسؤولية بدوره، سيلومها فقط على الخطابات. تلملم شتات نفسها. تفكر بكآبة، هذا ما حدث عندما تدخلتِ.

يرتمي «رالي» فوق مقعد بمسندين، في مواجهتهما فوق الأريكة، وتعبير وجهه منزعج.

ـ هل سيُقبض عليَّ؟

تقول «أوليفيا»:

ـ كلَّا.

يوضح «بول»:

ـ نتمنى ألا يحدث.

وترى «أوليفيا» وميضًا سريعًا من الخوف في عيني «رالي».

يقول «رالي» بسرعة:

ـ لم آخذ شيئًا. لن أفعل هذا مرة أخرى أبدًا. أقسم.

يقول «بول»:

ـ هذا ما نأمله. لكن أمك هنا ـ ضد رغباتي الصريحة ـ تضع خطابات اعتذار من خلال فتحات بريد المنازل التي اقتحمتها.

يستدير «رالي» نحوها في عدم تصديق وخوف واضح.

ـ لماذا تفعلين ذلك؟ المحامي قال...

تقاطعه «أوليفيا»:

ـ أعرف ما قاله المحامي. فعلت هذا قبل ذهابنا إلى المحامي. ظننت يجب أن يعتذر أحد لهؤلاء الأشخاص ويخبرهم أن حواسيبهم قد اختُرقت. ما زلت أفكر أن هذا الشيء الأخلاقي الصحيح الذي يجب عمله.

يصبح صوتها دفاعيًّا.

ـ والخطابات كانت مجهولة... ليس بها ما قد يشير إليك يا «رالي».

يقول «بول»:

ـ باستثناء أن أحد الأشخاص الذين اقتحمت منزلهم جاء ودق على بابنا الأمامي اليوم. وتعصبت أمك وربما جعلت السيدة ترتاب.

ينظر «رالي» كما لو أنه سيتقيأ.

يقول «بول»:

ـ لذا لم ينتهِ الأمر بالضرورة بعد.

تجبر «أوليفيا» نفسها على القول:

ـ المنزل الآخر الذي اقتحمه «رالي» كان للزوجين «بيرس».

ينظر «بول» جيئة وذهابًا بينهما، تعبير وجهه ذاهل.

ـ وتخبرينني بهذا الآن فقط؟

تقول «أوليفيا» بتوسل:

ـ لم أعتقد أن هذا مهم.

ـ لم تعتقدي... يا يسوع المسيح! فتشت الشرطة هذا المنزل!

تقول «أوليفيا»:

ـ أعلم.

يقول «بول»، وهو يستدير إلى ابنه:

ـ لا أفترض أنك ارتديت قفازًا يا «رالي»؟

يهز «رالي» رأسه، ويبدو خائفًا، ويقول:

ـ لست مجرمًا.

يقول «بول»:

ـ آه يا إلهي.

تقول «أوليفيا»، بصوت متوتر:

ـ الشرطة ليس لديها سجل ببصمات «رالي». لا يمكنهم ربط «رالي» بالاقتحامات. قطعًا لا يمكنهم إثبات أي شيء ضد «رالي»؟

يسأل «بول»:

ـ ماذا لو تذهب هذه السيدة إلى الشرطة وتتهمه؟ ماذا لو يأخذون بصماته؟ سيعرفون أنه كان في هذين المنزلين اللعينين!

ترسل «أوليفيا» نظرة يائسة وتتوسل المغفرة من ابنها، لكنه يستدير ويهرب إلى الطابق العلوي، قبل أن ينفجر بالبكاء مرة أخرى.

* * *

يعود «رالي» إلى غرفة نومه ويغلق الباب بعنف خلفه. يرمي نفسه فوق سريره ويضع سماعات الأذن الخاصة به ويشغل الموسيقى بصوت عالٍ. يريد أن يمحو المشهد الذي حدث بالطابق السفلي من ذاكرته، لكنه لا يستطيع. يظل يفكر فيه. كيف تكون أمه بهذا الغباء؟ أراد أن يصرخ فيها، لكنه لم يتجرأ. وأبوه... أبوه ما زال غاضبًا منه، يمكنه أن يفهم ذلك. والآن أبوه غاضب من أمه أيضًا.

«رالي» غاضب من الجميع، لكنه يعرف من أعماقه أن الذنب في الغالب ذنبه.

يستلقي في سريره، قلبه يدق، يتساءل لو قُبض عليه. سيكون عليه رؤية المحامي المخيف مرة أخرى. إنه يشعر بالسوء بشأن مقدار المال الذي قد يتكبده أبواه. سيعوضهما. سيكون ابنًا صالحًا. سيبدأ القيام بالأعمال المنزلية، سيعمل بجد في المدرسة.

«رالي» خائف للغاية. كل مرة يدق فيها أحد الباب، سيفكر أنها الشرطة، جاءت من أجله.

* * *

تفقد «بيكي» أعصابها في منزلها الخاوي، وهو أوسع بكثير من أن يكون لشخص واحد. إنها ليلة الأربعاء. كان زوجها مسافرًا لمدة أسبوع من أجل العمل، في الساحل الغربي، وإن كانا يتواصلان هاتفيًّا. سيعود إلى المنزل مساء الغد. إنها فخورة بزوجها، «لاري»، وممتنة أنه ناجح... إنها لا تحتاج إلى العمل... لكن أحيانًا تشعر بالوحدة. مع الفترات الطويلة والسفر، افتقد كثيرًا الطفلين وهما يكبران. لم تدرك ذلك حقًّا عندما كان الابنان هنا، لكن منذ أن ذهب التوأم إلى الكلية، افتقدته. لم يكن العمل من المنزل هو الخيار

الأفضل بالنسبة إليها، إنها تفضل الخروج من المنزل. لكنها أرادت أن تعود إلى المحاسبة، والعمل الوحيد الذي استطاعت العثور عليه هو العمل المستقل. الآن أفسدت الأمور حتى إنها تتساءل لو أمكنها فقط العثور على وظيفة بدوام كامل في محل بمكان ما. شيء يخرجها من المنزل. إنها تحتاج إلى إبقاء نفسها مشغولة. لأنها تفكر كثيرًا في «روبرت بيرس»، الجار المجاور الوحيد، وفي الحال التي كانا عليها معًا.

تفكر فيه باضطراب. هو شك بالفعل في أن زوجته كانت على علاقة غرامية. وهذا يجعلها غير مرتاحة. ما قاله لها، أن يخبرها بما تفعله. هو يكذب، ويريدها أن تكذب، أيضًا. من الواضح أنه يخاف من الشرطة. يمكنها تفهم ذلك. لا يريدها أن تخبر المحققين أنه يعرف أن زوجته كانت تخونه. حسنًا، لن تخبرهما. لا يجب أن يخاف منها.

الآن تتذكر شيئًا آخر... إحدى ليالي الصيف. كان هذا قبل أن يتطارح «بيكي» و«روبرت» الغرام للمرة الأولى، لكنها كانت بالفعل منجذبة إليه بلا أمل، تخصص الكثير من وقتها للتفكير به.

لم تقصد «بيكي» أن تتجسس عليهما. لكنها كانت ليلة حارة، وكانت تاركة نافذة الطابق العلوي مفتوحة وسمعت موسيقى تأتي من باحتهما الخلفية. قطعة من موسيقى الجاز البطيئة تتسرب عبر نسيم الصيف العليل، شيء رومانسي. تنظر من النافذة، حريصة ألا يراها أحد. كان «روبرت» و«أماندا» في الحديقة الخلفية، يحوطان

بعضهما البعض بذراعيهما. باغتها شعور فوري بالغيرة. آه، أن تكون شابًّا وتقع في الحب مرة أخرى... ترقص على ضوء القمر! لم تستطع «بيكي» أن ترى وجهيهما، لكن بعد مراقبتهما لدقيقة، شعرت أن هناك شيئًا خاطئًا. شيء متعلق بالطريقة التي كانا يمسكان بها بعضهما. لم تكن «أماندا» مسترخية في حضن زوجها، بدت وكأنها تتحرك بشكل متصلب بينما كانا يرقصان، كما لو أنها غير راغبة، تقريبًا كما لو أنها مجبرة.

بعد لحظة، رأت «بيكي» تشنجات كتفي «أماندا». كانت تبكي، ووجهها مدفون في صدر زوجها.

الآن تتساءل «بيكي» مرة أخرى عما رأته. كانت تحمل أفكارًا رومانسية عن «روبرت»، هي تعرف ذلك. ماذا كان يحدث في تلك الليلة في الظلام؟

تخبر «بيكي» نفسها مرة أخرى، وهي تحدق في الظلام، لم يكن بإمكان «روبرت» أن يقتل «أماندا». من المؤكد أنها ستعرف ما إذا كان شخص مارست الجنس معه قاتلًا. لا بد أنها ستكون قادرة على معرفة ذلك. ❝

❞

تتلكأ «كارمن» في واجهة الرصيف الخاصة بها صباح الخميس عندما ترى «زوي» تخرج من المنزل وتتجه إلى سيارتها. تنادي:

ـ مرحبًا، «زوي»!

وتشق طريقها إلى ممر جارتها المجاورة.

تنادي «زوي»:

ـ مرحبًا، «كارمن». كيف حالك؟

تصل إلى الممر.

ـ بخير. هل سمعتِ أي أخبار جديدة عن تلك المرأة المقتولة؟

تهز «زوي» رأسها.

ـ أمر مروع للغاية. أن يكون لديك شخص مقتول كان يسكن بالجوار.

تضيف، بتعبير مهيب:

ـ أثق أن الشرطة ستكتشف من القاتل.

تتوقف ويدها على باب السيارة.

ـ هل حالفك الحظ في إيجاد مقتحم منزلك؟

تقول «كارمن»:

ـ أعتقد ذلك. هل تعرفين عائلة «شارب»؟ في شارع «سبارو»؟ لديهما صبي مراهق، صحيح؟

تتجهم «زوي» وتضيق عينيها، تفهم قصدها.

ـ أجل، «رالي». لا يمكنك التفكير أنه هو.

ـ لم لا؟

ـ حسنًا، ولماذا تظنين ذلك؟ إنه ابن «أوليفيا» و«بول». لا يمكن أبدًا أن يفعل شيئًا مثل هذا. أنا أعرف «أوليفيا». إنها معي في نادي الكتاب.

تظل «كارمن» صامتة، تراقب «زوي».

تسأل «زوي» صراحة:

ـ لم تعتقدين أنه هو؟

تقول «كارمن»:

ـ ذهبت هناك بعد ظهر أمس. من رد فعلها، أقسم إنها تعرف بالضبط ما أتحدث عنه. بدت متوترة جدًّا، ومذنبة. أراهن على مائة دولار أنها كتبت ذلك الخطاب.

تنزعج «زوي»:

ـ لا أظن ذلك.

تتوقف.

ـ كنا نتحدث عن هذا في نادي الكتاب، ولم ألحظ أي شيء.

تقترح «كارمن»:

ـ ربما يمكنك التحدث معها.

ـ ماذا تعنين؟

تقول «كارمن»:

ـ اكتشفي إن كان ابنها هو الفاعل، وإن كانت كتبت الخطاب.

ـ لن أسألها عن ذلك!

تقول «كارمن»:

ـ حسنًا.

وتبتعد.

تنادي «زوي»:

ـ انتظري! ماذا ستفعلين؟

تقول «كارمن»:

ـ لا أعرف حتى الآن.

وتتجه عائدة إلى الداخل.

* * *

يقف «ويب» و«موين» عند العتبة الأمامية لـ«بيكي هاريس» ويقرعان الجرس. يشعر الاثنان بأنها لا تزال تخفي شيئًا، وأنها تعرف أكثر مما قالته.

سيارتها في الممر. اليوم ملبد بالغيوم ويهدد بهطول المطر. يرن «ويب» الجرس مرة أخرى، وهو يلقي نظرة على «موين» توحي بنفاد الصبر.

أخيرًا ينفتح الباب. تبدو «بيكي» كما لو أنها لم تنَل قسطًا كافيًا من النوم. شعرها مسحوب إلى الخلف في ذيل حصان كما لو أنها لا تريد أن يزعجها. ترتدي سروال اليوجا وسترة لا شكل لها.

تسأل:

ـ ماذا تريدان؟

يسأل «ويب» بأدب:

ـ هل يمكن أن ندخل؟

ـ لماذا؟

ـ لدينا بضعة أسئلة إضافية.

تتنهد وتفتح الباب على مضض.

يتساءل «ويب» عن تغير مزاجها. في اليوم السابق كانت تبكي وخائفة من الفضيحة، لكنها تبدو اليوم خاضعة. قضت ليلة طويلة، وربما بلا نوم تفكر في الموضوع. ربما تدرك أنه حتمًا سينكشف طيشها. تقودهما إلى غرفة المعيشة. لا تطلب منهما أن يجلسا ولا تعرض عليهما شيئًا، من الواضح أنها لا تريدهما هنا. لا يمكنه لومها. فقد أقامت علاقة مع جارها، وهو الآن المشتبه به الرئيسي في تحقيقات جريمة قتل.

يجلس المحققان على الأريكة، تنهار «بيكي» أخيرًا على مقعد بمسندين في الزاوية المواجهة لهما.

يبدأ «ويب»:

ـ نقدر أن هذا ليس سهلًا بالنسبة إليك.

تراقبه «بيكي» باضطراب، عيناها تندفعان نحو «موين» كما لو أنها تطلب الدعم، ثم تعود إليه.

ـ لكننا نعتقد أن هناك الكثير مما يمكنك أن تخبرينا به.

تقول «بيكي»:

ـ أخبرتكما فعليًّا بكل شيء. لا أعرف أي شيء عن مقتل «أماندا».

تغير من جلستها باضطراب.

ـ أخبرتك أنني لا أظن أنه فعلها. يجب أن يكون شخص آخر فعل ذلك.

يقول «ويب»:

ـ نحن فقط نشعر بأنك تخفين شيئًا عنا يا «بيكي». هناك شيء لم تخبرينا به.

تنظر إليه بتعبير قاسٍ غاضب تقريبًا، لكن يديها تتململان في حضنها. يلاحظ أن الجلد حول أظافرها متمزق.

تقول أخيرًا:

ـ تحدثت معه بعد ظهر أمس، عبر السياج.

ينتظر بصبر. تنظر إلى حضنها.

ـ كان بالخارج، في الباحة الخلفية. رأيته، وفتحت الباب الخلفي. نادى عليَّ.

تبدو أنها تفكر للحظة، كما لو أنها تقرر ماذا ستقول. «ويب» بالفعل لا يثق أن الحقيقة ستخرج من فم «بيكي»، لكن نسخة معدلة منها بعض الشيء.

ـ سألني إذا كنت فكرت أنه قتل «أماندا». أخبرته أنه بالطبع لم يفعل. وأخبرني أنه لم يقتلها، وقلت إنني أصدقه. أخبرته أنكما تعرفان بشأن علاقتنا. وأنني قلقة من وجود بصماتي في غرفة نومه، وأن زوجي قد يكتشف الأمر... وهذا من شأنه أن يدمر زواجي، ويحطم أسرتي.

بدأت عيناها تملأهما الدموع. تضع يديها على وجهها، وتغطي فمها. يجد «ويب» نفسه يحدق في بشرة أظافرها الممزقة.

يحثها، عندما تتوقف عن الكلام لفترة.

ـ هل قال شيئًا آخر؟

تهز رأسها.

ـ كلَّا، لا أتذكر غير ذلك.

تشهق ثم تنظر إليهما.

ـ زوجي قادم الليلة. سينكشف كل شيء، أليس كذلك؟

يقول «ويب»:

ـ لا بد من أن تظهر الحقيقة.

تنظر إليه بمرارة.

ـ وإن حدث ذلك، أتمنى أن يحدث. أتمنى أن تجدوا القاتل الحقيقي وتتركوا «روبرت» وشأنه. لأنني لا أعتقد أنه فعلها.

تتوقف كما لو أنها تلملم شتات نفسها. تغير شيئًا في وجهها، كما لو أنها توصلت إلى قرار من نوع ما.

ـ هناك شيء آخر عليَّ إخباركما به.

يميل «ويب» إلى الأمام، ويضع مرفقيه على ركبتيه، وينظر إليها بانتباه شديد.

ـ ما هو؟

ـ أعرف أن «أماندا» كانت تعاشر شخصًا آخر.

يسأل «ويب»، وهو يشعر بوخز من الإثارة:

ـ كيف تعرفين ذلك؟

ـ رأيتهما معًا، وأنا متأكدة. لم أرغب في إخباركما، لأنني أعرفه، وأعرف أنه لا يمكن أن يقتل «أماندا» كذلك. أعلم أنك ستلاحقه فقط كما لاحقت «روبرت»، في حين أنه على الأرجح قتلها شخص مخبول في مكان ما، ولم يقتلها زوجها، أو الرجل الذي كانت تعاشره، الذي ربما لم يكن مخلصًا، ولكنه لم يكن ليؤذي ذبابة.

ـ «بيكي»، من الذي رأيت «أماندا» معه؟

تتنهد بثقل، وأسف، وتقول ببؤس:

ـ إنه «بول شارب». زوجته، «أوليفيا»، صديقة لي. يسكنان في آخر الشارع. في المنزل رقم ثمانية عشر.

يحثها المحقق «ويب»:

ـ أخبرينا بما رأيت يا «بيكي».

* * *

«بيكي» مضطربة بسبب ما هي على وشك فعله، لكن تشعر بأنه لا خيار أمامها. مثلما قال المحقق، ستظهر الحقيقة في النهاية. إنها تقول الحقيقة الآن، لا أكثر، ولا أقل.

ـ رأيت «بول» و«أماندا» معًا في إحدى الليالي، قبل اختفاء «أماندا» بوقت قصير. كانت السماء تمطر، وكانا يجلسان في سيارة «أماندا». كانت التاسعة ليلًا تقريبًا، وكنت عائدة من قاعة السينما في وسط

البلد. كانا في موقف سيارات. كانت هناك حانة في الجهة المقابلة من موقف السيارات. تساءلت لو أنهما كانا معًا في الحانة.

- و...

تفكر، محاولة أن تتذكر كل التفاصيل.

- كانا في المقعد الأمامي... هي على مقعد السائق. وهناك إضاءة في موقف السيارات تسطع عليهما وتمكنت من رؤيتهما بوضوح كبير. كنت مصدومة جدًّا من رؤيتهما معًا، تجمدت في مكاني ولم أحرك ساكنًا وحدقت لدقيقة، لكنهما كانا منكبين بعضهما على بعض إلى درجة أنهما لم يلاحظاني.

- هل أنت متأكدة تمامًا من أنهما هما؟

- أنا متأكدة. كان وجهاهما متقاربين في البداية، فكرت أنهما يقبلان بعضهما. لكن بعد ذلك، بعد دقيقة، بدا أنهما يتشاجران.

- أكملي.

- كان يقول لها شيئًا، كما لو أنه غاضب، وهي سخرت منه وتراجعت وهو أمسك بذراعها.

يسأل «ويب»:

ـ إذن فكرت أنهما يتعاشران؟

تومئ.

ـ هذا ما بدا عليه الأمر. بدا أنهما... على علاقة حميمية. فما السبب الآخر الذي يجعلهما معًا هناك؟

تنظر إلى حضنها.

ـ شعرت بالاستياء من أجل «أوليفيا». إنها صديقة وفية لي. لطالما اعتبرت «أماندا» مغازلة، لكنني لم أظن قَطُّ أن «بول» قد يخون «أوليفيا».

ـ هل يمكن أن تكوني أكثر تحديدًا بشأن التاريخ؟

تغلق عينيها لحظة، محاولة أن تتذكر. أخيرًا تفتح عينيها وتقول:

ـ كان يوم الأربعاء... لا بد أنه كان في العشرين من سبتمبر.

تراقب «موين» وهي تدون على عجل.

ـ هل رأيتهما معًا في أي وقت آخر؟

تهز رأسها.

ـ كلَّا.

يسأل المحقق «ويب»:

ـ لماذا لم تخبرينا من قبل؟

تقول:

ـ آسفة، لكنني أفكر أن «بول» غير قادر على إيذاء أي شخص. و«أوليفيا» صديقة لي. أكره أن أفعل ذلك لها.

ـ هل ذكرت هذا من قبل لـ«روبرت بيرس»؟

ـ كلَّا. بالطبع لا.

يضغط عليها:

ـ هل أنت متأكدة من ذلك؟

ـ أجل، أنا متأكدة.

تسأل «موين»:

ـ هل تصادف أن عرفتِ مكان عمل «بول شارب»؟

ـ أجل. شركة «فانشو» للأدوية ـ شركة زوجي نفسها. في شارع «ووتر»، بوسط المدينة.

تراقب «موين» وهي تدون. يسأل «ويب»:

ـ هل هناك شيء آخر تخفينه؟

تسمع السخرية في صوته.

تنظر إليه وتقول:

ـ كلّا، هذا كل شيء.

* * *

يقول «ويب» لـ«موين»، وهما على جانبي مقدمة السيارة:

ـ نحتاج إلى أن نتكلم مع «بول شارب».

تومئ. ينظر في ساعته.

ـ هيا بنا.

العودة بالسيارة إلى وسط مدينة «أيلسفورد» لا تستغرق وقتًا طويلًا... عشر دقائق فقط. إنها مدينة صغيرة، بمبانٍ أحدث تناطح المباني القديمة في مركز وسط المدينة. شركة «فانشو» للأدوية في مبنى من الطوب، ليس على مسافة بعيدة من جسر «أيلسفورد».

يدخل «ويب» و«موين» المبنى ويُقال لهما إن مكتب «بول شارب» في الطابق الخامس. هناك، ترحب بهما موظفة الاستقبال التي يرتفع حاجباها المثاليان قليلًا عندما يُظهران شارتيهما.

يقول «ويب»:

ـ نود التحدث مع «بول شارب».

تقول:

ـ سأستدعيه من أجلكما.

يقضي «ويب» الوقت يحدق بصمت في الديكور اللطيف ويفكر في «أماندا بيرس». لا ينتظران كثيرًا. يدخل رجل يرتدي بذلة كحلية منطقة الاستقبال. كان طويلًا، قوي البنية، بشعر رمادي قصير جدًّا، ربما يقترب من الخمسين. يحتفظ بلياقته، ويمشي باتجاههما بأريحية شخص يتمتع بحالة جيدة. يصوب عينيه نحو الاثنين، يفكر «ويب»، يبدو حذرًا.
يفتح شارته، يقدم نفسه و«موين»، ويقول:

ـ هل هناك مكان حيث يمكننا التحدث بخصوصية؟

ـ بالتأكيد، دعني أجد غرفة اجتماعات.

يميل «شارب» على مكتب الاستقبال الضخم ويتحدث مع موظفة الاستقبال.

تخبره بصوت حصيف:

ـ يمكنك الحصول على غرفة الاجتماعات رقم ثلاثة، إنها خاوية.

يقول «شارب»:

ـ تفضلا معي.

ويتبعانه في ممر مغطى بالسجاد إلى غرفة اجتماعات بحوائط زجاجية. دخلا الغرفة. هناك طاولة ممتدة ومقاعد، ونوافذ تطل على النهر والجسر. المياه مظلمة وهائجة اليوم. بدأت السماء تمطر اليوم، وتهطل بغزارة. يغلق «شارب» الباب وراءهما ويستدير لمواجهتهما. يسأل، وهو يشير لهما بأن يجلسا:

ـ ما الذي يمكنني فعله من أجلكما؟

يقول «ويب»:

ـ نحن نحقق في مقتل «أماندا بيرس».

يومئ «شارب»، بوجه حذر خالٍ من التعبير.

ـ أجل، بالطبع سمعت بهذا. إنها تسكن في شارعنا، وعملت هنا من حين لآخر. شيء فظيع.

يهز رأسه بأسف، عابس الوجه.

ـ كيف يمكنني المساعدة؟

ـ هل تعرف «أماندا بيرس»؟

يهز رأسه مرة أخرى ببطء.

ـ كلَّا. أعني...

يعدل من كلامه بسرعة:

ـ عملت أحيانًا هنا بشكل مؤقت، لكنها شركة كبيرة، لم تعمل معي بشكل مباشر. أعرفها شكلًا، لكنني لا أعتقد أنني تحدثت معها على الإطلاق.

يقول «ويب»:

ـ هل هذا صحيح؟

وينتظر. يتورد «شارب» قليلًا، يبدو مرتابًا.

يقول «ويب»:

ـ هل أنت متأكد من أنك لم تتحدث معها قَطُّ؟

ينظر «شارب» إلى الطاولة، يعد وجهه كما لو أنه يركز، محاولًا تذكر شيء ما. أخيرًا يقول:

ـ أعتقد أنني التقيت بها مرة بطريقة ما، الآن بعد أن أشرت لذلك. مضحك، إنني نسيت هذا.

ينظر لأعلى إليهما.

ـ خرجت لتناول الشراب في إحدى الليالي بعد العمل، مع بعض الأصدقاء، و... أعتقد أنها انضمت إلينا من أجل الشراب، لكنني لم أتحدث معها، لم تكن جالسة بالقرب مني وكان المكان صاخبًا، كما تعرف.

يومئ «ويب».

ـ متى كان هذا؟

ينظر «شارب» إلى أسفل ويتخذ وجهه المركز مرة أخرى. لم يصدق «ويب» هذا، لكنه ينتظر أن يرى ما سيقوله «شارب».

ـ لم يكن ذلك قبل اختفائها بفترة كبيرة. لا أستطيع أن أتذكر التاريخ بالضبط.

ـ ألا يمكنك أن تكون أكثر تحديدًا؟ حتى على الرغم من أنها اختفت بعد هذا بوقت قصير؟

تومض عينا الرجل الآخر، في لمحة غضب طفيفة.

ـ لا أتذكر التاريخ، لم يكن بارزًا في ذلك الوقت. لكنه كان قبل أن أسمع عن اختفائها بوقت قصير.

ـ أي بار كان هذا؟

ـ «روج»، في شارع «ميل». نحن أحيانًا نذهب لتناول الشراب بعد العمل... ليس كثيرًا.

يسأل «ويب»:

ـ من تقصد بـ«نحن»؟

ـ حسنًا، حسب الأحوال. هذا يتغير من أسبوع لأسبوع. مجرد أشخاص من المكتب، من يكون مستعدًّا، كما تعلم.

ـ هل يمكن أن تتذكر من كان هناك تلك الليلة، عندما انضمت إليكم في تناول الشراب؟

يفعل «شارب» الشيء نفسه مجددًا... ينظر لأسفل، ويُجعد جبينه للحظة. إنه ممثل غير بارع، وكذاب غير بارع.

ـ آسف، لست متأكدًا تمامًا. لكن أنا و«هولي جاكوبس» و«مانيت براشاد» و«برايان ديكاري» و«لاري هاريس» و«مايك رايلي». هذا أفضل ما يمكنني فعله.

«موين» منهمكة في تدوين الأسماء.

ـ ولماذا انضمت إليكم؟ هل كانت تعرف أحدًا؟

يهز رأسه مرة أخرى.

ـ كما تعلم، لست متأكدًا. ربما كانت تعمل هنا بشكل مؤقت في ذلك اليوم وجاءت.

يومئ «ويب». بعد ذلك يقترب أكثر من «بول شارب» قليلًا ويحدق فيه بطريقة معينة.

ـ أتعلم، أجد صعوبة في تصديقك.

ـ ماذا؟

يبدو قلقًا الآن.

ـ لماذا؟

يقول «ويب»:

ـ لماذا؟ لأننا لدينا شاهد رآك تتحدث ـ بحميمية ـ مع «أماندا». أنتما الاثنان فقط، في المقعد الأمامي لسيارتها، في وسط المدينة، الساعة التاسعة ليلًا تقريبًا. قبل اختفائها بوقت قصير. الأربعاء، العشرون من سبتمبر، على وجه التحديد.

يصبح وجه «شارب» شاحبًا. بدا مظهره الزائف ينهار. يبتلع ريقه.

ـ الأمر ليس مثل ما يبدو عليه.

ـ ليس مثل ماذا؟

ـ لم أكن على علاقة بـ«أماندا»، إن كان هذا ما تفكران به.

يزفر بعمق، وينزلق قليلًا في مقعده.

ـ لم أرغب في أن أقول أي شيء. ربما يجب أن أقول، لكن...

يمرر يده فوق وجهه، وفجأة يبدو أن التظاهر يتلاشى.

ـ انظر، لم أعرف «أماندا» حقًّا. تحدثت إليها فقط في هذه المرة الواحدة، في سيارتها. كان هذا لكي أحذرها. كانت على علاقة غرامية بشخص هنا، شخص أعمل معه. أخبرتها أن تبتعد عنه. فكرت أنها ستسبب المتاعب. لم أرغب في أن أرى حياته تنهار. ربما ليس هذا من شأني. أتمنى الآن لو لم أفعل هذا. كان يجب أن أهتم بعملي الخاص.

يضيف:

ـ الليلة التي شربنا فيها بالبار... كانت تلك هي الليلة التي تحدثت فيها مع «أماندا»، في سيارتها. لكني لا أتذكر التاريخ.

يسند «ويب» ظهره على مقعده ويفكر في الرجل الذي أمامه.

ـ إذن لم تكن أنت على علاقة غرامية بـ«أماندا»؟

ـ يا إلهي، كلَّا.
لم يأتِ اسم «شارب» في سجلات هاتفها الخلوي.

تسأل «موين»:

ـ هل لديك هاتف سابق الدفع؟

ـ كلَّا.

يسأل «ويب»:

ـ أين كنت في العطلة الأسبوعية بدءًا من بعد ظهر الجمعة التاسع والعشرين من سبتمبر، حتى صباح الاثنين الذي يليه؟

ينظر «شارب» إليه، مفزوعًا. يقول، وعيناه الرماديتان الزرقاوان منزعجتان:

ـ لا يمكنك بأمانة أن تفكر في أن لي علاقة بـ«أماندا بيرس»... بما حدث لها.

يقول «ويب»:

ـ هناك من رآك تتشاجر معها قبل اختفائها بفترة قصيرة. نحن فقط نستبعد الاحتمالات. لو تستطيع إخبارنا بالمكان الذي كنت فيه تلك العطلة، فسيكون كل شيء على ما يرام.

يقول «شارب»، بإيماءة:

ـ حسنًا.

يظهر أنه يفكر.

ـ الشيء الوحيد البارز هو أنه في يوم الأحد كان لدينا والدا زوجتي لتناول وجبة الفطور المتأخر. مكثا حتى منتصف ما بعد الظهر. ساعدتُ زوجتي في الإعداد والتنظيف بعد ذلك. باستثناء هذا، كانت عطلة اعتيادية في المنزل، على ما أعتقد. نحن عادة نبقى في المنزل ليلتي الجمعة والسبت. نشاهد بعض المحتوى على «نتفليكس». أعتقد أن هذا هو ما فعلناه.

يقول «ويب»:

ـ حسنًا. أخبرنا عن العلاقة الغرامية لـ«أماندا».

يتنهد «شارب» على مضض، لكن يبدأ بالحديث.

ـ كانوا يتحدثون دائمًا عن «أماندا». كانت امرأة رائعة. يمكن أن تكون مغازلة بعض الشيء. انتشرت شائعة أنها تخون زوجها، وأنها أحيانًا تدخل في علاقات مع رجال بالعمل. تلك كانت القصة، على أي حال... ممارسة الجنس في المصاعد، هذا النوع من الأشياء. ربما كان كثير منه هراء، لكنها كانت ذات سمعة سيئة بعض الشيء. اسأل المحيطين.

يؤكد «ويب» له:

ـ سنسأل.

ـ عندما اختفت، فكرت أنها هجرت زوجها. لم يُحدث الأمر ضجة حينها، على الرغم من أن زوجها أبلغ على ما يبدو عن فقدانها. فكرت أنها ربما هربت مع رجل آخر.

يتردد «شارب» ويضيف:

ـ مثلما قلت، كان هناك كثير من الأقاويل حولها. لم أعلم إن كانت صحيحة أم لا... لكن بعد ذلك رأيت بنفسي.

يتوقف.

يسأل «ويب»:

ـ إذن من هذا الشخص الذي تعمل معه وفكرت أنه على علاقة غرامية بها؟

يتنهد «شارب» بثقل.

ـ لا يمكن أن يؤذيها، إن كان هذا هو ما تفكر به.

ـ الاسم؟

يقول «شارب» على مضض:

ـ «لاري هاريس». إنه يسكن بجوار «أماندا» و«روبرت بيرس».

يلقي «ويب» نظرة عاجلة على «موين»، يرى عينيها تتسعان.

يفكر «ويب»، يا له من خبر مثير! لا يتوقف اندهاشه أبدًا بما يكتشفانه أثناء تحقيق جنائي... الأسرار التي يخفيها الأشخاص. أو يحاولون إخفاءها.

❝ ـ من الأفضل أن تخبرنا بما رأيته بالضبط.

❞ ١٧

تأتي «أوليفيا» عند الباب عندما يصل «بول» إلى المنزل. يرمي مفاتيحه في الوعاء الموجود فوق الطاولة الجانبية في الصالة ويخلع معطفه. إنه يلمع من المطر. دائمًا تتأثر «أوليفيا» بالطقس، يتكيف مزاجها مع تغيراته. الأيام المشمسة تجعلها مبتهجة. الأيام المظلمة والرطبة والكئيبة مثل هذه دائمًا تجعلها محبطة.

الليلة الماضية، كانت هي و«بول» مستلقيين على السرير لا يتحدثان لما يقرب من ساعة، حتى بدأ «بول» في النهاية بالشخير. نهضت «أوليفيا» وهبطت إلى الطابق السفلي وظلت تمشي في غرفة المعيشة المغطاة بالسجاد لساعات، قلقة على «رالي»... وموضوع «كارمن» التي جاءت تقتفي أثره. غضبت من إحجام «بول» عن إرسال «رالي» إلى معالج نفسي.

تعتقد أن «بول» لا يزال غاضبًا منها. قال إنه سامحها على موضوع الخطابات وإنهما يحتاجان إلى تخطي ذلك والتعامل مع ما حدث، لكن الأمر لا يبدو كذلك.

تلاحظ الآن أن «بول» لم يتكلم معها.

تقول بخفة:

ـ الأمور جيدة، ها؟

لكنه ينظر إليها بالكاد.

يقول:

ـ سأغير ملابسي.

وأخيرًا يعطيها ابتسامة مصطنعة.

ترى بنطاله مبتلًا.

ـ هل تريد شيئًا لتدفئتك؟

ـ الويسكي سيكون لطيفًا. أنا مبتل بالكامل.

تصب لزوجها مشروبًا وتتفقد العشاء. يعود «بول» إلى غرفة المعيشة في الطابق السفلي ويلتقط الجريدة. تجلب له الويسكي الخاص به.

تسأل:

ـ هل حدث شيء مثير اليوم؟

يقول «بول»، من دون أن ينظر إليها:

ـ كلّا. لا شيء خارج عن المألوف.

تناوله مشروبه ويأخذ رشفة. بعد لحظة يستدير إليها ويسأل:

ـ هل سمعت شيئًا آخر من تلك المرأة؟

هي متأكدة أنه يعني «كارمن».

تقول «أوليفيا»:

ـ كلَّا.

تضيف بصورة كاملة:

ـ أتمنى فقط أن ينتهي كل هذا.

لكنها لا تصدق أن هذا سيحدث. بل إنها تشعر كما لو أن «كارمن» تتربص لها.

* * *

«لاري» موجود بالمنزل منذ ساعة واحدة فقط. حقيبته ما زالت عند أسفل السلالم. أعدت «بيكي» وجبته المفضلة، لازانيا وخبز الثوم. وفطيرة. انتهيا للتوِّ من تناول الفطيرة. تحدثا عن مقتل «أماندا» هاتفيًّا بينما كان مسافرًا، وبمزيد من التفصيل وهما يأكلان. وهذا صدمه بشكل واضح. لم تخبره أي شيء عن تورطها في التحقيقات. تعرف أنها يجب عليها أن تشرح، وهي تخشى ذلك. لكنه وصل البيت للتوِّ، وهي تنتظر اللحظة المناسبة.

عندما يرن جرس الباب، تقفز لكي تفتح الباب. ترى المحققين مبتلين جدًّا على عتبة الباب، وتنظر إليهما غير مصدقة. تقول:

ـ وصل البيت للتوِّ.

يقول «ويب»:

ـ أخشى أن الموضوع لا يحتمل الانتظار. هل يمكن أن ندخل؟

تحتج:

ـ نحن نتناول العشاء.

ينادي «لاري» من المطبخ، ويظهر من خلفها، وهو يمسح فمه بمنديل.

ـ من؟

يأتي إلى جانبها. ويسأل:

ـ من يكونان؟

تعلم أنه ليس بمقدورها أن تفعل أي شيء. تقول بضجر:

ـ هذان المحققان اللذان أخبرتك عنهما. إنهما يحققان في مقتل «أماندا».

يقول زوجها:

ـ ادخلا.

يمر «ويب» بجوارها تتبعه «موين».

يعرض «لاري»:

ـ هل لي أن آخذ معطفيكما؟

تراقب «بيكي» زوجها وهو يعلق معطفي المحققين المبتلين. قلبها يدق في صدرها وفمها يبدو جافًّا. لن يسامحها «لاري» أبدًا.

تضيء «بيكي» بضعة مصابيح ويجلسون جميعهم في غرفة المعيشة. الليل مظلم بالخارج والمطر يضرب النافذة الأمامية.

يبدأ المحقق «ويب»، مع نظرة جانبية لـ«بيكي».

ـ لا أعرف مقدار ما أخبرتك به زوجتك.

الوغد. تقول «بيكي»:

ـ لم أخبره الكثير عن أي شيء. أخبرتك أنه وصل البيت للتوِّ.

ينتبه «لاري» إلى مظهرها المتوتر. إنها فجأة تريد أن ينتهي الأمر. لا يمكنها تحمُّل أن تنتظر حتى تقع الفأس في الرأس. تقول:

ـ «لاري»، هناك شيء يجب أن أخبرك به.

تشعر بضيق نفَس.

ـ كنت سأخبرك على أي حال.

تبتلع ريقها.

ـ أقسم لك، كنت سأخبرك...

يقول «لاري»، وهو يبدو مضطربًا:

ـ تخبريني بماذا؟

تبوح بالأمر، وهي تنظر في الأرضية.

ـ أقمت علاقة جنسية مع «روبرت بيرس». وأنت مسافر. اكتشفا هذا وهما يحققان معه في مقتل زوجته.

أخيرًا ترفع عينيها لتنظر إلى زوجها. يجلس ساكنًا تمامًا، وأصبح لونه شاحبًا بعض الشيء.

ـ أنا آسفة.

يبدو «لاري» مصدومًا تمامًا. بالطبع هو مصدوم. لم يتوقع هذا قَطُّ منها. تغلق عينيها.

يقول:

ـ كيف تجرأتِ؟

تكرر ببؤس، وهي تفتح عينيها:

ـ أنا آسفة.

ينظر «لاري» بحدة إلى محققي الشرطة ويقول:

ـ ربما من الأفضل أن ترحلا.

يقول «ويب»:

ـ أخشى أننا لدينا بعض الأسئلة قبل أن نغادر.

تنظر «بيكي» بعينين مريرتين مستاءتين إلى المحققين وتنتظر. إنها لا ترغب في مساعدتهما.

يقول:

ـ تحدثنا مع «بول شارب».

تتذكر «بيكي» ما أخبرت به المحققين ذاتهما هذا الصباح. تفكر باضطراب في «أوليفيا».

يقتحم «لاري» الحديث بدهشة:

ـ «بول»؟

تبادر إلى ذهنها فجأة أن «لاري» ربما يعرف بأمر «بول» و«أماندا».

تقول «بيكي»:

ـ «بول» كان يعاشر «أماندا».

يقول «ويب» باعتدال:

ـ لسنا متأكدين من ذلك.

تستدير نحوه.

ـ هل أنكر هذا؟

ـ أجل، أنكر.

تزفر «بيكي» الهواء بشدة. إنها متأكدة مما رأته.

يقول المحقق:

ـ اعترف أنه تحدث معها تلك الليلة في سيارتها. لكنه قال إنه كان يحذرها. اعتقد أنها على علاقة غرامية بزميله في العمل، وكان يخبرها أن تبتعد عنه.

ينظر «ويب» إلى زوجها وهو يقول هذا.

تقول «بيكي» ساخرة، وهي تتوقع أن يدعمها زوجها:

ـ قصة مألوفة.

لكن «لاري» لم يقل شيئًا على الإطلاق.

يُكمل «ويب»:

ـ في الواقع، أخبرنا أنه يعتقد أن «أماندا» على علاقة غرامية بزوجك... هل هذا صحيح يا «لاري»؟

تنظر «بيكي» إلى زوجها، مذهولة.

الآن «لاري» يهز رأسه، ببطء، ذهابًا وإيابًا، متجهمًا.

ـ كلَّا. لم أكن على علاقة غرامية بها. لا أصدق أن «بول» أخبرك بذلك.

عقل «بيكي» يدور. جميعهم يراقبون «لاري».

يحتج «لاري»:

ـ هذا ليس صحيحًا. لم أقم علاقة جنسية مع «أماندا».

ينظر إليهم بتحدٍّ.

يسأل «ويب»:

ـ لماذا يخبرنا بذلك إن لم يكن صحيحًا؟

ينظر «لاري» إليهم بعصبية.

ـ الحقيقة أن «بول» ظن أنني كنت على علاقة غرامية بـ«أماندا». تكلم معي بخصوص هذا. أنكرته، لأنه لم يكن صحيحًا. ظننت أنه صدقني. لا أصدق أنه تحدث مع «أماندا» بخصوص هذا.

يسأل «ويب»:

ـ لماذا يفكر أنك كنت على علاقة غرامية بـ«أماندا»؟ حتى بعد أن أنكرت هذا؟ هل لديك فكرة؟

تلمح «بيكي» السخرية في نبرة المحقق.

يبدأ «لاري»، بطريقة تبدو دفاعية:

ـ يجب أن تفهم طبيعة «أماندا». كانت جذابة جدًّا. عملت أحيانًا في مكتبنا بشكل مؤقت. يمكن أن تكون... غير لائقة. كانت بمكتبي في أحد الأيام، وكانت تتصرف بشكل غير لائق، و«بول» رأى هذا.

يقول «ويب»، وهو يحدق في «لاري» حتى ارتبك:

ـ ستضطر إلى توضيح ذلك لنا، سيد «هاريس».

يعترف «لاري» على مضض، ووجهه يتلون بالإحراج:

ـ كانت تمارس الجنس الفموي.

ـ معك؟

ـ أجل.

تحدق «بيكي» في زوجها، بلا كلام.

يشرح «لاري»:

ـ «بول» رأى هذا. وخلص إلى النتيجة الواضحة، لكنها خاطئة تمامًا. واجهني وأخبرته أنني لم أكن أعاشرها. لم يصدقني. لم أفكر أنه تمادى حتى إنه حذرها. أعني، كانت هذه محض حماقة. لم يحدث شيء... كانت هذه هي المرة الوحيدة. هذه هي طبيعتها.

تتساءل «بيكي» لو أن زوجها يقول الحقيقة. تدرك أنها ليست لديها فكرة. فجأة لا تشعر بالندم الشديد، والخجل الشديد. ربما فعل زوجها أيضًا فعلة مشينة. تراقب المحققين، محاولة قراءة ما يفكران به. لا يمكنها أن تعرف.

يقول «ويب»:

ـ أجل. «شارب» أخبرنا هذا بالتفصيل.

تراقب «بيكي» وجه زوجها يتورد.

ـ هذا كل ما حدث، أقسم على ذلك، هذه الحادثة الوحيدة. لم أكن أعاشر «أماندا». أعرفها من عملها المؤقت في المكتب وأنهما يسكنان بالمنزل المجاور، لكننا ليست لنا علاقة بهما. أعتقد أننا شربنا معهما مرة أو مرتين.

يضيف:

ـ لا أعلم ماذا حدث لها.

يسأل «ويب»:

ـ أين كنت في العطلة التي اختفت فيها «أماندا»؟

يحتج «لاري»:

ـ لا يمكن أن تكون جادًّا.

«ويب» ينظر إليه فقط وينتظر.

تحدق «بيكي» في زوجها بانزعاج. هو يرمقها بنظرة.

ـ كنت مسافرًا تلك العطلة، وعندما عدت، سمعت أنها رحلت وأن زوجها أبلغ عن فقدانها، لكن الاعتقاد الذي ساد هو أنها حزمت أمتعتها وهجرته.

يضيف:

ـ كنت في مؤتمر من بعد ظهر الجمعة حتى بعد ظهر الأحد.

يتطلع إليهما.

ـ لم أكن هنا على الإطلاق.

يسأل «ويب»:

ـ أين أقيم المؤتمر؟

ـ في منتجع «ديرفيلدز».

ـ وأين هو، بالتحديد؟

ـ على بعد بضع ساعات من هنا، في «كاتسكيل».

يقول «ويب»:

ـ يا لها من مفاجأة! ❝

❞

يمكن لـ«أوليفيا» معرفة أن هناك شيئًا يزعج زوجها. كان مضطربًا الليلة الماضية، يتقلب في السرير طوال الليل. عندما سألته إن كان هناك شيء خاطئ، أنكر ذلك. ربما أنه ببساطة قلق، مثلها، بشأن «رالي». كانا منتظرين رجال الشرطة يظهرون عند بابهم.

إنها في غرفة مكتبها بالطابق العلوي، في صباح اليوم التالي، عندما يرن جرس الباب. تتجمد. تخشى أن تكون تلك المرأة «كارمن»، عادت مرة أخرى. تسرع إلى النافذة الأمامية في غرفة النوم بالأعلى وتنظر منها، لكنها لا تستطيع أن تعرف من بالباب. يرن جرس الباب مرة أخرى. تنتظر. يرن جرس الباب للمرة الثالثة. أيًّا كان من يطرق الباب، فهو لا يرحل.

أخيرًا تربط جأشها وتهبط للطابق السفلي. تقرر أن تتحلى بالشجاعة وتنكر كل ما تقوله «كارمن» تمامًا. فهي غاضبة إلى درجة تجعلها تعتقد أنها قادرة على فعل هذا.

تفتح الباب وتتفاجأ تمامًا لرؤية صديقتها «بيكي» تقف ببابها. آخر مرة رأت فيها «بيكي» في نادي الكتاب ليلة الاثنين. الآن هو صباح الجمعة، وهناك شيء في تعبير «بيكي» الحذر الذي يضع «أوليفيا» على أهبة الاستعداد. تبدو في حالة فوضى. شعرها مهمل، ولا تضع أحمر الشفاه المعتاد لديها.

تقول «أوليفيا»:

ـ «بيكي».

بعد ذلك، تقول:

ـ هل ثمة خطب ما؟

تومئ «بيكي» وتقول:

ـ هل يمكنني أن أدخل؟

تقول «أوليفيا»:

ـ بالتأكيد. تعالي نتناول القهوة معًا.

تشقان طريقهما إلى المطبخ تلقائيًّا. تصب «أوليفيا» فنجانين من القهوة من إبريق القهوة.

ـ ماذا هناك؟ واضح أن هناك ما يحزنك.

تجلس «بيكي» على طاولة المطبخ. تقول:

ـ إنه أمر محرج حقًّا.

تضع «أوليفيا» فنجاني القهوة فوق الطاولة وتجلس. تتساءل إن كانت «كارمن» تحدثت مع «بيكي». تتأهب مرة أخرى.

ـ ما الخطب؟

ـ الموضوع يخص التحقيقات، يخص «أماندا».

تستعيد «أوليفيا» اتزانها. إذن ليس «رالي». تشعر بقدر من الراحة، على الأقل حيال نفسها، لكنها تشعر بالقلق حيال المرأة التي تجلس في مواجهتها. لماذا «بيكي» هنا؟

تقول «بيكي»:

ـ عادت الشرطة لتتحدث معي بالأمس.

تقول «أوليفيا»، وهي تأخذ رشفة من القهوة.

ـ حسنًا.

ـ يا إلهي، لا أعلم كيف أخبرك بهذا.

ـ فقط أخبريني يا «بيكي».

يمكن أن تشعر «أوليفيا» بتصاعد قلقها.

تمسك «بيكي» فنجان القهوة بكلتا يديها. أخيرًا تنظر لـ«أوليفيا» في عينيها وتقول:

ـ رأيت «بول» مع «أماندا» قبل اختفائها.

«أوليفيا» مذهولة. مهما يكن ما تتوقعه، لم يكن هذا.

ـ ماذا؟

ـ رأيت «بول» مع «أماندا» في سيارتها بإحدى الليالي، قبل اختفائها بفترة قصيرة. كانا... بدا الأمر كما لو أنهما يتشاجران.

تقول «أوليفيا»:

ـ لم يكن «بول» يعرف «أماندا».

تقول «بيكي» بحرص:

ـ أنا واثقة مما رأيت.

تقول «أوليفيا» ببرود:

ـ لا بد أنك مخطئة.

كان لا بد أن يخبرها. أليس كذلك؟

تقول «بيكي» بمزيد من التوضيح:

ـ لست مخطئة. «بول» اعترف بهذا. اعترف للمحققين.

تشعر «أوليفيا» بأن أحشاءها تتقلب. تصاب بدوار فجأة. تقول:

ـ «بول» تحدث مع المحققين؟ ماذا تقصدين؟ متى تحدث معهما؟

تشعر كما لو أنها تجلس على حافة منحدر، وكل ما على «بيكي» أن تفعله هو أن تعطيها دفعة خفيفة.

تغير «بيكي» من جلستها باضطراب.

ـ أمس. ذهبا إلى مكتبه. تحدثا معه هناك.

تحاول أن تفهم ما تقوله «بيكي»:

ـ كيف تعرفين ذلك؟ لماذا يذهبان لمقابلته؟

ـ لأنهما عندما استجوباني عن «أماندا» كان عليَّ أن أخبرهما أنني رأيت «بول» مع «أماندا» في سيارتها.

تضيف:

ـ لم أرغب في إخبارهما.

تهمس «أوليفيا»، مصدومة:

ـ لم يذكر لي أي شيء عن المحققين قَطُّ.

تقول «بيكي»:

ـ أنا آسفة.

وتجلس صامتة، كما لو أنها تنتظر من «أوليفيا» أن تربط الأمور ببعضها.

تسأل «أوليفيا» غير مصدقة، وتجلس في صمت.

ـ هل تعتقدين أن «بول» ربما كان يعاشر «أماندا»؟ هذا مستحيل.

لكنها تفكر في أن «بول»، كان يتقلب في السرير طوال الليلة الماضية. يبدو أنه تكلم مع المحققين في وقت مبكر من ذلك اليوم. ما الذي يخفيه عنها غير ذلك؟ يمكنها أن تشعر بنفسها تبدأ في الارتعاش. يمر ظلام من أمام عينيها، كالسراب، وتمسك بحافة الطاولة. هل كان «بول» يخونها؟ لم تتوقعه خائنًا قَطُّ. على الإطلاق. لكن الآن تطرأ على ذهنها فكرة أخرى، لو كان «بول» على علاقة غرامية بـ«أماندا»، سيكون مشتبهًا به في قتلها. تتذكره وهو يقرأ المقالة في الجريدة، وتتذكر زعمه عدم الاهتمام بالقضية. ينتابها شعور قوي بالخوف.

تقول «بيكي»:

ـ اعترف أنه كان في السيارة معها، لكنه أنكر إقامة علاقة غرامية معها.

تحدق «أوليفيا» في «بيكي». يجب أن تعرف ماذا يجري بحق الجحيم.

ـ كيف تعرفين؟ لماذا كان في السيارة مع «أماندا»؟ لا أفهم.

تقول «بيكي» بحرص:ـ أخبر المحققين بأنه ظن أنها على علاقة غرامية بـ«لاري»، وكان يخبرها أن تبتعد عنه، لكني آسفة، هذا غير صحيح بالمرة.

ـ «لاري» زوجك؟

تومئ «بيكي».

تندهش «أوليفيا». وتحتج قائلة:

ـ لماذا أنت متأكدة من أن «لاري» لم يكن على علاقة غرامية بها؟ وتقترحين أن «بول» كان على علاقة غرامية بها؟

تميل «بيكي» نحوها عبر طاولة المطبخ.

ـ لا أعلم إن كان «بول» على علاقة غرامية بـ«أماندا»، لكني رأيتهما معًا، وكان عليَّ أن أخبر المحققين.

تقول «أوليفيا»:

ـ لماذا يقول «بول» ذلك عن «لاري»، إن لم يكن صحيحًا؟

تسند «بيكي» ظهرها في مقعدها وتطوي ذراعيها فوق صدرها.

ـ تتذكرين طبيعة «أماندا». هل تتذكرينها في تلك الحفلة؟ إظهار الجاذبية الجنسية، الاستمتاع باهتمام كل الذكور. الظاهر أنها كانت أسوأ في المكتب. وأمسك بها «بول» وهي تتصرف بشكل غير لائق مع زوجي مرة. لكنه يقول إن هذا لم يعنِ شيئًا.

ـ كيف كان التصرف بشكل غير لائق، بالضبط؟

تقول «بيكي»، وهي تتجنب النظر إليها:

ـ لا أعرف التفاصيل.

تقول «أوليفيا»:

ـ لا يمكنني أن أصدق أن «بول» كان يعاشر «أماندا».

تتناول فنجان القهوة.

ـ حسنًا، لا أصدق أيضًا أن «لاري» كان يعاشرها. ربما كان مجرد سوء تفاهم. ربما أساء «بول» تفسير الموقف وبالغ في رد فعله.

تسأل «أوليفيا» ذاهلة:

ـ ماذا بعد... يحقق الآن المحققان مع «بول» و«لاري»؟

تومئ «بيكي» باضطراب.

ـ وماذا يعتقدان؟

ـ لا أعلم. لا يقولان ما يفكران به أبدًا. لكنهما تحدثا مع «بول» أمس، وجاءا إلى منزلنا الليلة الماضية بعد عودة «لاري» إلى البيت، واتهما «لاري» بإقامة علاقة غرامية مع «أماندا». وهو أنكر.

تدير «بيكي» وجهها بعيدًا وتبدو كئيبة.

ـ دار بيننا الجدال الأكثر فظاعة بعدها.

جزء من «أوليفيا» يريد أن يخفف عن «بيكي»، ولكن الجزء الآخر منها يكره «بيكي» لإحضار كل هذا إلى منزلها وإلقائه في حضنها. تفكر في الجدال الذي سيدور بينها وبين «بول» هذه الأمسية. هي لا تصدق أن «بول» كان يعاشر «أماندا». لكنه قطعًا لا يخبرها بكل شيء. لو فكر أن «لاري» على علاقة غرامية بـ«أماندا»، لماذا لم يخبرها؟ لماذا لم يخبرها أن الشرطة جاءت إلى مكتبه بالأمس؟

تقول «بيكي»:

ـ فكرت أنه يجب أن تعرفي ماذا حدث، تحسبًا إذا لم يخبرك «بول».

تنكمش «أوليفيا»، كما لو أنها تعرضت لصفعة. هل تتوقع «بيكي» أن تشكرها؟

الآن «بيكي» تحدق في طاولة المطبخ.

ـ هناك شيء آخر. ربما لا يجب أن أخبرك به، لكنه قد لا يظل سرًّا لمدة طويلة. وأحتاج إلى أن أتكلم مع شخص ولا أريدك أن تظني أنني أكذب عليك.

تبدو «بيكي» شديدة الاضطراب الآن، إلى درجة أن «أوليفيا» تشعر بتحول مفاجئ إلى التعاطف معها. لكن ما تشعر به أكثر هو الإحساس بنذير شؤم.

ـ ماذا يمكن أن يكون أكثر من ذلك؟ ماذا؟

ـ الأمر متعلق بـ«روبرت بيرس».

تسند «أوليفيا» ظهرها. يمكنها أن تفهم من نادي الكتاب أن «بيكي» لديها شيء تجاهه. فهو جذاب جدًّا، ويسكن بجوارها. «لاري» يسافر كثيرًا. ذهب طفلاها للدراسة خارج المدينة.

ـ ماذا عنه؟

تعترف «بيكي»، وهي تنظر إليها:

ـ أقمت معه علاقة جنسية، عندما كان «لاري» مسافرًا. مرتين.

تحدق فيها «أوليفيا» وحسب، مصدومة في صمت.

تعترف «بيكي»:

ـ لا بد أنني فقدت عقلي. لكن كان هناك انجذاب بيننا. لا أعرف ماذا انتابني. أنا... أنا فقط لم أستطع أن أقاومه.

ـ يا إلهي. «بيكي». محتمل أن يكون قتل زوجته.

ـ لم يقتلها. أنا متأكدة من أنه لم يفعل.

تقول «أوليفيا»، بذعر:

ـ كيف تتأكدين؟ لو كان الناس يدركون طبيعة «أماندا»... لو فكر «بول» أنها كانت تضاجع «لاري» ـ حتى إن لم يكن هذا صحيحًا ـ إذن لا بد أن زوجها لديه فكرة عن طبيعتها. ربما كان يشعر بالغيرة. بالغضب.

تضيف بحزم:

ـ محتمل أنه يكون هو من قتلها.

تقول «بيكي» وهي تهز رأسها:

ـ لا أعتقد أنه قتلها. لا أعتقد أنه يستطيع أن يقتلها. أعتقد أن هناك شخصًا آخر.

ـ من، إذن؟

ـ لا أدري. شخص غريب... شخص لا نعرفه. ليست لـ«بول» أو «لاري» علاقة بهذا.

تقول «أوليفيا»:

ـ بالطبع لا. ما زلت أظن أن زوجها هو من فعلها.

* * *

ينظر «روبرت بيرس» ببرود عبر طاولة الاستجواب إلى المحققين اللذين أصبحا مصدر إزعاج له. عندما اتصل به المحقق «ويب» في منزله منذ فترة وجيزة، يسأله إن كان على استعداد للحضور إلى المركز من أجل الإجابة على بعض الأسئلة الإضافية، فكر في وضعه بحرص قبل أن يجيب. شك في أنه إذا رفض، فسيصلون ببساطة إلى بابه ويضعونه قيد الاعتقال. لذلك هو هنا.

يعرف أنهما يشتبهان به في جريمة القتل، حتى لو لم يقولا ذلك. يجب أن يقنعهما بخلاف هذا.

يسأل:

ـ هل أنا قيد الاعتقال؟

يقول المحقق «ويب»:

ـ كلَّا. تعرف أنك غير معتقل.

ـ إذن لماذا يبدو الأمر كذلك؟

يقول «ويب»:

ـ يمكنك المغادرة في أي وقت.

لا يتحرك «روبرت».
يميل «ويب» إلى الخلف في مقعده ويسأل:

ـ هل تعلم أن زوجتك كانت لها علاقة غرامية؟

ينظر «روبرت» إليه بحذر.

ـ كلَّا. أخبرتك بهذا.

ـ هل علمت أن زوجتك تتمتع بسمعة في المغازلة، من أجل... الخيانة؟

يشعر «روبرت» بأنه ينتابه غضب مفاجئ لكنه يحتفظ بهدوئه.

ـ كلَّا، لم أكن حقًّا على علم بهذا. لكنها كانت امرأة جذابة وواثقة جدًّا. منطقي أن يثرثر الناس بالشائعات.

يميل المحقق «ويب» إلى الأمام ويقول:

ـ أجل يثرثرون بالفعل. تحدثنا إلى عدد من الأشخاص الذين يعملون في المكان الذي عملت فيه «أماندا» بشكل مؤقت. في مكان ما من الأماكن التي عملت فيها بشكل مؤقت بانتظام. أحدها كان «فانشو» للأدوية.

ـ أجل، أحبت العمل هناك.

يقول المحقق:

ـ الأشخاص هناك قالوا إن لها سمعة.

يحدق «روبرت» فيه، رافضًا الاستجابة للاستفزاز.

تقول «موين»:

ـ سمعة ممارسة الجنس في المصاعد، على سبيل المثال.

يحملق فيها بصمت.

يقول «ويب»:

ـ في الواقع، نعتقد أننا نعرف من كان على علاقة غرامية بزوجتك.

يظل «روبرت» صامتًا بضع ثوانٍ ثم يهز كتفيه ويقول:

ـ محتمل. أخبرتك. لم أفكر في شيء حتى اكتشفت أنها كذبت عليَّ في موضوع سفرها مع «كارولين». ربما كانت لها علاقة غرامية.

يميل الآن إلى الأمام.

ـ لكن إن كانت لها، فأنا لم أعرف بالأمر.

يقول «ويب»:

ـ أنت متأكد تمامًا من هذا.

يقول «بيرس»، وهو يميل إلى الخلف مرة أخرى في مقعده.

ـ أجل. وثقت في «أماندا».

تتدخل «موين»:

ـ ومع ذلك تخونها مع جارتك.

يرمقها بنظرة حادة. يجدها مزعجة، وتتصيد له الأخطاء.

ـ كانت هذه لحظة غباء. «بيكي» سعت إليَّ. ما كان ينبغي أن أفعل هذا. فقط لأنني فعلت شيئًا خاطئًا، لا يعني أن زوجتي فعلت.

تسأل «موين»، وهي تقوس حاجبًا:

ـ أهذا صحيح؟

إنه لا يحبها. لا يحب أيًّا منهما. يفكر في النهوض والمغادرة. يعرف أن من حقوقه أن يفعل ذلك... هو هنا تطوعًا.

تستمر «موين» في استدراجه.

ـ لم تسأل من الذي كان له علاقة غرامية بزوجتك.

يقول «روبرت» صراحة:

ـ ربما لأنني لا أريد أن أعرف.

يقترح «ويب»:

ـ أو ربما لأنك تعرف بالفعل؟

ينظر «روبرت» للمحقق بطريقة معادية.

ـ لماذا تقول هذا؟

ـ نعتقد أنها كانت تقيم علاقة جنسية مع جارك، «لاري هاريس».

يثور فجأة، لكنه يحاول أن يهدئ من غضبه.

ـ لم أكن أعلم.

يقول «ويب» بسرور:

ـ ألم يكن هذا سبب أنك تطارحت الغرام مع «بيكي هاريس»، أليس كذلك، لكي تنتقم من عشيق زوجتك؟ لا يمكنك أن تفعل ذلك، أليس كذلك؟ تمامًا مثلما أنك لا يمكنك أن تقتل زوجتك. ❝

❞ ١٩

«جليندا» تنتظر «أوليفيا» في «بين». تأخرت. تنظر «جليندا» في ساعتها مرة أخرى وتتساءل ماذا يؤخرها. ليس من عادة «أوليفيا» أن تتأخر عن أي شيء.

تصل أخيرًا، مرتبكة، وتقترب. اختارت «جليندا» عن عمد طاولة حيث لا يمكن سماعهما. يبدو أن هذا ربما يكون أمرًا جيدًا.

تجلس «أوليفيا». من الواضح أنها منزعجة. تسأل «جليندا»:

ـ ما الخطب؟

تقول «أوليفيا» بعصبية:

ـ يجب أن تعديني أنك لن تخبري أحدًا بما سأخبرك به. ولا حتى «كيث».

تجلس «جليندا» باستقامة.

ـ بالطبع. أعدك. لا أخبر «كيث» بكثير من الأمور التي نتحدث فيها على أي حال. ما الموضوع؟

تخفض «أوليفيا» صوتها وتقول:

ـ يبدو أن «بيكي هاريس» تعتقد أن «بول» ربما كان على علاقة غرامية مع «أماندا».

تشعر «جليندا» بصدمة تجري على طول عمودها الفقري. تحدق فيها بفزع.

ـ لماذا تظن ذلك؟

بينما تشرح «أوليفيا»، تحاول «جليندا» استيعاب كل شيء تسمعه عن محادثة «أوليفيا» السابقة مع «بيكي». لكن من الصعب أن يتوافق ذلك مع الرجل الذي قد عرفته لسنوات.

تقول «جليندا»:

ـ لم يكن «بول» ليخونك. ببساطة، أنا لا أصدق هذا.

تقول «أوليفيا» وصوتها محفوف بالعاطفة:

ـ ولا أنا. لكن لماذا لم يخبرني «بول» بهذه الأشياء؟ لماذا لم يخبرني أنه تكلم مع «أماندا»؟ لماذا لم يخبرني أنه ظن «لاري» على علاقة غرامية بها؟ لماذا لم يخبرني أن الشرطة استجوبته؟

تسمع «جليندا» الهستيريا المتنامية في صوت «أوليفيا». تقول باضطراب:

ـ لا أعلم.

ـ فكرت أننا نحظى بعلاقة زوجية متينة. أننا أمينان، أحدنا مع الآخر. لا يمكن أن أصدق أنه يخفي هذه الأشياء عني.

تقول «جليندا» بحزم:

ـ إذا أخبر «بول» الشرطة بظنه أن «لاري» كان يقيم علاقة جنسية مع «أماندا»، وأنه كان يحذرها لكي تبتعد عنه، فأنا أصدقه. أنا أرجح أن «لاري» هو من كان يخون «بيكي» عن أن «بول» كان يخونك، أليس كذلك؟

تومئ «أوليفيا»، تبدو مرتاحة لأن شخصًا غيرها يقول هذا.

ـ في الواقع، ربما لا ينبغي حتى أن أخبرك بهذا، لكن...

ـ ماذا؟

ـ اعترفت «بيكي» لي بأنها أقامت علاقة جنسية مع «روبرت بيرس». قبل اختفاء «أماندا».

الآن «جليندا» مصدومة حقًّا، لا بد أنها لم تتوقع هذا. تقول أخيرًا:

ـ حسنًا، حسنًا. هنا بيت القصيد. واضح أن هناك مشكلات في ذلك الزواج.

ثم تميل بتوتر على الطاولة.

ـ اسمعي يا «أوليفيا». لا تريدين أن تعتقد الشرطة أن «بول» ربما كان يعاشر «أماندا». وحينئذٍ ربما يكون مشتبهًا به في جريمة قتلها. أنت لا تريدين ذلك. لا تريدينهم أن يتسللوا إلى حياتك.

تقول «أوليفيا» ببؤس:

ـ هذا متأخر جدًّا. أعتقد أن «بول» بالفعل مشتبه به. أعتقد أن «بيكي» بالفعل أخبرتهما عن شكوكها حول «بول» و«أماندا».

تقول «جليندا» بسرعة:

ـ حسنًا، يجب أن تتأكدي من أنهما تخليا عن هذه الفكرة، بسرعة. أخبريهما أنه كان معك طوال العطلة الأسبوعية.

ـ محتمل أنه كان معي طوال العطلة الأسبوعية.

ـ إذن، ستكون الأمور بخير.

تقول «أوليفيا»، بتوتر واضح:

ـ يجب أن أتكلم معه الليلة عندما يعود إلى البيت. سأسأله لماذا لم يخبرني بأي شيء مما حدث. وسأسأله مباشرة إن كان أخبر الشرطة بالحقيقة.

تومئ «جليندا».

ـ أعلميني بما يقوله.

الآن تلمح «أوليفيا» وهي تنظر إليها عن قرب أكثر، كما لو أنها تلاحظ للمرة الأولى كم هي متعبة. تعرف «جليندا» أن هناك هالات سوداء حول عينيها... فحصت نفسها في المرآة هذا الصباح.

تسأل «أوليفيا»:

ـ كيف تسير الأمور معك؟

تعترف «جليندا»:

ـ ليست جيدة. يبدو أن «آدم» يكره أباه.

تسأل «أوليفيا»:

ـ لماذا؟

تقول «جليندا»، وهي تنظر بعيدًا:

ـ لا أعلم. إنهما يشتبكان باستمرار. أفترض أنه أمر طبيعي بالنسبة إلى المراهقين أن يشتبكوا مع آبائهم. يجب أن ينفصلوا، ويعتمدوا على أنفسهم.

تتوقف:

ـ لعلمك، لا يبدو أنه يحبني كثيرًا هذه الأيام.

بعد أن افترقتا، تسير «جليندا» إلى المنزل، تفكر كثيرًا فيما قالته لها «أوليفيا». بالطبع لا يمكن أن يخون «بول» «أوليفيا». فهي تعرفهما منذ ست عشرة سنة. لكنها غير مرتاحة. تتذكر هيئة «أماندا»، المرة الوحيدة التي رأتها فيها حقًّا، في حفل السنة الماضية.

كان يومًا دافئًا، ومشمسًا من شهر سبتمبر. كانت «أماندا» ترتدي فستان شمس قصيرًا، يظهر ساقيها الملساوين المكتسبتين للسمرة. وأظافر قدميها مطلية بشكل مثالي وكانت ترتدي صندلًا عالي الكعب. توقفت «جليندا» و«أوليفيا» عن ارتداء فساتين الشمس القصيرة منذ فترة طويلة. وارتدتا الآن بناطيل الكابري والصنادل

المسطحة وتتحدثان عن إصلاح الأوردة في أرجلهما. لكن «أماندا» كانت صغيرة وجميلة ولم تنجب أطفالًا قَطُّ، لذا ساقاها كانتا مثاليتين، مثل باقي جسمها.
تتذكر «جليندا» كيف كانت تظل مائلة إلى الأمام، لتظهر عرضًا جزءًا من ثدييها المفعمين بالحيوية وحمالة الصدر الدانتيل في كل مرة تتكلم فيها مع «كيث» أو «بول» أو «لاري» أو مع أي من الرجال الآخرين الذين كانوا هناك.

هل اهتمت خاصة بأي من الرجال الموجودين في ذلك اليوم؟ لا تعتقد هذا. لكنهم جميعًا كانوا يتصرفون بطريقة تجعلهم يبدون أغبياء. غازلت «أماندا» كل واحد منهم، جمعتهم حولها واستحوذت على اهتمامهم مثل حسناء الجنوب، بينما نأى زوجها عن المشاركة وتحدث القليل، يشرب البيرة ويراقبها على نحو متساهل. كانت «أماندا» تتجه من حين لآخر إلى زوجها الهادئ الوسيم وتشبك يدها في يده، معترفة بصمت أنها تنتمي إليه. في هذا الوقت، ظنت «جليندا» أنه بدا فخورًا بها. لكنها تتساءل الآن... هل كانت هذه هي الحال؟ أم كان منزعجًا منها، من الاهتمام الذي كانت تجتذبه، والاهتمام الذي كانت تقدمه لكل شخص ما عدا هو؟ هل كان غاضبًا وغيورًا، ويخفي هذا؟ هل قلق من أنها ربما لا تكون مخلصة؟

كل زواج له أسراره. تتساءل «جليندا» ماذا عن زواجهما.

* * *

عندما يصل «بول» إلى المنزل عائدًا من العمل، تكون «أوليفيا» في انتظاره. «رالي» ذهب إلى تدريب كرة السلة. وهذا سيمنحهما فرصة للكلام.

تسمعه يدخل من الباب الأمامي وتتحرك من المطبخ إلى الصالة لتواجهه. تلاحظ في الحال كم يبدو مرهقًا. في الواقع، يبدو في حالة مزرية. لا تشعر بتعاطف كبير. تقول، بصوت مكتوم:

ـ نحتاج إلى أن نتحدث.

يقول بصوت عالٍ:

ـ هل يمكن أن أخلع معطفي أولًا؟

يقرأ وجهها ويقول:

ـ أين «رالي»؟

ـ «رالي» في التمرين. سيعود إلى المنزل لاحقًا.

يمشي بجانبها ويدخل المطبخ. تتبعه وتراقبه وهو يمد يده في الخزانة ليتناول زجاجة ويسكي. تقول «أوليفيا»، غير قادرة على إخفاء الغضب في صوتها:

ـ أعلم أنك تحدثت مع الشرطة.

يقول، بحدة في صوته:

ـ إذن جاءا وتحدثا معك، أليس كذلك؟ لماذا لم أتفاجأ؟

يصب لنفسه مشروبًا ويستدير نحوها، يميل على كاونتر المطبخ.

ـ كلَّا، لم يأتيا هنا. «بيكي» أخبرتني.

يقول بمرارة، ويبتلع رشفة كبيرة:

ـ آه، «بيكي».

تسأل «أوليفيا» بيأس:

ـ ماذا يجري بحق الجحيم يا «بول»؟

ـ سأخبرك بما يجري، إن كنت متأكدة من أنك تريدين أن تعرفي.

يأخذ رشفة أخرى من مشروبه.

ـ «لاري هاريس» كان على علاقة بـ«أماندا بيرس» منذ فترة كبيرة. واجهته أخيرًا بالموضوع لكنه أنكر. لذلك أخبرت «أماندا» أن تبتعد عنه. بعدها اختفت. لم أذكر هذا للشرطة في حينها، لأنني لم أعتقد بأمانة أن الموضوع مهم. ولم يسألني أحد. الجميع فكر في أنها هجرت زوجها وحسب. لكن الآن... الظاهر أن «بيكي» رأتني وأنا أتحدث مع «أماندا» وحشرت أنفها في الموضوع وأخبرت الشرطة. لذا توجب عليَّ إخبارهما بكل شيء.

يزفر الهواء بشدة:

ـ أراهن أنها آسفة لأنها ذكرت ذلك.

يرفع رأسه وينظر بتعب إلى «أوليفيا».

ـ الآن جميعهم يحومون حولي. يطلبون مني حجة.

يرفع كأسه عاليًا ويبتلع باقي الويسكي الخاص به مرة واحدة.

تكرر «أوليفيا»:

ـ يريدون منك حجة.

يقول «بول»:

ـ آه، أعتقد ربما يطلبون ذلك من «لاري» أيضًا.

يجب عليها أن تسأل. تقول «أوليفيا»:

ـ أخبرني الحقيقة. هل كنت على علاقة غرامية بـ«أماندا» أم لا؟

يمكنها الشعور بصوتها المتقطع.

ينظر إليها وشيء في سلوكه تغير. والغضب الخشن يسقط.

ـ كلّا بحق الجحيم يا «أوليفيا». لم أضاجعها، أقسم لك. لم أخُنك قَطُّ. لا يمكن. أنت تعرفين ذلك.

ـ إذن لماذا لم تخبرني بهذا؟ لماذا كل هذه الأسرار؟ تحدثت مع الشرطة أمس ولم تخبرني حتى!

يطأطئ رأسه.

ـ آسف.

تنتظر.

يقول:

ـ لم أخبرك في حينها عن «لاري»، لأنني أردت أن أحتفظ بهذا بيني وبينه. أعرف أنك و«بيكي» صديقتان. لم أرغب في أن أضعك في هذا الموقف، أن تعرفي وتحتاري ما إذا كان يجب عليك إخبارها. فكرت أنني لو أخبرت «أماندا» أن تبتعد عنه، فستتوقف عن الاستمرار مع «لاري». لم أعتقد أن نزوتها ستكون مهمة لها.

ـ كيف تعرف أنها كانت تعاشر «لاري»؟

ـ شككت في الأمر لأسابيع، لكن بعدها رأيتها وهي تمارس معه الجنس الفموي في مكتبه.

«أوليفيا» مصدومة. تتساءل إن كانت «بيكي» تعرف التفاصيل.

يُكمل «بول»:

ـ أخبرت المحققين بكل شيء. لم يكن الأمر أكثر من أنني قلقت على زواج «لاري»... هذا ليس من شأني حقًّا. لكني قلقت من أنه أصبح غير مكترث... ويمكن أن يراه شخص غيري في المكتب ويفقد وظيفته. لم أرغب في أن يحدث هذا.

يمكن لـ«أوليفيا» أن تشعر بأن العبء بدأ يخف ببطء من فوق كتفيها.

ـ لكن لماذا لم تخبرني أمس، بعد أن تكلمت مع الشرطة؟ لماذا أخفيت هذا عني؟

يهز رأسه.

ـ لا أعلم. أنا فقط لم أكن أعرف ماذا أفعل. كان يجب أن أخبرك. أنا أخبرك الآن.

يتنهد ويضيف باضطراب:

ـ سألاني إن كانت لديَّ حجة بخصوص عطلة الأسبوع التي اختفت فيها «أماندا».

تسأل «أوليفيا»:ـ ماذا أخبرتهما؟

ـ أخبرتهما بالحقيقة. أنني كنت في المنزل طوال العطلة. أخبرتهما أننا ربما مكثنا في البيت وشاهدنا شيئًا على «نتفليكس». هذا ما نفعله عادة. متى كانت آخر مرة خرجنا فيها ليلة الجمعة أو السبت؟

تسترجع تلك العطلة. بعد ذلك تقول:

ـ كلَّا. أنت ذهبت إلى عمتك تلك الجمعة، أتذكر؟

يتجمد.

ـ اللعنة. أنت محقة. أنا نسيت.

ـ اتصلت بي من المكتب وأخبرتني أنك تعتقد من الأفضل أن تذهب لرؤيتها.

يقول «بول»:

ـ أجل. اللعنة.

تتذكر تلك الأمسية. ذهب «بول» إلى عمته وهي مكثت في المنزل وشاهدت فيلمًا بمفردها.

تقول «أوليفيا» بتوتر:

ـ من الأفضل أن تخبرهما.

يومئ.

ـ سأفعل. محتمل أن يرغبا في سؤالك، أيضًا.

ـ سؤالي؟

ـ بخصوص أين كنتُ تلك العطلة.

تقول «أوليفيا»، محبطة من الموقف:

ـ ما الذي يهم في أين كنت؟ لم تكن على علاقة بـ«أماندا». «لاري» هو من كان على علاقة بها.

يزفر «بول» الهواء بشدة:

ـ لا أعتقد أن الشرطة تعلم من تصدق.

بعد لحظة، يقول:

ـ هل نحن متعادلان الآن؟

ـ ماذا تعني؟

ـ تعرفين... لم تخبريني بأمر الخطابات...

نسيت كل شيء بشأن الخطابات، حل محلها في عقلها كل ما حدث بعدها. تقترب منه، وتضع يدها على صدره.

ـ أجل.

يمكنها أن تشم الويسكي في أنفاسه.

يقول، وهو يطوقها بذراعيه ويقبلها:

ـ أخبريني ثانية، قلت متى سيعود «رالي» إلى المنزل؟

تقول «أوليفيا»:

ـ ليس قبل فترة من الوقت. لم لا تصب لي مشروبًا؟

بينما يصب لها واحدًا، تقول «أوليفيا»:

ـ هل تظن أن «لاري» له علاقة بـ...

يقول «بول»:

ـ كلَّا، بالطبع لا. ❝

❞ ٢٠

تتجول «بيكي» بلا هوادة في المنزل مساء الجمعة، بانتظار أن يعود «لاري» إلى المنزل من العمل. بالطريقة التي سارت بها الأمور الليلة الماضية، فلن يكون بحالة مزاجية جيدة عندما يرجع إلى المنزل. قال إنه ربما يعود متأخرًا، لديه دائمًا الكثير لإنجازه بعد رحلة العمل.

الليلة الماضية نامت في غرفة الضيوف. ليست متأكدة كيف سيمضي كلاهما. ربما لن يكملا. ربما انتهى زواجهما وكل ما تبقى هو إيجاد طريقة ما لإخبار الطفلين ومعرفة كيفية تقسيم الغنائم.

وعلى الرغم من إنكارها الراسخ لـ«أوليفيا»، قضت أغلب الوقت تتساءل إن كان إصرار «لاري» على عدم حدوث أي تابعة بينه وبين «أماندا» يمكن أن يكون صحيحًا.

* * *

كان يومًا طويلًا... أسبوعًا طويلًا منذ عثورهما على جثة «أماندا بيرس»... و«ويب» يشعر بهذا. عيناه تحترقان وأطرافه متعبة. إنه محبط من عدم إحراز تقدم في القضية. لكن الصورة بدأت تظهر. تحدثا مع آخرين في «فانشو» للأدوية، عندما انتهيا من حديثهما مع «بول شارب»، وشكلا فكرة واضحة عن الطبيعة التي كانت عليها «أماندا بيرس». تساءل «ويب» عن مدى صحة الأقاويل حولها. لكن «لاري» اعترف بالواقعة في مكتبه. إذن بعضها صحيح، على الأقل.

الآن، «موين» تقود بهما عائدين من منتجع «ديرفيلدز» حيث حضر «لاري» مؤتمرًا خلال العطلة التي قُتلت فيها «أماندا». يحدق «ويب» من النافذة في المنظر المظلم، يسترجع بتركيز ما عرفاه.

كان «لاري هاريس» بلا شك في المؤتمر من ليلة الجمعة حتى بعد ظهر الأحد. يؤكد كثير من الموظفين هذا. قام بتسجيل الوصول في تمام الثالثة مساء من يوم الجمعة. لكن بعد ذلك، هناك فجوة. يتذكره موظفو البار وطاقم الخدمة، ولكن لا أحد منهم يتذكر بأي

قدر من اليقين رؤيته في مكتب الاستقبال قبل الساعة التاسعة مساء. واتفقوا على أنه كان آخر من غادر الفعالية وشق طريقه إلى غرفته في نهاية الليل، نحو الساعة الحادية عشرة. لم يتناول أي وجبة وهو جالس على طاولة، حيث يمكن لأحد أن يتذكره، فقط تناول الشراب وتشارك مع الآخرين في صالة الرقص. بإمكانه أن يصل إلى مكتب الاستقبال متأخرًا، مما يمنحه عدة ساعات لكي يقابل ـ وربما يقتل ـ «أماندا بيرس». والدليل الأكثر إدانة أن سيارتها ألقيت في بحيرة ليست بعيدة عن المنتجع.

يبدو أن بقية عطلة الأسبوع مبررة. سُجل في محاضرات مختلفة وشوهد في تلك المحاضرات طوال عطلة الأسبوع. ولكن هناك فجوة محيرة في يوم الجمعة.

يشير «ويب» بإصبعه:

ـ استديري من هنا.

تخرج «موين» من الطريق السريع وتمشي في طريق غير ممهد. مظلم تقريبًا. إنه يوم كئيب وممطر، لكنه دافئ ومريح في السيارة.

يعودان إلى مكان الحادث حيث عُثر على جثة «أماندا». كان يسجل التوقيت منذ مغادرتهما المنتجع. «موين» تقود بسرعة كبيرة بعض الشيء بالنسبة إلى طريق غير ممهد.

يقول «ويب» لـ«موين»:

ـ خفضي السرعة. يمكننا تقدير السرعة لاحقًا.

تقلل من الضغط على البنزين.

كان الطريق مظلمًا ومتعرجًا. المصابيح الأمامية للسيارة تجتاح الانحناءات في الطريق، والأشجار ترتفع من كل جانب. بالفعل بعض الأشجار عارية تقريبًا، الطقس تغير، ويبدو الطريق أطول مما كان عليه منذ بضعة أيام عندما كانا هنا، لرفع السيارة الغارقة من البحيرة الباردة.

تسأل «موين»، وهي تقود ببطء أكبر الآن:

ـ هل أنت متأكد من أنك ستكون قادرًا على تحديد المكان في الظلام؟ لست متأكدة من أنني أستطيع. أنا فتاة مدنية.

يقول «ويب»، وهو ينظر باهتمام إلى المناظر الطبيعية المظلمة وراء الزجاج الأمامي:

ـ أتمنى ذلك. نحن نقترب على ما أعتقد. خفضي السرعة.

تبطئ السيارة حول منحنى، ويقول:

ـ هنا. أعتقد أن هذا هو المكان. توقفي جانبًا.

يحدد المنحنى في الطريق، المنحدر إلى الشاطئ. حافة البحيرة. توقف «موين» السيارة جانبًا. توقف المحرك. ينظر «ويب» إلى ساعته، التي تتوهج في الظلام.

ـ عشرون دقيقة.

تنظر «موين» إليه، وتومئ.

ـ ليس بالوقت الطويل على الإطلاق.

يجلسان في الظلام لدقيقة، ثم يخرجان من السيارة الدافئة إلى برودة الليل. يقف «ويب» بجوار باب السيارة، يُقيم ما توصل إليه، وهو يتذكر صباح الاثنين الماضي عندما قاما باكتشافهما البشع.

يسأل «ويب»:

ـ أين سلاح الجريمة؟

يمشي إلى حافة الماء وينظر في البحيرة. تظهر قطعة من القمر حادة ومشرقة من وراء السحب الداكنة. يحاول أن يتخيل ماذا حدث هنا. من أنزل النوافذ؟ أيًّا كان من فعلها فقد ارتدى القفاز، لأنه لا توجد بصمات على أزرار النوافذ، بخلاف بصمات «أماندا». من حشر جثتها في صندوق السيارة وقاد السيارة حتى المنحدر وإلى داخل المياه؟

يعتقد «ويب» أن القاتل على الأرجح شخص التقيا به فعليًّا. يستدير نحو «موين»؛ عيناه تبرقان في الظلام. يقترح «ويب»:

ـ محتمل أن من قتلها اعتمد على أن سيارتها وجثتها لن يُعثر عليهما قَطُّ.

ينظر بعيدًا مرة أخرى عبر البحيرة المظلمة.
ـ ظن الجميع أنها هجرت زوجها. ومن الصعب جدًّا الإدانة من دون جثة.

ينظر مرة أخرى إلى «موين»:

ـ لا بد أن هناك شخصًا ما يرتجف. بالنسبة إلى شخص ما، لم تجرِ الأمور وفقًا للخطة.

* * *

تسمع «بيكي» الباب يُفتح بالطابق السفلي بعد التاسعة مساء بفترة قصيرة. هي في السرير بالطابق العلوي، تميل رأسها، لتسمع. سئمت من انتظار «لاري» وأكلت وذهبت للطابق العلوي مع كتاب. الآن تنصت إليه وهو يتجول في الطابق السفلي. بعد بضع دقائق، تضع الكتاب جانبًا، وترتدي الروب الخاص بها وتغادر غرفة النوم.

تقف أعلى السلالم عندما ترى زوجها واقفًا أسفل السلالم، ينظر إليها. تتقابل أعينهما، لكن لم يتكلم أحد منهما لدقيقة.

بعد ذلك تقول:

ـ أين كنت؟

لا تعتقد أنه مكث في المكتب حتى هذا الوقت المتأخر.

لا يجيبها. أخيرًا يقول:

ـ نحتاج إلى أن نتكلم.

تشق طريقها ببطء هابطة السلالم.

يقول فجأة:

ـ أحتاج إلى شراب.

يمشي متراخيًا إلى عربة تقديم المشروبات في غرفة المعيشة ويصب لنفسه جرعة عالية الكحول من ويسكي البوربون.

تقول «بيكي»:

ـ يمكنك أيضًا أن تصب لي بالمثل.

تمشي إليه ويناولها كأسها. يأخذ كل منهما رشفة. كل الأشياء التي قد يقولها تدور في رأسها.

تتساءل بماذا شعر «لاري» عندما اختفت «أماندا» وبعدها عندما ظهرت جثتها. هل خشي أن تكتشف الشرطة علاقته بـ«أماندا»؟ بالطريقة التي خشيت بها أن يكتشفوا علاقتها بـ«روبرت»؟

يعطيها نظرة تصالحية.

ـ ليست لي علاقة بما حدث لـ«أماندا». وأنت تعرفين هذا.

تقول:

ـ هل أعرف؟

يحدق فيها، مصدومًا بوضوح.

ـ لا يمكنك بأمانة تصديق...

يستمر في التحديق فيها، كما لو أنه عاجز عن إيجاد كلمات.

تقول ببرود:

ـ لا أعرف ماذا أصدق. وإذا كنت أنا لا أصدقك تمامًا، كيف تعتقد أن الشرطة ستفهم ذلك؟

بينما تقف هناك تنظر إليه، هذا الرجل الذي تزوجته طوال ثلاث وعشرين سنة، تسمح لنفسها للمرة الأولى بأن تفكر فعليًّا إن كان «لاري» قتل «أماندا بيرس». وهذا يبث القشعريرة في جسدها.

ـ لا يمكن أن تكوني جادة!

حينئذٍ يضحك... ضحكة قصيرة وقوية.

ـ آه، فهمت. أنتِ بالفعل في مفاوضات الطلاق، أليس كذلك؟ تشعرين بأنك تملكين ورقة ضغط وتريدين أن تستخدميها لصالحك.

لم تفكر حقًّا بهذه الطريقة، لكنها الآن بما أنه ذكر ذلك، ترى الاحتمالات. لا تعتقد حقًّا أنه آذى «أماندا»، لكن لن يضره أن يظن أنها تعتقد ذلك. تركت مسارها المهني. قضت أفضل سنين عمرها في رعاية البيت وتربية الأطفال من أجل هذا الرجل، بينما هو بالخارج لكسب الرزق. يجب أن تحصل على ما هو حق لها. لا تريد أن تكون مخدوعة.

يقول:

ـ أنتِ عاهرة كليًّا.

تتفاجأ بعض الشيء بلهجته. فهذه ليست طبيعته على الإطلاق. بعد ذلك تقول، بصوت معتدل:

ـ لن أصعب الأمور عليك يا «لاري»، ما دمت ستكون منصفًا معي.

يقول:

ـ هل الأمر كذلك؟

يقترب منها ويحدق فيها، يمكنها أن تشعر بأنفاسه على وجهها، تشم رائحة الخمر.

ـ ليست لي علاقة بما حدث لـ«أماندا»... باختفائها.

يبدو أنه لا يستطيع قول هذا. لا يستطيع أن يقول موتها. تقف بثبات. تسأل «بيكي»:

ـ لكن، هل كنت تعاشرها؟ أخبرني الحقيقة. لم تكن تلك المرة في مكتبك هي الوحيدة، أليس كذلك؟

إنها تعرفه. تعرف أنه سيريد المزيد. يمكن أن يكون جشعًا.

يسقط على الأريكة ويبدو متعبًا فجأة. تترهل كتفاه. ويعترف:

ـ أجل. كنا نتعاشر، لبضعة أسابيع. بدأ هذا في يوليو.

يشرب ما تبقى من شرابه في جرعة واحدة طويلة.

تشعر بأن جسمها كله أخذ يتجمد.

ـ أين؟

ـ ذهبنا إلى فندق على الطريق السريع خارج «أيلسفورد».

تحدق فيه ذاهلة، تشعر بغضب عارم غير مفهوم. تهمس:

ـ أيها الغبي. سيكتشفان ذلك.

يقول بعناد، وهو يرفع نظره إليها:

ـ كلَّا، لن يكتشفا.

بعد ذلك يبعد عينيه عنها مرة أخرى من الغضب الشديد الذي يراه هناك.

ـ بالطبع سيكتشفان! سيجوبان الفنادق والأنزال حاملين صورتكما ويسألان الموظفين!

كيف يظن أنهما لن يكتشفا؟ تشعر بالتوعك والخوف الآن، وهذا يجعلها تدرك أنها مهتمة بالفعل. يتعرض الأشخاص للاعتقال مقابل أشياء لم يفعلوها طوال الوقت. إنها تكترث إلى درجة تجعلها لا ترغب في رؤية زوجها متورطًا في تحقيقات جريمة قتل. لا يمكنها أن تدع ذلك يحدث لطفليها. شاهدت «ذا ستيركيس» على «نتفليكس»، ورأت ماذا جرى لتلك العائلة. لن يحدث هذا لعائلتها. تفكر بسرعة.

ـ خشيت أن أخبرهما! لم أتمكن من التفكير. كل هذا كان بمثابة صدمة.

يأخذ نفسًا عميقًا. ويقول:

ـ محتمل ألا يكتشفا.

ينظر إليها، متأثرًا بانزعاجها.

ـ ليست لي علاقة بما حدث لها. أعتقد أن لقاءاتنا العرضية لا تعني أي شيء. فكرت أنها هجرته.

تقول «بيكي»، وهي تجبر نفسها على الهدوء:

ـ لا يهم.

يمكنها أن تفهم أن «لاري» سيبدأ بالانهيار، يجب أن تظل هادئة. يجب عليها أن تفكر.
ـ لم يكن بإمكانك أن تفعل هذا... لديك حجة قوية.

تجلس فوق الأريكة بجانبه.

ـ كنت في ذلك المؤتمر.

مرت بلحظة صعبة حينما كان المحققان هنا، أدركت أن المؤتمر الذي حضره «لاري» لا يبعد عن مكان العثور على جثة «أماندا». لكنه أخبر المحققين أنه كان في المنتجع من بعد ظهر الجمعة، وهذا طمأنها. لا بد أن هناك أشخاصًا يؤكدون ذلك. لكنها الآن ترى شحوبًا رهيبًا يزحف عليه وتشعر بأنها ستفرغ ما بداخل معدتها.

ـ ما الخطب يا «لاري»؟ ما الذي لم تخبرني به؟

ـ لم أقتلها، أقسم على ذلك.

لكن الذعر بادٍ في عينيه.

تنكمش قليلًا.

ـ «لاري»، أنت تخيفني.

يقول بعصبية:

ـ عثروا على سيارتها بالقرب من المنتجع.

تفكر، كيف يتجنب هذا. سيارتها، ليست جثتها. يبدو أنه لا يستطيع أن يواجه هذا. تنحي الفكر المزعج جانبًا. وتصمم:

ـ لكن هذا لا يهم. إلا إذا قضيت الوقت كله في المنتجع.

لكن الآن تطرأ على ذهنها فكرة... ماذا لو تسلل لساعة أو ساعتين؟ ماذا لو أنه رتب لمقابلتها؟ هل يكون قادرًا على قتلها

حينئذٍ؟ هل يستطيع؟ تشعر بأنها خائفة عندما تدرك أنها تجهل الأمر.

يقول وهو يجول بنظره في الغرفة. يبدو أنه لا يريد أن ينظر في عينيها.

ـ لكن ماذا لو أن الأشخاص لا يتذكرون رؤيتي؟

ـ «لاري»، ماذا تقول؟

ينظر إليها أخيرًا بخوف، متوسلًا، كما لو أنها تستطيع مساعدته بطريقة ما. لكنها تخشى أنها لا يمكنها مساعدته.

تقول بتوتر:

ـ «لاري». هل غادرت المنتجع؟

ـ كلَّا.

ـ إذن، ما المشكلة؟

ـ سجلت الدخول يوم الجمعة وصعدت إلى الغرفة. لم أرغب في رؤية أي أحد. أنا... أنا تشاجرت مع «أماندا» اليوم الذي قبله... قالت إنها لا تريد أن تراني بعد ذلك... وكنت منزعجًا، ومتعبًا. لذلك مكثت في الغرفة وأنجزت بعض العمل وحينئذٍ... غلبني النوم. لم أستيقظ حتى الساعة التاسعة تقريبًا. فاتني أغلب حفل الافتتاح.

تنظر إليه ذاهلة وغاضبة. تمر ثوانٍ طويلة، الغرفة لا تزال صامتة إلا من صوت دقات قلبها. بعد ذلك تقول:

ـ هل تخبرني بالحقيقة؟

ـ أجل، أقسم لك.

تقول:

ـ حتى إنني أجد صعوبة في تصديق ذلك.

تدرك أنه لا يملك أي حجة على الإطلاق.

تسأل، وحلقها يزداد اختناقًا:

ـ أين تشاجرت مع «أماندا»؟ هل رآك أي أحد؟

ـ كانت المشاجرة عبر الهاتف.

ـ أي هاتف؟

يختلس النظر إليها.

ـ استخدمنا هواتف سابقة الدفع.

لا يمكنها أن تصدق... زوجها، أبو أولادها، يستخدم هاتفًا سابق الدفع. تسأل بغضب شديد:

ـ ماذا حدث للهاتف؟

ـ ألقيته من فوق الجسر في النهر.

ـ أي جسر؟ متى؟ اللعنة! ربما لديهم كاميرات، كما تعلم.

ينظر إليها، وهو شاحب بشكل مروع الآن.

ـ «سكاي واي». يوم الأحد في طريق عودتي إلى البيت من المنتجع. هي انفصلت عني... اعتقدت أنني لم أعد أحتاج إلى الهاتف.

تهسهس:

ـ أنت ابن عاهرة غبي.

وتنصرف. "

" ٢١

يجلس «روبرت بيرس» بمفرده في غرفة المعيشة المظلمة، يرتشف ببطء من كأس ويسكي. يفكر في المحقق «ويب»... ومساعدته، المحققة «موين»... وما قد يعتقدانه. ما الذي ربما يكون بحوزتهما. لا يمكنهما الحصول على أي شيء ضده. إنهما يحاولان الحصول على المعلومات بطريقة غير مباشرة.

سيحققان بالتأكيد مع جاره المجاور، «لاري هاريس»، الذي أقام علاقة جنسية مع «أماندا». لا يفهم «روبرت» ما الذي أعجب «أماندا» فيه. لكنها دائمًا ما تنجذب إلى الرجال الأكبر سنًّا. آه، علم بالأمر. فهو ليس غبيًّا. عرف بأمر «لاري» منذ فترة من الزمن.

بعد ذلك تمكن من فتح هاتف «أماندا» السري. لم يكن بتلك الصعوبة... فقط بحث على جوجل عن طريقة فتح شاشة قفل

أندرويد من دون كلمة سر. وما إن فعل، تبين كم هو مفيد. مكالماتها، رسائلها النصية، الرقمان السريان. اتصل بأحدهما وأجاب رجل. بمجرد أن سمع صوته، تعرف عليه. لأنه بنهاية المطاف، كان الشخص الذي يتوقعه.

قال «روبرت»:

ـ «لاري».

سأل «لاري»، باندهاش واضح:

ـ من المتحدث؟

ـ أنا زوجها، «روبرت».

أغلق «لاري» الهاتف في عجالة.

الرقم الآخر لم يجب. هذا الرقم الذي أقلقه كثيرًا. الرقم الذي أرسلت له هذه الرسائل النصية، الرسائل التي تشارك تفاصيل حميمية خاصة عن حياتهما معًا، الرسائل التي تقول إن زوجها مختل عقليًّا. هذه الرسائل أثارت غضبه. لا بد أنها كانت قادرة على تحذيره من أن زوجها حصل على هاتفها.

وكانت هناك أشياء أخرى على هذا الهاتف، أيضًا، تلك التي لم ترسلها لأحد، التي تسببت في إغضابه أكثر من أي شيء آخر. وحتى إخافته.

يفكر في «بيكي». لا بد أنها تعرف الآن بعلاقة «لاري» و«أماندا»، إن كان المحققان مفيدين حقًّا. يشك في أن عشق «بيكي» له ليس عشقًا حقيقيًّا. يتمنى أن تُبقي فمها مغلقًا. لن يكون الأمر مُرضيًا للشرطة، أن تعتقد أنه كان لديه دافع لقتل زوجته. إذا أخبرهما «لاري هاريس» بتلك المكالمة التلفونية، فسينكر «روبرت» ببساطة. ليس هناك دليل. لا دليل مطلقًا على أن «روبرت» أجرى هذه المكالمة.

لا دليل على أن «روبرت» يعرف بعلاقتها الغرامية. علاقاتها الغرامية. ما دام لن يُعثر أبدًا على هاتف «أماندا» سابق الدفع. يجب ألا يُعثر عليه أبدًا.

يعود بالذاكرة إلى بداية انتقالهما إلى هنا. تلك الحفلة غير المرحة التي أصرت «أماندا» على الذهاب إليها. وهو يجلس هناك يراقبها، كم كانت جميلة، وقاسية بشكل عفوي. يتساءل الآن إن كانت قامت باختياراتها ذلك اليوم، أي واحد كانت تحاول مضاجعته. كانا متزوجين من سنة فقط. ما مدى ضآلة معرفته بها في ذلك الحين،

ميولها... تصرفاتها الطفولية، حاجتها غير المبررة إلى إغراء الرجال الأكبر سنًّا. وما مدى ضآلة معرفتها به حينها... صميم روحه الكئيبة والباردة. لكن كان عليهما أن يعرفا بعضهما بشكل أفضل.

يعرف أن «بيكي» و«لاري» كليهما في البيت. هناك إضاءة في الطابق السفلي بالمنزل المجاور، حتى في هذا الوقت المتأخر. كم يود التنصت خلسة عليهما.

* * *

ينتظر «رالي» حتى ينام كل من بالمنزل. يرتدي بنطاله الجينز وتيشيرتًا ورداءه القاتم ذا القلنسوة، ويفتح بحرص باب غرفة نومه. يعرف أن أباه ينام بعمق، أمه هي التي يقلق منها. لكنه يقف صامتًا خارج غرفة نومه في الصالة ويمكنه سماع شخير كل منهما المنفصل والمميز. يتسلل مرتاحًا هابطًا السلالم، حريصًا ألا يحدث صوتًا.

يرتدي حذاءه الرياضي في المطبخ. لا يضيء أي مصباح. اعتاد أن يعمل في الظلام. بهدوء، ينزلق من باب المطبخ إلى المرآب، حيث يضع دراجته. يرتدي خوذته، ويرفع ساقه فوق الدراجة، وبمجرد أن يغادر المرآب، يبدأ بالضغط بقدمه على الدواسة، بسرعة، ويبتعد عن المنزل.

يعرف أنه عمل سيئ، اختراق حواسيب الآخرين. بدأ الاختراق من أجل التحدي. كيف يشرح ذلك لشخص لم يجرب هذا الشعور؟ لن يفهم أبواه، لكن أي زميل مخترق يعرف بالضبط لماذا يفعل هذا. شعور عظيم... اختراق نظام شخص آخر يجعله يشعر بالقوة، كأنه يتحكم في شيء ما. لا يشعر بأنه يتحكم كثيرًا في حياته. وعد أبويه ـ ووعد نفسه ـ أن يتوقف. وسيفعل. المخاطر هائلة. هذه آخر مرة له. لن يفعل ذلك على الإطلاق إذا لم يكن يعلم على وجه اليقين أن أصحاب المنزل بالخارج. وهذه المرة، لديه قفاز مطاطي محشو في جيب بنطاله الجينز... أخذه من العبوة التي تحتفظ بها أمه في خزانة أدوات التنظيف. لن يخاطر بأي شيء غبي، ولن يترك بصمات خلفه.

يفحص «رالي» المنزل. إنها ليلة مظلمة، والسحاب يحجب القمر. المصباح مضاء عند واجهة الباب، وهناك إضاءة في الطابق العلوي... قد تكون مصابيح مؤقتة. يعرف هذا لأن لديهم قطة. وجليسة الحيوانات الأليفة المحلية، التي تضع لافتة على سيارتها، كانت تتوقف وتدخل هذا المنزل في الأيام القليلة الماضية. يراها «رالي» كل صباح في طريقه إلى المدرسة. كم يمكن أن يكون الأشخاص أغبياء؟ استئجار جليسة حيوانات أليفة تضع لافتة على سيارتها اللعينة؟ هذا بمثابة إعلان أنهم خارج المدينة، بحق الجحيم.

حاول أن يقنع نفسه أن يمتنع عن هذا. لكنه لم يستطع المقاومة. يريد أن يقتحم منزلًا حيث لا يقلق من أن يأتي المُلاك بعد تناول عشاء بالخارج. يريد أن يسترخي ويأخذ وقته... يبحث بشكل أعمق، يجرب بضعة أمور مختلفة قبل أن يتقاعد.

يتسلل «رالي» إلى خلفية المنزل. لا أحد يراقب. يفحص الأبواب والنوافذ بعناية. لا علامة واضحة على وجود نظام أمني. لكن الأبواب والنوافذ مغلقة بإحكام. شاهد فيديوهات على اليوتيوب، تحسبًا. ليس من الصعب اقتحام منزل مثلما قد يعتقد مالك البيت العادي. يضع يده في جيب بنطاله الجينز ويسحب بطاقة الصرف الآلي الخاصة به. يمررها على طول حافة الباب حيث يكون القفل ويبدأ العبث بالمزلاج. يقوم الرجال بعمل هذا على اليوتيوب في بضع ثوانٍ، لكنه يستغرق من «رالي» دقيقة كاملة تقريبًا قبل أن يتحرك المزلاج بضغطة مرضية. وتمامًا في الوقت المناسب... يتصبب عرقًا، خشية أن يراه أحد.

ينزلق بداخل الباب ويغلقه بهدوء خلفه، قلبه يدق بشدة. يعيد بطاقته إلى جيبه ويخرج هاتفه. يضيء الكشاف. يفتح الباب مباشرة إلى داخل المطبخ. يركل شيئًا ما ـ طَبَقًا ـ ويتسبب في تناثره فوق الأرضية. اللعنة. يطفئ الضوء. هناك طعام قطط في كل مكان. يجلس القرفصاء، ويكنسه في كومة، ويلتقطها بيديه المرتديتين

القفاز. الآن هناك قط أسود في أبيض يدغدغ ساقه. يتوقف لكي يربت عليه لدقيقة.

لا يضيع وقتًا بالأسفل. الحواسيب دائمًا تكون بالطابق العلوي، في غرف النوم أو غرفة المكتب.

واضح أن المنزل يسكن به زوجان وطفل رضيع... هناك غرفة نوم رئيسية، وغرفة طفل رضيع، وغرفة المكتب في الخلف. يتسلل إلى المكتب في نهاية الصالة ويستعد لأن يخترق الحاسوب. من خلال إدخال فلاشة إقلاع مع عدد قليل من ضغطات المفاتيح تمكن من برمجة تطبيق سري وتجاوز كلمات المرور. بعد أن قام بجولة سريعة، سيحاول تجربة شيء جديد... سيستخدم هذا الحاسوب المخترق لمحاولة الدخول إلى شبكة صاحب العمل الذي يعمل لديه مالك المنزل، إذا كان يعمل في أي مكان كإثارة جزئية. يشعر «رالي» بالاسترخاء... الحاسوب في خلفية المنزل، الستائر مغلقة، لا يمكن لأحد رؤية ما يجري بالداخل... يمكنه البقاء هنا طوال الليل لو أراد. ينغمس فيما يفعله عندما يسمع صوتًا. أبواب سيارة تُغلق بعنف. يتجمد. يسمع أصواتًا بالخارج. اللعنة. لا يمكن أن يكونوا بالمنزل. يشعر «رالي» بالذعر. ينظر من النافذة. لا يوجد مخرج هناك. لا يوجد سطح للصعود إليه. وهو لا يقفز من نافذة بالطابق الثاني.

بينما هو ما زال حائرًا، يرتفع الصوت. الآن يسمع مفتاحًا في الباب الأمامي. اللعنة. اللعنة. اللعنة. نهض من المقعد الآن ويجلس متجمدًا من الخوف بالقرب من أعلى السلالم. هل يمكن أن يهبط السلالم ويخرج من الباب الخلفي بسرعة كافية؟ لكن الباب الأمامي مفتوح الآن، وثمة مصباح مضاء، يغمر الممر الأمامي بالضوء. إنه في مأزق. لا توجد طريقة للخروج.

يرى القط يدخل الصالة، يدغدغ قدم طاولة الصالة، ويموء مناديًا أصحابه، لكنه لا يستطيع رؤيتهم.

يسمع صوت رجل يقول:

- احملي الرضيعة للطابق العلوي وضعيها في مكانها وسأحضر الأمتعة.

ما زالا لا يعلمان بوجود غريب في الطابق العلوي من منزلهما.

يعود «رالي» إلى غرفة المكتب في نهاية الصالة، بالكاد يجرؤ على التنفس. الحاسوب ما زال يعمل، لكنه ليس في مواجهة الباب ولا يحدث صوتًا. الغرفة مظلمة. ربما لن يلاحظوا. ربما يمكنه الاختفاء هنا حتى يناموا. يشعر بقطرة عرق تسيل على ظهره. يسمع امرأة تصعد السلالم بتثاقل، تهدهد الرضيعة. يتمنى «رالي» أن تبدأ

الرضيعة بالبكاء، لكنها تظل هادئة. ألواح الأرضية تصدر صريرًا بينما تدخل المرأة غرفة الرضيعة في منتصف الصالة. يبقى الزوج بالخارج مع السيارة. يسمع «رالي» صندوق السيارة يغلق. هل يهرب مسرعًا الآن؟ أم ينتظر؟ أطول ثانيتين في حياة «رالي».

يُصاب بالهلع. يهرب هابطًا السلالم بأسرع ما يمكن، حتى لم يكلف نفسه عناء التزام الهدوء. يصل إلى أسفل السلالم قبل أن يصل الرجل إلى الباب الأمامي. يسمع صرخة مفاجئة للمرأة من خلفه. يصل منتصف الطريق إلى المطبخ قبل أن يُفتح الباب الأمامي. يتدافع إلى باب المطبخ، ويشق طريقه في الظلام، ويركل طبق القطة مرة أخرى، متسببًا في بعثرته. يسمع الرجل خلفه في الصالة الأمامية...

ـ ما هذا بحق الجحيم؟

ويسمعه يرمي بشكل مفاجئ كل شيء يحمله ويلحق به. «رالي» لا ينظر خلفه.

هو خارج المنزل ويجري بأسرع ما يمكنه. يجري عبر الباحة الخلفية، يقفز السياج من دون تفكير، معززًا بالأدرينالين. لا يتوقف حتى يبتعد وتكاد تنقطع أنفاسه.

يختبئ خلف شجيرة في حديقة حتى يتوقف قلبه عن الخفقان ويلتقط أنفاسه. ما زال عليه أن يعود ويستعيد دراجته قبل العودة إلى البيت... على الأقل كانت لديه مهارة ألا يتركها بالقرب من المنزل. لا بد أنهما سيبلغان الشرطة. سيلاحظان أن الحاسوب على وضع التشغيل، وسيريان ما فعله.

* * *

لا تتمكن «كارمن» من النوم. تحاول أن تقرأ لكن لا شيء يثير اهتمامها. إنها تريد صحبة من الأشخاص. تفتقد زوجها. اعتاد أن يقرأ بجانبها، الآن قد رحل.

تهبط السلالم إلى المطبخ لتصنع مشروب الشوكولاتة الساخن عندما تسمع شخصًا بالخارج، في الشارع. يصيح. تتجمد، تنصت. تسمع ضجيجًا، مزيدًا من الصياح. تتحرك بسرعة إلى الباب الأمامي لكنها لا تضيء المصباح. عندما تنظر بالخارج، ترى شخصًا ضعيفًا، داكنًا، يلوح فوق الرصيف بنهاية ممر منزلها. يظهر أنه بمفرده. يمسك شيئًا في يده، مثل العصا. تزحف إلى الأمام، وتقترب وترى أنه مجرد صبي. مراهق، ربما يكون سكران، في ليلة الجمعة. لا يزال واقفًا، يتمايل، كما لو أنه لا يتذكر ما كان يفعله، ويمسك بما يشبه عصا هوكي مكسورة. تعتقد أنه كان يحطم سلة المهملات الخاصة بها.

تقول «كارمن»:

ـ مهلًا!

تمشي في الممر باتجاهه مرتدية روب الحمام الوردي. ينظر الصبي إليها، كما لو أنه اندهش من رؤيتها. تقول برعونة:

ـ ماذا تفعل؟

ليست خائفة منه. فهو مجرد صبي. إنها على بعد بضعة أقدام منه فقط وتستطيع رؤيته بوضوح. يمكنها أيضًا أن تشم رائحة الخمر منه. شيء فيه يذكرها بابنها، «لوك». يبدو أنه يحاول التركيز، لكن وجهه مرهق. لا يقول أي شيء، لكنه لا يجري أيضًا. ربما لأنه إذا حاول سينكب على وجهه.

تقول، بلغة الأم:

ـ لست ناضجًا بما يكفي لأن تشرب الخمر، أليس كذلك؟

يلوح لها من بعيد وكأنه يضرب ذبابة، ويتعثر في الشارع، يجر عصا الهوكي المكسورة.

تراقبه باهتمام وهو يتعثر في الرصيف، حتى دخل عند منزل في نهاية الشارع. ترى المصابيح تضيء في المنزل. تفكر، على الأقل وصل إلى المنزل. يمكن لأبويه أن يتعاملا معه.

* * *

في صباح اليوم التالي، تتصل «جليندا» بـ«أوليفيا» وتدعوها للتمشية. تريد أن تعرف ما حدث الليلة الماضية، عندما واجهت «أوليفيا» «بول».

ترتدي «جليندا» سترة وحذاء المشي الخاص بها. الجو بارد، يوم صقيع، لكن على الأقل الشمس تشرق مرة أخرى بعد مطر الأمس الكئيب. تغلق الباب خلفها، وتبدأ بالمشي باتجاه منزل «أوليفيا». عقلها ممتلئ. لو أنها تستطيع أن تحل مشكلات الجميع. لو يختفي فقط كل هذا الضغط العصبي.

الليلة الماضية، عاد ابنهما «آدم» سكران، مرة أخرى. كانا قد منعاه من الخروج، لكنه تجاهل ذلك. عاقباه، لكنه تسلل من المنزل. الآن، لا يعرفان ماذا يفعلان.

قال «كيث» هذا الصباح:

ـ ربما تركنا له الحبل على الغارب. عندما يتعب من التقيؤ في الصباح، سيستقيم.

حدقت فيه بغضب، وهي تطوي ذراعيها أمام صدرها. لم يسهر ليلًا يحرس ابنهما حتى يتأكد من أنه لم يختنق حتى الموت. نام «كيث» جيدًا. لا يبدو أن هناك ما يزعجه، كما لو أن جلده سميك.

أحيانًا تتمنى لو تمكنت من أن تجعل زوجها يفهم كل الأمور التي تفعلها، كل ما فعلته من أجل أسرتهم. لا يقدرها بما يكفي. لن يفعل ذلك أبدًا. فهو غافل.

وكان عليها أن تنظف الفوضى في الحمَّام.

يقول «كيث» بشكل غير مفيد، وهو يصب لنفسه قدحًا من القهوة:

ـ اجعليه ينظفها.

ألقت نظرة على «آدم» وهو يئن في السرير، وأدركت أنه لن ينظف أي شيء، ونظفت بنفسها. الآن كل ما تريده هو أن تخرج من البيت، تبتعد عن زوجها وابنها ورائحة القيء وتتحدث مع شخص عاقل. شخص متفهم.

ترى «أوليفيا» تقترب منها فوق الرصيف وتلوح لها. سرعان ما تقابلتا وجهًا لوجه، وتابعتا السير معًا خطوة بخطوة. تقترح «جليندا»:

ـ هيا بنا نذهب إلى الحديقة.

في الطريق، تخبر «أوليفيا» بآخر مشكلة مع «آدم». بينما تمشيان معًا على حافة البركة، تقول «جليندا»:

ـ أعتذر عن الفضفضة. إذن، ماذا حدث الليلة الماضية؟ هل تحدثت مع «بول»؟

تستدير وتنظر إلى «أوليفيا» وتلاحظ أنها تبدو أقل توترًا مما كانت عليه اليوم الماضي.

تومئ:

ـ تحدثت.

تزفر بشدة وتتوقف، تنظر نحو المياه باتجاه الأشجار من ورائها.

ـ لم يكن يعاشر «أماندا». رآها تمارس الجنس الفموي مع «لاري» في المكتب وحذرها لكي تبتعد عنه حتى لا يفقد «لاري» وظيفته.

تقول «جليندا»:

ـ رائع.

تستدير «أوليفيا» نحوها وتضحك فجأة.

ـ هذا جنون، أليس كذلك؟

تهز «جليندا» رأسها.

ـ الأشياء التي يفعلها الأشخاص.

ـ لا أعتقد أنني و«بول» لدينا ما نقلق حياله. لكن «بيكي»... لا أريد أن أكون في مكانها.

يهدأ تعبير «أوليفيا».

ـ لو أن لرجل علاقة غرامية مع «أماندا»، الأرجح أن يكون «لاري»، ألا تعتقدين هذا؟

تشعر «جليندا» باسترخائها. المشي بالخارج، وبث شكواها الخاصة، وسماع أخبار «أوليفيا»، كل هذا جعل «جليندا» بخير. لا تعلم ما يجب عليها أن تفعل لو لم تتكلم مع «أوليفيا». تقول «جليندا»:

ـ أعتقد أن هذا الزواج لن يستمر لفترة أطول.

تجلسان جنبًا إلى جنب، تراقبان البجع. أخيرًا تسأل «جليندا»، وصوتها متردد:

ـ هل تعتقدين أن «لاري» بإمكانه قتل «أماندا»؟

تقول «أوليفيا»، وهي تهز رأسها:كلَّا، لا يمكن. «بول» لا يعتقد هذا أيضًا. أراهن على «روبرت بيرس». ❝

❞ ٢٢

تترك «أوليفيا» «جليندا» عند الزاوية وتعود إلى البيت، مخفضة رأسها. تبدو «جليندا» مضطربة جدًّا مؤخرًا. واضح أنها قلقة للغاية على «آدم». تعرف «أوليفيا» أن «كيث» ليس بالأب شديد التعقل، ولا حتى شخص داعم بشكل خاص. يبدو أنه يترك كل التربية لـ«جليندا»، وهذا حمل كبير. تشعر «أوليفيا» بالامتنان الكبير لأن

«بول» ليس كذلك. فهما يتخذان قراراتهما معًا وعادة يريان الأشياء بالطريقة نفسها... باستثناء طبعًا إرسال «رالي» إلى معالج نفسي. وخطابات الاعتذار.

بينما تقترب من منزلها، ترى سيارة سيدان تركن أمام المنزل. عيناها تذهبان إلى الباب الأمامي الخاص بمنزلها وترى شخصين يقفان هناك، وظهراهما إلى الشارع. يبدأ قلبها يدق بشكل أسرع.

تسرع إلى الممر و«بول» يفتح الباب. ترى نظرة الاندهاش على وجهه. بعد ذلك تقابل عيناه عينيها، ويبدو كأنها تملي عليه ما سيقوله.

يستدير الرجل عند العتبة الأمامية ويراها. يقول، وهي تقترب:

ـ صباح الخير.

يظهر شارته.

ـ أنا المحقق «ويب»، وهذه هي المحققة «موين». آسف على إزعاجك في يوم السبت، لكن هل يمكن أن ندخل؟ لن نمكث طويلًا.

تومئ «أوليفيا»، وتقول:

ـ أنا «أوليفيا».

يقول «بول»، ويفتح الباب على مصراعيه:

ـ ادخلا.

تقول «أوليفيا»، وهي تأخذ معطفيهما:

ـ كنت في الخارج للتمشية. هل أحضر لكما شيئًا؟ قهوة؟

يقول «ويب»، وهو يتبع زوجها إلى غرفة المعيشة، و«موين» خلفه:

ـ كلَّا، شكرًا لك.

تبتسم لها المحققة «موين». «أوليفيا» تفكر، لها وجه لطيف. إنها أكثر قبولًا من شريكها، الذي يبدو حادًّا بعض الشيء. تفكر «أوليفيا»، ربما هذا هو سبب عملهما معًا. تجلس هي و«بول» جنبًا إلى جنب بشكل متصلب إلى حد ما على الأريكة.

يستدير المحقق «ويب» نحوها. يقول، وهو يلقي نظرة سريعة على زوجها:

ـ ربما تعلمين، نحن نحقق في مقتل «أماندا بيرس».

تخبر «أوليفيا» نفسها بأن تهدأ. ليس لديهما ما يخفيانه. من الجيد أن المحققين هنا... يمكنها في الحال توضيح أين كان «بول» في ليلة الجمعة تلك.

تقول «أوليفيا»:

ـ أجل، أعرف.

يقول المحقق:

ـ تكلمنا بالفعل مع زوجك وكان متعاونًا جدًّا.

تومئ «أوليفيا». لا تزال تشعر بقدر من التوتر. لكن من لا يكون متوترًا ولديه محققان من الشرطة في غرفة معيشته؟

يقول «ويب»:

ـ أفهم أنه كان معك بالمنزل ليلة الجمعة التاسع والعشرين من سبتمبر؟

يتصدى «بول» للمحقق «ويب»:

ـ في الواقع، أخطأت من قبل. نسيت تمامًا. لديَّ عمة كبيرة في السن... عمتي «مارجريت»، التي تسكن بمفردها وتشعر بالوحدة الشديدة. تتصل بي كثيرًا، وتطلب أن أزورها. اتصلت بي ذلك اليوم، ثائرة بشكل غير عادي، وطلبت مني أن أذهب لرؤيتها، وفعلت. ذهبت بعد العمل مباشرة. اتصلت بـ«أوليفيا» أولًا، لكي أخبرها.

يرمقها بنظرة.

تومئ «أوليفيا». وتقول:

ـ هذا صحيح.

يفحصها «ويب» لدقيقة وبعد ذلك يستدير عائدًا إلى «بول».

يسأل:

ـ أين تسكن عمتك؟

ترى «أوليفيا» «موين» تسحب مذكرتها، وتقلب صفحة جديدة.

ـ إنها في «بيرويك».

يقول «ويب»:

ـ فهمت.

تشعر «أوليفيا» باضطراب. إنها تعرف فيما يفكر الشرطي. المدينة الصغيرة التي تعيش فيها عمة «بول» تقع في اتجاه «كانينج»، حيث عُثر على جثة «أماندا». لكن «بول» لم تكن له علاقة بـ«أماندا». ما يقوله صحيح... كثيرًا ما تتصل به «مارجريت» وترجوه أن يزورها. أمر مؤلم حقًّا. كثيرًا لا يفعل، لكن أحيانًا ما يقوم برحلة إلى هناك. هو ليس قريبًا منها بشكل خاص، لكن ليس هناك آخرون في العائلة ليزوروها وهو يشعر بالذنب. تتذكر تلك الجمعة. أخبرها أن «مارجريت» كانت لحوحة جدًّا، لأنه لم يرَها من فترة طويلة، ولذلك شعر بأنه لا يمكن أن يقول لا.

يقول المحقق:

ـ تقول إنها تعيش بمفردها؟

يجيب «بول»:

ـ هذا صحيح. إنها على قائمة مساكن الرعاية الدائمة، لكن دورها لم يحن بعد. لذلك حتى الآن، يأتي إليها أشخاص لمساعدتها.

يقول «ويب»:

ـ هل كان هناك أي أحد عندما ذهبت لزيارتها مساء الجمعة؟ أي شخص يمكن أن يشهد لصالحك؟

ـ حسنًا، كلَّا. كان ذلك في المساء. وكانوا قد ذهبوا لمنازلهم.

ـ لكن إذا قمنا بزيارة إلى عمتك، هل ستؤكد أنك كنت هناك تلك الليلة؟

الآن يبدو «بول» مضطربًا. يعتدل قليلًا في مقعده. يقول:

ـ حسنًا، لا أعرف. كما تعلم، ذاكرتها تضعف. وأصبحت مصابة بخرف سيئ، أيضًا... لذلك فهي عرضة لأن يختلط عليها الأمر بعض الشيء. لن تتذكر زيارة منذ ثلاثة أسابيع مضت.

ـ فهمت.

تسأل المحققة «موين»:

ـ ما الرقم الذي اتصلت بك عليه؟

يقول «بول»:

ـ اتصلت على هاتفي الخلوي، بينما كنت في العمل. إنها تتصل بي كثيرًا، في الحقيقة. تقريبًا كل يوم.

تسأل «موين»:

ـ إذن، لو تفقدنا سجلات هاتفك الخلوي، ستُظهر أنها اتصلت بك ذلك اليوم؟

يومئ «بول» مؤكدًا.

ـ أجل، بالطبع.

يقول «ويب»:ـ وإذا تفقدنا مكان وجودك عن طريق موقع هاتفك الخلوي تلك الليلة، سيُظهر أنك كنت في منزل عمتك.

يبدو «بول» الآن أقل ثقة بنفسه. يفتح فمه لأن يتكلم لكنه لا يقول شيئًا.

يسأل «ويب»:

ـ هل هناك مشكلة؟

تراقب «أوليفيا» كل هذا الإفصاح أمامها، تتسارع دقات قلبها.

يقول «بول»:

ـ أنا... أنا لا أعلم. كان هاتفي معي، لكن بطاريته كانت منخفضة جدًّا ولم يكن الشاحن معي، لذلك أغلقته وحسب.

يقول «ويب»:

ـ فهمت.

ينظر «بول» باضطراب إلى «أوليفيا». يبدو أن المحقق لا يصدقه.

يسأل «ويب»:

ـ متى عدت إلى البيت يا سيد «شارب»؟

يقول «بول»، وهو ينظر إلى «أوليفيا»:

ـ لست متأكدًا. الحادية عشرة تقريبًا؟

تهز «أوليفيا» كتفيها.

ـ لا أتذكر بأمانة. ذهبت للنوم مبكرًا... كنت نائمة بالفعل عندما عدت.

فجأة تشعر بأن «بول» غير قادر حقًّا على إثبات مكانه تلك الليلة. تفحص المحققين، لكن لا يمكنها معرفة ما يفكران به. تخبر نفسها أنه ليس لديها سبب للقلق. لكنها لا تعجبها الطريقة التي ينظران بها إلى زوجها. تشعر بالغثيان قليلًا.

تتساءل، بطريقة تجعلها تشعر بالضيق، إن كان يخفي شيئًا.

يسأل «ويب»، متجهًا بنظره إلى «أوليفيا»:

ـ وباقي عطلة الأسبوع؟

ـ كان في البيت، معي. بكل تأكيد.

يتوجه المحقق إلى «بول» بالسؤال:

ـ هل يمكنني الحصول على عنوان عمتك؟

* * *

«روبرت بيرس» في المنزل صباح السبت، يستمتع بقدح من القهوة، عندما يسمع جرس الباب يرن. يظل ساكنًا. يقرر ألا يجيبه، ربما يرحل الطارق.

لكن جرس الباب يرن مرة أخرى، بإصرار. يضع قهوته، منزعجًا، ويمشي إلى الباب الأمامي. لا يريد أن يتكلم مع أي أحد.

يفتح الباب ويرى سيدة كبيرة حسنة المظهر تبتسم له. يقول باختصار:

ـ ماذا تريدين؟

تقول السيدة:

ـ آسفة لإزعاجك.

ينظر لها ببرود... ألا تعرف بحق أن زوجته قُتلت؟ لكنها تستمر من دون مبالاة.

ـ اسمي «كارمن». أنا جارة لك. أسكن في اثنين وثلاثين شارع «فينش»، على بعد شارع واحد.

تشير من فوق كتفها.

يهم بأن يغلق الباب.

تقول بعجالة:

ـ تعرضت لاقتحام مؤخرًا، وأحاول معرفة إن كان هناك من تعرض للشيء نفسه.

يتوقف. يتذكر الخطاب، البصمات غير المبررة في منزله. يفكر في هاتف «أماندا»، كيف أنه وجده فوق الأظرف في درجه في حين أنه كان متأكدًا من أنه وضعه أسفلها. يريد أن يسمع ما ستقوله هذه السيدة، لكنه لا يريد أن يدعها تعلم بأنه تعرض لاقتحام، كذلك. هو

بالفعل سحق الخطاب. ماذا لو تعلم الشرطة؟ ماذا لو يكتشفون من فعلها، ويسألونه عما رآه في منزل «روبرت»؟ يهز رأسه. متجهمًا.

يكذب:

ـ كلَّا. لم يقتحم أحد هنا.

تقول، وهي تتنهد بشكل درامي:

ـ حسنًا، أعتقد هذا جيد. اقتحم شخص منزلي، وسأكتشف من يكون.

تمسك بورقة.

ـ تلقيت هذا الخطاب.

يسأل:

ـ هل تسمحين لي؟

تناوله الخطاب. يدرك سريعًا أنه الخطاب نفسه الذي استلمه.

ـ متى استلمتِه؟

ـ وجدته صباح الاثنين الماضي. وُضع من فتحة بريد باب منزلي.

ينظر لأعلى ويعيده إليها. يقول:

ـ يا له من أمر غريب!

لا يمكنه التفكير في أي شيء آخر ليقوله.

تزفر الهواء بشدة.

ـ أنت محق. لا أعلم كم هو غريب بالنسبة إلى الأطفال أن يقتحموا المنازل، لكن الأشد غرابة هو أن تكتب الأم خطاب اعتذار مجهولًا.

تضيف:

ـ لا يمكنني العثور على شخص آخر تلقى الخطاب. لكن من الواضح أن هناك آخرين. وأراهن أن هذا الصبي اقتحم مزيدًا من المنازل أكثر من التي تعرفها أمه.

تتنهد مرة أخرى، بثقل.

ـ أفترض يجب أن أترك الموضوع وشأنه. لم يُسرق شيء وواضح أن والدَي الصبي تعاملا مع الأمر.

يقول «روبرت»، حريصًا ألا يظهر الاضطراب الذي يشعر به.

ـ إنه مجرد مراهق غبي.

تميل على نحو تآمري وتقول:

ـ في الواقع... أنا متأكدة تمامًا من أنني اكتشفت من يكون. وحسب ما ترامى إلى سمعي، فهو يمتلك بعض المهارات التكنولوجية الفائقة.

يسأل «روبرت» عرضًا:

ـ حقًّا؟ من؟

لكنه يفكر، ماذا لو أن الصبي اخترق الهاتف؟

ـ سأتأكد، وسأعلمك. فهو تسلل إلى حياتي، وسأتسلل إلى حياته. وبعد ذلك سأخبره بما أعتقده عنه.

يومئ «روبرت»:

ـ هل ذهبت إلى الشرطة؟

ـ كلَّا، ليس بعد. أشك في أنهم سيأخذون الأمر على محمل الجد.

يوافقها «روبرت»:

ـ محتمل ألا يفعلوا.

تقول، وهي تبتعد:

ـ حسنًا، أبقِ أبوابك ونوافذك مغلقة.

يغلق «روبرت» الباب ويبدأ بالسير مسرعًا باتجاه غرفة المعيشة. اللعنة. هذا المراهق اللعين. ماذا لو أن الصبي تسلل إلى هاتف «أماندا»، ورأى ما كان عليه؟ يسجل اسم «كارمن» وعنوانها قبل أن ينساهما. وإذا فكر أنه يحب أن يفعل شيئًا بخصوص هذا الصبي، سيفعل.

* * *

ينظر «رالي» متفاجئًا بالمشهد الذي أمامه. لم يرَ من قبل قَطُّ شخصين بزي رسمي يجلسان في غرفة معيشته. ماذا يفعلان هنا؟ ينفجر الأدرينالين في جسمه. لا بد أن الموضوع يخصه... يخص ما حدث الليلة الماضية.

تقول أمه، بدهشة واضحة:

ـ «رالي»! ما الذي تفعله في هذا الوقت؟

استيقظ مبكرًا عن عمد ـ لم يحن وقت الظهر بعد ـ كجزء من محاولاته لإرضائها حتى يتمكن من استعادة هاتفه. لكن في الوقت الحالي، لا يبدو أنها سعيدة جدًّا بهذا.

يقول الرجل غير المألوف، وهو يرمق «رالي» بنظرة ازدراء:

ـ انتهينا هنا على أي حال.

إذن، الأمر ليس له علاقة به. يكاد الارتياح يضعف ركبتي «رالي» ويجعله على وشك السقوط.

يدرك «رالي» أنه يرتدي بيجامته، وكل من بالغرفة يرتدون كامل ملابسهم. حسنًا، لم يكن يعرف أنه ثمة أحد هنا. يعود أدراجه إلى المطبخ، مرتاحًا ومحرجًا، بينما يوصل أبواه الزائرين إلى الباب، يدرك بطريقة ما أنه تعثر في شيء لم يكن حقًّا من المفترض أن يعرف عنه. يضع لنفسه سلطانية من حبوب الإفطار وينتظر.

يسمع الباب الأمامي يُغلق. لم تدخل أمه وأبوه المطبخ في الحال. من الواضح أنهما يتناقشان فيما سيقولانه له. أخيرًا ينضمان إليه، وأمه أشغلت نفسها بترتيب المكان. هناك صمت غير مريح، لا ينطق أحد بأي كلمة لدقيقة و«رالي» يتساءل لو أنهما لن يقولا أي شيء على الإطلاق. سحقًا لذلك. يسأل:

ـ ما الموضوع؟

تنظر أمه له بتوتر، وترمق أباه بنظرة. يقول أبوه بتنهيدة، وهو يجلس على طاولة المطبخ:

ـ الأمر معقد.

ينتظر «رالي»، وجسده متوتر. تغطيه موجة من القلق. يقول أبوه:

ـ إنهما محققا الشرطة اللذان يحققان في مقتل «أماندا بيرس»، المرأة التي تسكن بنهاية الشارع.

يتوقف عند هذه النقطة، كما لو أنه لا يعرف ماذا يمكنه أن يقول بعد ذلك.

يمكن أن يشعر «رالي» بضربات قلبه. ينظر إلى أبيه، ثم إلى أمه. إنها صامتة، حذرة. يعيد انتباهه إلى أبيه. لم يرَه من قبل قَطُّ عاجزًا عن الكلام. يسأل «رالي»:

ـ لماذا كانا يتكلمان معكما؟

هو ليس غبيًّا. يريد أن يعرف ماذا يجري.

يقول أبوه:

ـ هذا مجرد روتين. يتكلمان مع كثيرين ممن يعرفون «أماندا بيرس».

يقول «رالي»:

ـ ظننت أنك لا تعرفها.

ـ لم أكن أعرفها، ليس تمامًا. كانت تعمل أحيانًا في المكتب بشكل مؤقت. هذا هو سبب معرفتي لها، ولكن ليس بشكل وثيق. لم تعمل معي في القسم قَطُّ.

ينظر «رالي» إلى أبويه، يشعر بأن هناك الكثير لم يخبراه به.

يقول أبوه بحرص:

ـ انظر يا «رالي»، هناك أمر يجب أن تعرفه.

فجأة يشعر بأنه لا يريد أن يسمع. يريد أن يعود طفلًا ويجري من الغرفة ويضع يديه فوق أذنيه ويرفض أن ينصت لما سيقوله أبوه. لكن لا يمكنه. لم يعد طفلًا صغيرًا. يعطيه أبوه نظرة رجل لرجل عبر طاولة المطبخ ويقول:

ـ رأيت «أماندا» تتصرف بطريقة غير مناسبة مع شخص في المكتب. كانت تصرفات غير لائقة. حذرت الاثنين لكي يتوقفا. رآني شخص آخر وأنا أتشاجر مع «أماندا» بشأن هذا الموضوع واستنتج استنتاجًا خاطئًا. أخبرت المحققين بالحقيقة. لم أكن على علاقة بها بأي شكل من الأشكال. لم تكن بيننا... علاقة. لا أعرف من قتلها. يمكننا أن نترك للشرطة مهمة معرفة القاتل. حسنًا؟

يضيف:

ـ لا يوجد داعٍ للقلق.

يحدق «رالي» في أبيه، منزعجًا مما سمعه للتوِّ. هو متأكد تمامًا من أن أباه يقول الحقيقة. لا يخطر بباله ولا مرة واحدة أن أباه كذب عليه من قبل. يختلس نظرة إلى أمه، لكنها تراقب أباه، وهناك توتر ظاهر على وجهها. لا يبدو أنها تعتقد أنه لا يوجد شيء يدعو للقلق. يتساءل لو أن بإمكانه الوثوق بأبيه.

يومئ «رالي»، بعبوس:

ـ حسنًا.

تقول أمه، وهي تنظر إليه مباشرة:

ـ أعتقد أن هذا شيء لا يجب لأي أحد أن يعرفه.

يومئ «رالي» ويقول بحرارة:

ـ لن أقول أي شيء.

ثم يعود إلى غرفته في الطابق العلوي.

* * *

بعد القيادة بصمت لفترة، يستدير «ويب» نحو «موين» ويقول:

ـ أغلق هاتفه.

تومئ «موين»:

ـ صحيح.

يقول «ويب»:

ـ سنحصل على سجلات هاتفه، لكنني أراهن أننا سنجد مكالمة من عمته ذلك اليوم... إن كانت تتصل به يوميًّا على أي حال. تقضي عمرها بهذه الطريقة. تعيش بمفردها وذاكرتها سيئة، إنها مضطربة. ماذا لو كان يعتمد على كل هذا، بالنسبة إلى زوجته على الأقل، وذهب تلك الليلة وقابل ـ وقتل ـ «أماندا»؟ لا يمكننا اقتفاء أثره لو كان هاتفه مغلقًا.

توافق «موين»:

ـ هذا محتمل. لكننا لم نثبت في الواقع أنه كان يعاشرها.

ـ لكن هذا محتمل. «بيكي هاريس» ظنت أنه كان يعاشرها.

تومئ «موين» وتقول:

ـ تبدو زوجته قلقة. ما الذي يقلقها إذا كان قد ذهب فقط لزيارة عمته؟

يقول «ويب»:

ـ يجب أن نحضره إلى المركز. لنرى ما إذا كان بإمكاننا استخراج أي معلومة منه. ❝

❞ ٢٣

عندما يعود المحققان إلى المركز، يجدان أخبارًا.

يقول ضابط صغير، وهو يقترب منهما:

ـ توصلنا إلى شيء.

هو أحد رجال الشرطة بالزي الرسمي المكلف بتمشيط المدينة والمنطقة المحيطة.

ـ وجدنا فندقًا حيث تعرف موظف على صورة «أماندا» التي ترددت على المكان مع الرجل ذاته في كل مرة. وبعد ذلك فحصنا لقطات الكاميرا الأمنية.

يسأل «ويب»، وهو يشعر بتنامي الإثارة:

ـ وماذا؟

يقول الضابط، وهو يقودهما إلى حاسوب:

ـ يجب أن تشاهدا هذا.

ينظران في الشاشة.

كانت الجودة جيدة جدًّا. يرى «ويب» «أماندا» أولًا، وهي تحرك شعرها فوق كتفها. بعد ذلك يدخل الرجل الذي معها في الصورة.

يسترد بطاقته الائتمانية من المكتب ثم يستدير، وتلتقط الكاميرا وجهه مباشرة. «لاري هاريس».

يقول «ويب»، وهو ينظر إلى «موين»:

ـ حسنًا، حسنًا. تعرفي على كيفية الدخول إلى الكاميرات الأمنية في المنتجع... نحتاج إلى معرفة ما إذا كانت سيارة «لاري هاريس» غادرت.

* * *

«رالي» لم يعد معاقبًا. لم تستطع أمه تحمل تسكعه في المنزل من دون هاتفه ومن دون الإنترنت الذي يبقيه منشغلًا، لذلك على الأقل سيُسمح له بمغادرة المنزل مرة أخرى، ليس فقط للدراسة والتمرين. يخرج مستقلًّا دراجته، يجول في الحي، في محاولة للتخلص من بعض ضغوطه. من دون الإنترنت، ليس هناك الكثير لعمله في المنزل. وعليه أن يهرب من التوتر بالمنزل. يجول بالدراجة في الشوارع السكنية، مارًّا ببعض المنازل التي تسلل إليها.

كاد أن يُقبض عليه الليلة الماضية. لذلك... عليه أن يتوقف. لا يستحق الأمر المخاطرة بعد الآن. الاقتحام والتسلل. العبث بحواسيب الآخرين. على الرغم من أنه فعليًّا لم يسرق المعلومات

الشخصية لأي أحد، أو يوزع برمجيات خبيثة أو إباحية أو أي شيء ـ هو ليس بمتلاعب ـ ما يفعله يظل جريمة. لن تراعي الشرطة أنه فعل هذا للمتعة وحسب.

يقود ببطء مارًّا بمكان «بيرس»، ينظر إليه بينما يمر بجواره. يتذكر دخوله ذلك المنزل، كم كان نظيفًا، ومنظمًا. ربما لأنه كما اتضح ليس به أطفال. بينما كان يخترق الحاسوب، نظر بداخل أدراج المكتب ووجد هاتفًا خلويًّا في قاع أحد الأدراج. بدا أنه هاتف بنظام الدفع السابق رخيص الثمن. ربما كان هاتفًا قديمًا، أو إضافيًّا. قام بتشغيله ـ كان مشحونًا ـ لكن هذا لم يجذب اهتمامه، لذلك أغلقه مرة أخرى وأعاده في الدرج وسرعان ما غادر.

بعد ذلك، عندما علم أن تلك المرأة في هذا المنزل قد قُتلت، انتابته رجفة. لا بد أن الشرطة وجدت الهاتف وهي تفتش المنزل. يخشى الآن إن كانت بصماته على كل أجزاء هذا الهاتف، وداخل هذا المنزل. يزيد من السرعة، وهو يفكر باضطراب في هذه السيدة، «كارمن»، والخطابات.

يبدأ «رالي» في استيعاب أن لكل فرد أسراره... بعد رؤية ما يحتفظ به بعض الأشخاص على حواسيبهم، لم يعد يدهشه أي شيء. «رالي» لديه أسراره، وواضح أن لأبويه أسرارهما، كذلك. ربما عليه أن يتسلل بداخل منزله.

* * *

إنه بعد ظهر السبت، والتوتر في المنزل يقود «أوليفيا» إلى الجنون. «بول» في مكتبه بالطابق العلوي. «رالي» صعد إلى غرفته. تحاول «أوليفيا» أن تمنع نفسها عن الذهاب لمواجهة «بيكي». فهي قلقة مما قالته «بيكي» بالضبط للمحققين عن «بول». هل تعرف أكثر مما اعترفت به لـ«أوليفيا»؟ هل اختلقت أشياء حتى تبعد الانتباه عن زوجها؟ هل كانت «بيكي» أمينة بالكامل معها؟ في النهاية، لا يمكنها أن تمنع نفسها. تسحب معطفًا وتغادر المنزل من دون أن تخبر أي أحد بالمكان الذي ستذهب إليه.

بينما تمشي إلى هناك، لديها أزمة ثقة وجزء منها يتمنى ألا تكون «بيكي» هناك. لكن «أوليفيا» تواصل سيرها، على الرغم من ذلك يجعلها تشعر بالإعياء كونها غادرت منزلها ذاهبة لكي تقابل «بيكي» وتحاول العثور على معلومات حول زوجها. تشعر مؤخرًا بأن كل شيء سلمت به ـ ابنها وزوجها المخلص ـ سوف يُعاد تقييمه.

بينما تسير بالقرب من سكن عائلة «بيرس»، تحدق في المنزل بشدة. كل الستائر مغلقة، مما يمنح المنزل مظهرًا غامضًا. تتساءل إن كان «روبرت بيرس» بالداخل، خلف الستائر. فجأة تكرهه، وتكره

«أماندا»، أيضًا، بسبب مجيئهما إلى حيهم الهادئ وزعزعة أساساته. محتمل أنه قتل زوجته، تفكر بمرارة، وكلهم يعانون من جراء ذلك.

بينما تسير في الممر الأمامي لمنزل عائلة «هاريس» ـ منزل جميل ذو نوافذ ناتئة في السطح ـ مرت بلحظة سيئة عندما أدركت أن «لاري» قد يكون بالمنزل. لن يكون بالمكتب في العطلة الأسبوعية. هي لا تريد أن تراه.

ترن جرس الباب وتنتظر بعصبية. تسمع أخيرًا صوت خطوات ويُفتح الباب. إنها «بيكي». من الواضح أنها لا تتوقع زائرين، ترتدي سروال اليوجا وقميصًا طويلًا يبدو وكأنها نامت مرتدية إياهما.

تقول «أوليفيا»:

ـ مرحبًا.

«بيكي» لا تقول أي شيء.

ـ هل يمكن أن أدخل؟

تبدو «بيكي» تتدبر في ذلك، ثم تفتح الباب على مصراعيه. تدخل «أوليفيا» المنزل، أعصابها ثائرة.

تسأل:

ـ هل «لاري» هنا؟
تسأل «بيكي» مندهشة:

ـ هل تريدين التحدث معه؟

تقول «أوليفيا»:

ـ كلَّا. أريد فقط أن أعرف إن كنا بمفردنا.

ـ هو ليس هنا.

تومئ «أوليفيا»، وتجلس على طاولة مطبخ. لا تعرض «بيكي» عمل قهوة. تقف هناك وحسب، ذراعاها مطويتان أمامها.

تبدأ «أوليفيا»:

ـ نحتاج إلى أن نتكلم.

تحدق «بيكي» فيها وتنتظر.

ـ أريد أن أعرف إن كنت أخبرتني بكل شيء.

ـ ماذا تعنين؟

ـ ألمحتِ إلى أن «بول» قد يكون على علاقة غرامية بـ«أماندا». رأيتِه في سيارتها.

تومئ «بيكي».

ـ هذا صحيح، أقسم لك.

تقول:

ـ هل هناك شيء آخر تعرفينه، أو شاهدتِه، ولم تخبريني به؟ هل هناك شيء آخر أخبرتِ به الشرطة؟ يجب أن أعرف.

تأخذ «بيكي» نفسًا عميقًا وتزفر.

ـ «أوليفيا»، نحن صديقتان منذ فترة طويلة. لطالما كنت أمينة معك. هذا كل ما رأيته. فقط تلك الليلة، كان الاثنان في السيارة، يتشاجران. افترضت أنهما على علاقة غرامية، فما السبب الآخر الذي

يجعلهما هناك، في هذا الوقت من الليل؟ وأنت تعرفين كم كانت... امرأة مغوية. ربما كنت مخطئة. هذا كل ما أعرفه. وهذا كل ما أخبرت به المحققين.

تزفر «أوليفيا» بشدة، تضع يديها على عينيها، تشعر بنفسها تتمزق. تومئ.

تقول «بيكي»:

ـ هل تريدين قهوة؟

تزفر «أوليفيا» الهواء بشدة وتنظر إلى أعلى وتومئ مرة أخرى، تعجز فجأة عن الكلام. إنها مسرورة لأنهما لن تصبحا عدوتين. بينما «بيكي» تعد القهوة، تمسح «أوليفيا» عينيها بيديها وتسأل:

ـ هل سمعتِ أي شيء آخر عن التحقيقات؟ هل تعرفين ماذا يجري؟

لا تريد أن تسأل مباشرة عن «لاري». تنتظر أن ترى إن كانت «بيكي» ستبوح لها.

تنتهي «بيكي» من الإعداد مستخدمة ماكينة القهوة وتستدير وتميل على الكاونتر. تهز رأسها.

ـ كلَّا. لا أعرف أي شيء. فهما لا يقولان الكثير، أليس كذلك؟ ولا يوجد شيء في الأخبار أيضًا.

تقول «أوليفيا»:

ـ أتمنى أن يحلا القضية قريبًا. وينتهي كل هذا.

تصب «بيكي» القهوة وتحمل القدحين إلى طاولة المطبخ وتجلس.

ـ «أوليفيا»، أنا لا أحاول إقناع المحققين بأن هناك شيئًا بين «بول» و«أماندا». أخبرتهما بما رأيته. الأمر متروك للمحققين في أن يكتشفا الحقيقة. لا أهدف لأدمر حياتك كي أحمي حياتي. لن أفعل ذلك.

تنظر «أوليفيا» إليها ممتنة.

تسأل «بيكي»:

ـ لماذا أنت قلقة على «بول»؟

تتورد «أوليفيا» قليلًا وتقول:

ـ قدما إلى المنزل صباحًا، هذان المحققان.

ـ حقًّا؟

تومئ «أوليفيا»:

ـ أرادا أن يعرفا إن كان «بول» يملك حجة.

تحدق فيها «بيكي».

ـ وهل يملك؟

تعترف «أوليفيا»:

ـ كلَّا، ليس تمامًا. كان يزور عمته الكبرى... ومستحيل أن تتذكر هذا وتكون قادرة على الشهادة لصالحه.

تضيف «أوليفيا» بعصبية:

ـ إنها مصابة بالخرف.

لم تذكر أن هاتف «بول» كان مغلقًا ليلة الجمعة تلك.

تقول «بيكي»:

ـ يبدو وكأننا في مركب واحد. «لاري» ليست لديه حجة كذلك.

تنظر «أوليفيا» إليها، تتوقع المزيد.

ـ كان في مؤتمر بمنتجع «ديرفيلدز» تلك العطلة.

تتردد ثم تقول:

ـ هل تعرفين أين يكون؟

تومئ «أوليفيا».

ـ لكن يوم الجمعة هذا صعد إلى غرفته وأنجز بعض العمل ومن ثم غلبه النوم وفاته أغلب حفل الاستقبال. لذلك ليس لديه أي شخص يشهد لصالحه كذلك.

* * *

يتجول «روبرت بيرس» بلا هوادة في المنزل بنهاية الأمسية.

يفكر في «لاري هاريس»، الجار المجاور. هل يفتقد «أماندا» كما يفتقدها «روبرت»؟ يشعر بكراهية قاسية وشديدة تجاه «لاري هاريس». يتساءل بماذا شعر «لاري» عندما اكتشف أن زوجته قد أقامت علاقة جنسية مع جارها المجاور. يعرف «روبرت» فعليًّا ما شعر به. يتساءل بماذا يشعر «لاري» الآن والشرطة تحوم في الجوار، تجري التحريات. يعرف «روبرت» ما يشعر به، كذلك.

يفكر «روبرت»، أيضًا، في الرجل الآخر الذي كانت تعاشره «أماندا». هل عرفت الشرطة بأمره بعد؟

ويفكر في هذا الصبي الذي اقتحم منزله. يقلق من أن تذهب «كارمن» فعليًّا إلى الشرطة لتبلغ عن ذلك.

* * *

في المنزل المجاور، تشغل «بيكي» أخبار التلفاز المحلية في المطبخ بينما تحضر العشاء. تسمع اسم «أماندا بيرس» وتدرك أن كتفيها تحدبتا حول رقبتها، إنها تمسك جسدها بالكامل بإحكام إلى درجة

أنه يؤلم. تأخذ نفسًا عميقًا وتخفض كتفيها بوعي. لا يمكن أن يستمر هذا. تكتم صوت التلفاز.

تغيرت في الأيام القليلة الماضية. تفكر في نفسها منذ أسبوع، كم كانت سخيفة... في أحلامها البناتية حول جارها المجاور. لم تعد سخيفة. «أماندا» ماتت. قُتلت بشراسة، وكما تبين حتى الآن، المشتبهان المرجحان هما «روبرت بيرس» وزوجها «لاري».

اختفى الافتتان الذي شعرت به تجاه «روبرت بيرس» بمجرد أن أصبح باردًا معها، ومنذ أدركت أنه ربما تلاعب بها... قد يكون «روبرت» طارحها الغرام فقط لينتقم من «لاري». هل عرف؟ لو كان الأمر كذلك، كيف؟ هل أخبرته «أماندا»؟ هل سخرت منه بهذا؟ أم أنه تتبعها ورآها مع «لاري»؟ هل حدث أن انجذب إليها «روبرت» على الإطلاق؟

عندما تفكر الآن في «روبرت»، لا تفكر في ابتسامته المثيرة لها عبر السياج، أو كيف كان وهو يضاجعها. بل تتذكر كيف تكلم معها آخر مرة، عبر السياج... كيف أخبرها بسلاسة أنه لم يشك في أن «أماندا» لها علاقة غرامية. لكنه كان يكذب، وكلاهما يعرف ذلك. عرف أن «أماندا» كانت لها علاقة غرامية. وتعتقد أن الوغد الماكر يعرف بالضبط مع من كانت تقيم علاقة غرامية. أراد فقط أن يتأكد من أنها لن تخبر الشرطة. ربما عليها أن تفعل.

لديها الكثير لتخسره إذا أدين زوجها من خلال نظام العدالة الجنائية. لديها طفلاها لتفكر فيهما. لا يمكنها أن تدع هذا يدمرهم جميعًا.

* * *

ليلة السبت، الكفاح المعتاد. «جليندا» تتجول في المنزل، وهي تشعر بالخوف الشديد. حاولت أن تبقي «آدم» بالمنزل، وألا يخرج في الليل. تقلق من أنه سيفرط في الشراب مرة أخرى، ويفعل شيئًا متهورًا، شيء يندمون عليه جميعًا.

حثت «كيث» على المساعدة، لكنه لم يكن فعالًا مثلها. لم يعد «آدم» ينصت لأي منهما. «كيث» يتجنبها، وهي تتجول في المنزل الهادئ، تنتظر بقلق أن يعود «آدم» إلى البيت.

* * *

في صباح يوم الأحد، «ويب» و«موين» في المركز عندما يقترب أحد الضباط من «ويب» ويقول:

ـ سيدي، «بيكي هاريس» هنا لمقابلتك. تقول إن الأمر مهم.

رافقا «بيكي هاريس» إلى غرفة الاستجواب. يلاحظ «ويب» التغير فيها، أول مرة جاءت إلى المركز كانت متوترة ودامعة، خائفة من أن ينفضح طيشها الزوجي. الآن تبدو أكثر هدوءًا وأكثر حذرًا. وكأن لديها الكثير لتخسره. أو لديها شيء تساوم عليه.

تسأل «موين»:

ـ هل أحضر لك شيئًا؟

تهز «بيكي» رأسها.

ـ كلَّا، شكرًا لك.

يقول «ويب»، وهم يجلسون جميعًا:

ـ ما الذي أتى بك؟

تنظر «بيكي» باضطراب لفترة وجيزة، لكنها تقابل عينيه وتقول:

ـ هناك شيء لم أخبرك به من قبل.

يسأل:

ـ ما هو؟

يتذكر كل الأشياء التي لم تخبرهما بها من قبل. أنها و«روبرت» كانا عشيقين. أنها رأت «أماندا» تتشاجر مع «بول شارب». ماذا سيكون اليوم؟

تنقل عينيها بعصبية بينه وبين «موين».

ـ الأمر متعلق بـ«روبرت بيرس».

ـ أكملي.

ـ تلك الليلة التي كنا فيها معًا، في يوم السبت العطلة الأسبوعية التي اختفت فيها «أماندا»... أخبرني أنه يعتقد أن زوجته على علاقة غرامية.

يسأل «ويب»:

ـ لماذا ينبغي أن نصدقك؟

اندهشت بشكل واضح من لهجته. ماذا كانت تتوقع، مع سجلها الحافل؟

تقول:

ـ لأنني أخبرك بالحقيقة!

يوضح «ويب»:

ـ قلت من قبل إنك تخبريننا بالحقيقة، أيضًا، عندما أخبرتنا بأنه لم يقل أي شيء لك قَطُّ بخصوص الشك في زوجته. ما الذي تغير؟

يفكر «ويب»، ربما أفضى لها زوجها بزياراته للفندق مع جارته الجميلة.

ترمقه بنظرة غاضبة وتأخذ نفسًا عميقًا.

ـ طلب مني ألا أخبركما. أو بالأحرى كان مُخيفًا فيما يتعلق بذلك.

ـ فهمت.

ـ جعلني أعده بألا أتكلم. كان الأمر... أشبه بتهديد.

تميل إلى الأمام.

ـ كما ترى، ظن أن زوجته كانت تخونه. لديه دافع.

تقول «موين»:

ـ أعتقد أنكِ قلت إنه لا يمكن أن يكون قادرًا على قتل زوجته، إنه ليس من هذا الطراز؟

تقول «بيكي»، وهي تسند ظهرها وتنظر إلى «موين»:

ـ كان هذا قبل أن يهددني. رأيت جانبًا آخر منه. كان... مختلفًا. أخافني.

يقول «ويب»:

ـ هل من شيء آخر؟

تنظر ذهابًا وإيابًا بينه وبين «موين» وتقول:

ـ هل أنتما مهتمان به كمشتبه؟

يقول «ويب»:

ـ نحن مهتمان بكثيرين، بمن فيهم زوجك.

تقول «بيكي»، بخشونة:

ـ هذا كلام سخيف.

يقول «ويب»:

ـ ليس تمامًا. أترين، لدينا لقطات من كاميرا أمنية لزوجك وهو يحجز غرفة في فندق برفقة «أماندا بيرس»، في مناسبات عديدة.

* * *

تتعثر «بيكي» خارجة من مركز الشرطة. لدقيقة، لا تستطيع أن تتذكر أين ركنت سيارتها. أخيرًا، تجدها بمساعدة سلسلة مفاتيحها. تدخل السيارة، مبتعدة عن الرياح، وتغلق بابها. تحدق عبر زجاج السيارة الأمامي، لا ترى شيئًا، تتنفس بسرعة.

الشرطة تملك فيديو لزوجها بصحبة «أماندا» في الفندق. عرفت أن هذا سيحدث، بمجرد أن أخبرها. الشرطيون ليسوا بلهاء. لكن هذا الوغد الغبي الذي تزوجته هو الأبله.

عليها اكتشاف الحقيقة. عليها أن تعرف، بطريقة أو بأخرى، ماذا حدث مع «أماندا». وحينئذٍ ستعرف ما عليها فعله.
تكبت نشيجها في المقعد الأمامي بسيارتها. كيف وصلت بها الحال إلى هنا؟ إنها مجرد امرأة عادية، متزوجة، لديها طفلان تقريبًا بالغان، تعيش في ضاحية. أمر لا يُصدق أنها وقعت في هذا... الكابوس. امرأة تعرفها بالكاد قُتلت إما على يد زوجها أو زوج «بيكي». لو كان «روبرت» هو الفاعل، فهي لم تعد تهتم. كلَّا... إنها تأمل أن يُقبض عليه ويُدان، هذا الوغد. لو كان زوجها «لاري» هو الفاعل... لا يمكنها حتى التفكير في ذلك الآن.

٢٤

في وقت مبكر من بعد ظهر يوم الأحد تجد «كارمن» نفسها تذهب لتمشية أخرى حول الحي. قضت الأسبوع الأخير في التحدث مع كل من استطاعت حول الاقتحام. في المتجر. في صف اليوجا الخاص بها. أحبطت لأنه لا أحد غيرها يعترف بتعرضه لاقتحام. ضايقها أن تظهر أنها الوحيدة. ربما كانت كذبة، أن هناك آخرين. ربما كانت هي وحدها. ربما كانت مستهدفة، والهدف هو مقلب

من نوع ما. لو ذلك صحيح، فهذا يجعل الأمر شخصيًّا أكثر. تتساءل، هل هذا لأنها جديدة هنا؟ دخيلة؟ إنها مصممة أكثر من ذي قبل أن تقلب المنضدة على هذا المتسلل المراهق.

إنها متأكدة تمامًا من أن «أوليفيا شارب» هي المرأة التي كتبت الخطاب. لكنها لن تتحدث معها مرة أخرى... على الأقل، ليس في الوقت الحالي. ستتكلم مع ابنها، «رالي». كانت تسأل في الجوار عنه. حسب كل الروايات، هو ولد لطيف. بارع في الحواسيب. حتى إنه أنشأ عملًا صغيرًا الصيف الماضي حيث يعرض تصليح حواسيب الأشخاص. تتساءل إن كان قام بأي تسلل حينها.

تدق على باب رقم ٥٠ شارع «فينش» ويجيبها مراهق كئيب الشكل. تعرفه على الفور فهو الولد السكران الذي قابلته في نهاية ممر منزلها تلك الليلة. يمكنها أن تعرف من تعبيره الحذر أنه تعرف عليها، أيضًا. لكنها لن تذكر ذلك. له شعر داكن وعينان داكنتان ويُذكرها تمامًا بابنها «لوك» في ذلك العمر. تسأله إن كان منزلهم تعرض لاقتحام مؤخرًا، لكنه ينظر إليها كما لو أنها أصبحت برأسين. بدلًا من ذلك سألت لو كان يعرف أي صبيان محليين في مثل عمره بارعين في الحواسيب، فلديها مشكلات في حاسوبها. بكل تأكيد، يقترح «رالي شارب».

في تلك اللحظة تصل امرأة عند الباب تمسح يديها بمنشفة أطباق. لديها شعر كستنائي قصير ونمش وتعبير لطيف. تسأل، بينما الصبي يعود إلى الداخل:

ـ مرحبًا، هل يمكنني مساعدتك؟

تمد يدها:

ـ مرحبًا، اسمي «كارمن». أنا جديدة في الحي. أنا في رقم اثنين وثلاثين.

تبتسم لها المرأة، وتصافحها وتقول:

ـ أنا «جليندا».

تقول «كارمن»، محاولة فتح باب للحوار:

ـ كل أولادي كبروا. لديك صبي وسيم.

لن تقول أين قابلت ابنها من قبل. تسأل:

ـ هل لديك أطفال آخرون؟

تقول المرأة:

ـ كلَّا، فقط «آدم».

يبدو أنها لا تريد التحدث. ربما تريد أن ترجع إلى أطباقها.

ـ تعرضت لاقتحام مؤخرًا وأتجول متحدثة مع السكان، أخبرهم بأن يحترسوا. لم يكن أحد هنا في آخر مرة طرقت الباب.

تقول المرأة بصراحة مطلقة:

ـ حسنًا، لم نتعرض لاقتحام.

اختفى تعبيرها اللطيف.

تفكر «كارمن»، أنت محظوظة. تقول، مخفية إحباطها:

ـ هذا جيد.

تقول «كارمن»، وهي تفكر أن هذا سيجعل المرأة تتكلم:

ـ جريمة القتل هذه أمر بشع.

تميل بشكل تآمري.

ـ يبدو أن الناس يعتقدون أن زوجها هو من فعلها.

تضيف:

ـ هل تعرفينه؟

ـ كلَّا، لا أعرفه.

ـ طرقت بابه، فقط لكي أعرف إن كان تعرض لاقتحام. لم أملك الشجاعة لكي أقول أي شيء عن زوجته. لكنه لم يتعرض لاقتحام.

تقول المرأة التي تدعى «جليندا»:

ـ حسنًا، سعدت بلقائك.

وتغلق الباب بحزم.

* * *

يرن الهاتف، مبددًا الصمت. تقفز «أوليفيا». ترفع سماعة الهاتف في المطبخ، على أمل أن تكون «جليندا».

تقول:

ـ مرحبًا.

ـ السيدة «شارب»؟

تتعرف على الصوت. إنه المحقق «ويب». يبدأ قلبها في الحال بالخفقان.

تقول:

ـ أجل.

ـ هل زوجك موجود؟

من دون كلمة، تعطي الهاتف لـ«بول»، الذي يجلس في المطبخ يراقبها. يأخذ الهاتف منها.

يقول «بول»:

ـ ماذا؟ الآن؟

بعد ذلك، يقول:

ـ حسنًا.

تشعر «أوليفيا» بدفعة مفاجئة من الأدرينالين مسببة للغثيان.

يغلق «بول» الهاتف ويستدير إليها.

ـ يريدون أن أذهب إلى مركز الشرطة. للإجابة على مزيد من الأسئلة.

تتذوق الحامض في حلقها.

ـ لماذا؟

ـ لم يقولوا.

تراقبه يرتدي المعطف ويغادر المنزل. لم يطلب منها أن تذهب معه، وهي لم تقترح هذا.

بمجرد أن ذهب، تستسلم «أوليفيا» لقلقها، وتسير بلا كلل في أرجاء المنزل، غير قادرة على تهدئة عقلها. لماذا تريد الشرطة أن تتكلم مع «بول» مرة أخرى؟

ـ أمي، ما الخطب؟

تستدير وترى «رالي» يراقبها بقلق. تتخيل مدى البؤس الذي بدت عليه، على حين غرة. تبتسم له. تكذب:

ـ لا شيء، يا حبيبي.

تتخذ قرارًا مفاجئًا.

ـ أنا، فقط، يجب أن أخرج لبعض الوقت.

ـ إلى أين ستذهبين؟

ـ يجب أن أزور صديقة تمر بوقت عصيب.

يقول «رالي»، كأنه غير راضٍ:

ـ آه.

يتحرك إلى الثلاجة يفتح الباب. يسأل:

ـ هل تشعرين بحال جيدة؟ متى ستعودين؟

تقول «أوليفيا»:

ـ أنا بخير. لست متأكدة متى سأعود بالتحديد، لكن مؤكد في الوقت المناسب لتناول العشاء.

* * *

«رالي» في غرفة نومه عندما يرن الهاتف. يتساءل من المتصل. أبواه بالخارج. ربما أحد أصدقائه، اضطر إلى البحث عن رقم الهاتف الثابت للأسرة لأنه لا يزال بلا هاتف.
يهبط السلالم إلى المطبخ في الوقت المناسب لانتزاع سماعة الهاتف.

يقول:

ـ مرحبًا.

صوت امرأة:

ـ مرحبًا. هل يمكن أن أتكلم مع «رالي شارب»؟

يقول، بارتياب:

ـ «رالي» يتكلم.

ـ لديَّ بعض المشكلات في حاسوبي وأخبرني جار أنك قد تكون قادرًا على مساعدتي. أنت تصلح الحواسيب، أليس كذلك؟

يقول «رالي»، وهو يفكر بسرعة:

ـ نعم، بكل تأكيد.

لم يحصل على كثير من الزبائن الصيف الماضي، بعد أن وزع منشوراته، لم يتوقع أن يتصل به أي أحد الآن. لكنه سعيد لكسب بعض المال الاحتياطي ولديه وقت فراغ.

ـ ما المشكلة؟

تقول:

ـ حسنًا، لا أعلم. هل يمكن أن تأتي وتلقي نظرة عليه؟

ـ بالتأكيد. الآن؟

ـ لو أمكنك، سيكون هذا رائعًا.

ـ ما عنوانك؟

ـ إنه حاسوب محمول. فكرت أن نتقابل في مقهى. هل تعرف «بين»؟

ـ أجل، بالتأكيد.

هو في العادة يفضل الموت على الذهاب إلى هناك، لكن يمكنه أن يقوم باستثناء.

ـ أراك هناك في خلال خمس عشرة دقيقة؟

يقول «رالي»:

ـ حسنًا.

تقول:

ـ سأكون مرتدية معطفًا أحمر ومعي حاسوبي المحمول، بالطبع.

«رالي» لم يفكر حتى في أن يسألها كيف سيتعرف عليها. لكنها ستترقبه، والمراهقون لا يتسكعون فعليًّا إلى مثل هذه المقاهي حيث تذهب أمه وأصدقاؤها.

الآن، بعد أن حدد ميعادًا، متوتر قليلًا. لم يعتد حقًّا على تقديم خدماته مقابل المال، لكنه أنجز بضعة أعمال صغيرة من قبل. لا يعلم أبدًا بشكل مؤكد كم يطلب بالمقابل. لكن لا بد أن العمل سيكون سهلًا بما يكفي. أحيانًا تحتاج ربات البيوت إلى تعلم إيقاف تشغيل الكمبيوتر، والانتظار لمدة عشر ثوانٍ، وتشغيله مرة أخرى.

يسحب معطفه ويتجه إلى المقهى.

* * *

يلقي «ويب» التحية على «بول شارب»، الجالس في مواجهته على طاولة الاستجواب. «شارب» ساكن تمامًا. لم يتناول كوب الماء من فوق الطاولة، ربما لا يريدهما أن يريا يديه ترتعشان.

يقول «ويب»:

ـ شكرًا لمجيئك. أنت هنا تطوعًا، ويمكنك المغادرة في أي وقت.

ـ بالتأكيد.

لا يضيع «ويب» أي وقت. يميل برأسه على «شارب» بريبة:

ـ أتعلم، أنا لا أصدق.

يقول «شارب»، وهو يطوي ذراعيه أمام صدره بطريقة دفاعية:

ـ لا تصدق ماذا؟

ـ أنك كنت بمنزل عمتك ليلة الجمعة.

يقول «شارب» بعناد:

ـ هذا هو المكان الذي كنت فيه، سواء صدقت أم لم تصدق.

يقول «ويب»:

ـ ذهبنا لمقابلة عمتك.

يسمح بأن تمر دقيقة.

ـ لم تستطع أن تؤكد أنك كنت هناك تلك الليلة.

يقول «شارب»:

ـ ليست مفاجأة. أخبرتك ليس لديها دليل براءة. فهي مصابة بالخرف.

ـ قلت إنك عدت إلى المنزل في وقت متأخر. متأخر إلى درجة أن زوجتك كانت نائمة بالفعل. هل من المعتاد أن تقضي مثل هذا الوقت الطويل مع عمتك العجوز؟

يسأل «بول»:

ـ ما هذا؟ هل أنا مشتبه به؟

ـ نريد فقط توضيح بعض الأشياء.

يعيد صياغة السؤال:

ـ كم تمكث عادة مع عمتك؟

يزفر «شارب»:

ـ إنها مسافة طويلة جدًّا، وأنا لا أذهب إلى هناك كثيرًا، لذلك عندما أفعل أميل لأن أمكث بضع ساعات. دائمًا ما تطلب مني عمل أشياء لها، أصلح هذا وذاك. وهذا عادة يستغرق مني وقتًا.

يقول «ويب»:

ـ الأمر فقط أن... أخشى أن هذا يضعك في محيط المكان الذي وجدت فيه سيارة «أماندا»، تقريبًا في الوقت الذي يُعتقد أنها قتلت فيه. ولأن هاتفك الخلوي كان مغلقًا، لم نعرف أين كنت.

ـ أخبرتك لماذا أغلقت هاتفي. بطاريتي كانت فارغة. ليست لي علاقة بما حدث لـ«أماندا بيرس».

ـ شوهدت في سيارتها، تتشاجر معها، تمامًا قبل اختفائها بأيام.

يقول «شارب»:

ـ تعلم لماذا كنت أتكلم معها. أخبرتك بالحقيقة. لست الشخص الذي كان على علاقة غرامية بـ«أماندا بيرس».

يبدو منزعجًا.

يسأل «ويب»:

ـ هل تعرف تلك المنطقة؟ حيث وُجِدَت سيارتها؟

ـ أفترض ذلك.

يتردد ثم يضيف:

ـ لدينا كوخ هناك، يطل على بحيرة صغيرة.

يرفع «ويب» حاجبيه:

ـ حقًّا؟

يقول «شارب»:

ـ أجل.

ـ أين بالتحديد؟

ـ في رقم ١٢ طريق «جوتشر»، «سبرينجهيل».

تُدونه «موين».

يسأل «ويب»:

ـ منذ متى وأنت تملك هذا الكوخ؟

يهز «شارب» رأسه، وكأنه يريه اعتقاده بمدى سخافة هذا النوع من الاستجواب.

ـ اشتريناه في بداية زواجنا، منذ نحو عشرين سنة.

يسأل «ويب» بشكل تحاوري:

ـ هل تذهب إلى هناك كثيرًا؟

ـ أجل، نذهب في العطلات، في الطقس المعتدل. فهو ليس مهيأ لفصل الشتاء.

ـ متى كانت آخر مرة ذهبت فيها إلى هناك؟

ـ ذهبت مع زوجتي منذ أسبوعين تقريبًا، في السابع والثامن من أكتوبر، لنبدأ بغلقه.

ـ هل تمانع أن نلقي نظرة عليه؟

يبدو أن «شارب» سيتجمد.

يكرر «ويب»:

ـ هل تمانع أن نلقي نظرة؟

مع إطالة الصمت، يقول:

ـ يمكننا دائمًا أن نحصل على إذن تفتيش.

يفكر «شارب»، وينظر إليه بقوة. أخيرًا يقول:

ـ تفضل. ليس لديَّ ما أخفيه.
عندما غادر «بول شارب»، أتعس مما كان عليه عندما جاء، يستدير «ويب» نحو «موين»، وهي ترفع له حاجبيها.

تقول «موين»:

ـ قد تكون لكثير من الأشخاص أكواخ في هذا الطريق.

يوافق «ويب»:

ـ أنا متأكد من ذلك، لكني أريد أن أتفقد هذا الكوخ.

تومئ «موين».

يقول «ويب»:

ـ عليه أن يجد دليل براءة. ربما خطط للقائها في كوخه. الأسرة لم تذهب إلى هناك تلك العطلة الأسبوعية. اختلق قصة من أجل زوجته... العمة اتصلت به، توسلت إليه أن يزورها. لو هذا صحيح، لماذا ذهب هذه المرة؟ عادة لا يفعل. لماذا أغلق هاتفه؟

يضيف:

ـ وهذا الكوخ ليس بعيدًا عن مكان العثور عليها. إنه يعرف المنطقة. لا بد أن يعرف أين يُغرق السيارة.

توافق «موين»:

ـ مؤكد يعرف.

يفكر «ويب»:

ـ في هذه الأثناء، هيا نحضر «لاري هاريس» إلى هنا ونواجهه بلقطات المراقبة هذه. ❝

❞ ٢٥

تمسك «أوليفيا» بعجلة القيادة بإحكام أثناء قيادتها فوق الجسر، خارج المدينة. في طريقها لزيارة عمة زوجها «مارجريت». تعرف أين تسكن. وهي لم ترَها من زمن بعيد.

* * *

يمشي «رالي» الهوينى إلى باب «بين»، محاولًا أن يبدو مثل التقني وهو في طريقه لمقابلة زبون. لكنه يشعر بأنه مراهق يقابل أم مراهق آخر. لا يشعر بالثقة على الإطلاق. فعمره ست عشرة سنة فقط. يذكر نفسه بأنه ربما يستطيع أن يصلح حاسوبها ويرحل في غضون خمس عشرة دقيقة. حينئذٍ يستطيع أن يخبر أمه وهي ستكون سعيدة بأنه قام بعمل مفيد وربما يستطيع أن يطرح موضوع استعادة هاتفه.

يخطو إلى الداخل وفي الحال يرى سيدة كبيرة شقراء ترتدي معطفًا أحمر تلوح له. أف. شيء محرج. يمشي نحوها بسرعة ويجلس في مواجهتها. يأخذ الحاسوب المحمول... إنه «ديل إنسبيرون»، بسيط جدًّا.

تقول:

ـ مرحبًا يا «رالي». سعدت بلقائك.

يومئ على نحو مربك ويقول:

ـ مرحبًا.

تقول:

ـ أنا السيدة «توريس».

ينظر إليها عن كثب. يمكنه معرفة أنها أكبر من أمه. يسأل، وهو يشير إلى الحاسوب المحمول:

ـ ما مشكلته؟

تنقر بيدها على الجهاز بإحباط.

ـ لم أعد أستطيع الدخول إلى الإنترنت من خلاله.

يقرب الحاسوب منه وينظر فيه. يرى بسرعة أنه على وضع الطائرة. ينقر المفتاح المرسومة عليه طائرة صغيرة. اتصل الإنترنت تلقائيًّا عن طريق «الواي فاي» الخاص بالمقهى. يقول، وهو يخنق ابتسامة:

ـ كان على وضع الطائرة.

يفكر «رالي»، يا للمسيح، إنها مهمة غاية في السهولة.

تقول السيدة:

ـ آه يا إلهي، هل هذه هي المشكلة؟

يقول «رالي»، وهو يشعر بالارتياح والإحباط لأنه لم يكن هناك مزيد من المشكلات في الحاسوب المحمول:

ـ إذن، هذا كل ما في الأمر.

بالكاد يتوقع أن يحصل على أجر مقابل ذلك.

تقول:

ـ انتظر دقيقة يا «رالي».

يلاحظ تغيرًا مفاجئًا في نبرة صوتها ويرتبك للحظة. تمسك بعشرين دولارًا، لكنها لا تقدمها له. الآن تقترب منه. لا تزال ابتسامتها على وجهها، لكنها تغيرت، ليست صادقة. تخفض صوتها وتقول:

ـ أنت اقتحمت منزلي.

يشعر «رالي» بحرارة في وجهه. جف فمه. لا يمكن أن تكون المرأة التي لديها رضيعة. هذه المرأة كبيرة جدًّا. لا يعرف ماذا يفعل. تمر لحظة طويلة وحينئذٍ يدرك أنه يجب عليه إنكار هذا.

يقول، وصوته أجش خشن:

ـ ماذا؟

ينظف حنجرته.

ـ كلَّا. لم أفعل. لا أعرف ما الذي تتحدثين عنه.

لكنه يعرف أنه ليس مقنعًا. يبدو مذنبًا حتى النخاع. لأنه مذنب حتى النخاع.

ـ بل فعلت. تسللت وتطفلت على منزلي، وعلى حاسوبي، وهذا لا يعجبني.

يقول، مثل طفل خائف:

ـ لماذا أفعل ذلك؟ لماذا تعتقدين أنني من فعل؟ لم أقتحم منزلك الغبي.

إنه طفل خائف.

ـ ليست لديَّ فكرة. أخبرني أنت. عما كنت تبحث، بالضبط؟

يهز رأسه.

ـ لم أكن أنا. لا أقوم بمثل هذا النوع من الأعمال.

ـ يمكنك أن تنكر هذا بقدر ما تريد، لكنني كشفتك يا «رالي».

يجب عليه أن يعرف حجم المشكلة التي وقع فيها. يغمغم «رالي»، محاولًا إبقاء صوته منخفضًا:

ـ ربما اقتحم شخص ما منزلك يا سيدتي، لكن ما الذي يجعلك تقولين إنه أنا؟

ـ لأنني أعرف أن أمك كتبت هذه الخطابات.

يفكر بسرعة:

ـ أي خطابات؟

ـ خطابات الاعتذار التي كتبتها أمك عن أنك تقتحم منازلنا. حصلت على واحد من تلك الخطابات. لذلك أعرف أنه أنت.

يشعر «رالي» برعب متزايد. لا بد أنها المرأة التي تحدثت مع أمه. بصماته في كل أنحاء منزلها. وتعامل مع حاسوبها المحمول للتوِّ. اللعنة. بتبجح مفاجئ ويائس، يميل على الطاولة نحوها ويتحدث بوضوح شديد:

ـ لم أدخل منزلك قَطُّ. على الإطلاق. لا يمكنك إثبات هذا. لذا تراجعي وابتعدي عن طريقي.

لا يمكنه تصديق أنه تحدث للتوِّ بتلك الطريقة مع شخص بالغ. يقف.

ـ أنا راحل.

تصيح وراءه:

ـ الأمر لم ينتهِ!

يمكنه أن يشعر بعيون الآخرين يحدقون فيه وهو يخطو خارج المقهى، وجهه مشتعل.

* * *

ساعة تقريبًا بالسيارة إلى مكان العمة «مارجريت»، يكون الأمر أسوأ مع زحام المرور. لكنه بعد ظهر الأحد، وحركة المرور خفيفة. بينما تقود، تفكر «أوليفيا» في إمكانية عدم جدوى هذه الرحلة. لن تتذكر «مارجريت» إن كان «بول» زارها تلك الليلة. وتكاد تستدير عائدة إلى البيت.

لكن شيئًا يجعلها تواصل المسير على الطريق السريع وصولًا إلى «كاتسكيل»، وسرعان ما تصل إلى «بيرويك». منزل «مارجريت» منزل ريفي صغير، ليس مرتبًا كما اعتاد أن يكون، لكن «مارجريت» لم تعد تستطيع أن تنجز الكثير. تركن «أوليفيا» سيارتها في الممر الخاوي ـ تخلت «مارجريت» عن سيارتها منذ بضع سنوات ـ تلاحظ الطلاء المتلاشي، وتطرق بقوة على الباب الأمامي. تتساءل لو أن أحدًا آخر سيكون هنا.
لمدة طويلة، لم يحدث شيء. ترن جرس الباب وتطرق مرة أخرى. تخيلت رؤية رهيبة لـ«مارجريت» ربما مستلقية على الأرض مع كسر في الورك، غير قادرة على الوصول إلى الباب. تشعر بالخزي

المفاجئ أنها لم تهتم كثيرًا بمصلحة عمة «بول»، لانشغالها الكبير بحياتها الخاصة. كم مرة يأتي الأشخاص لمساعدتها؟

هل لديها أداة إنذار تستخدمها إذا سقطت؟

أخيرًا يُفتح الباب، و«مارجريت» تقف هناك تنظر إليها بعينين نصف مفتوحتين تحت أشعة الشمس. تقول، بصوت ضعيف متهدج:

ـ «أوليفيا».

ينفرج وجهها عن ابتسامة بطيئة، مفاجئة. تقول، بنفَس منقطع بعد مجهود الوصول إلى الباب.

ـ أنا... لم أكن... أتوقعك...

تفكر «أوليفيا»، لا بد أنه يوم جيد. تعرف أن الخرف يجيء ويذهب، وأنها في بعض الأيام يكون عقلها أصفى من أيام أخرى. تقول «أوليفيا»، وهي تدخل المنزل:

ـ فكرت أنك قد ترغبين في زيارة جميلة.

تقول:

ـ أراد «بول» أن يأتي، لكنه لم يستطع اليوم.

تجلس المرأة العجوز في غرفة المعيشة وتغرق ببطء في مقعدها الهزاز. التلفاز مفتوح وصوته منخفض، مع شرح يجري على طول الشريط بالأسفل. تصل بصعوبة إلى جهاز التحكم عن بُعد وتطفئه. الآن بعد أن وصلت إلى هنا، «أوليفيا» غارقة في الحزن. لأن الحياة تنتهي بهذه الحال. هذه الوحدة، هذا الانتظار... لوقت العشاء، لزائر، للموت. تجلس «أوليفيا» فوق الأريكة، متجهة نحو «مارجريت». الهواء خانق وهي تتوق لفتح النوافذ، لكنها تعتقد أن «مارجريت» ربما لن تحب تيار الهواء.

تسأل:

ـ هل أحضِّر لك بعض الشاي؟

تجيب المرأة العجوز:

ـ سيكون... هذا... لطيفًا...

تأخذ «أوليفيا» طريقها إلى المطبخ وتتحسس باحثة عن أدوات الشاي. لا يستغرق الأمر طويلًا. الغلاية فوق الموقد، وأكياس الشاي فوق الكاونتر، وتجد الأكواب في أول خزانة تفتحها. هناك عبوة حليب في الثلاجة. تشمها، وتبدو جيدة. في الواقع، تبدو الثلاجة جيدة التجهيز نسبيًّا.

عندما يكون الشاي جاهزًا، تأخذه إلى الغرفة الأمامية. تقول «أوليفيا»:

ـ أخبريني من يأتي لمساعدتك.

تنصت بصبر بينما «مارجريت» تخبرها عن ترتيباتها، وكم تتمنى أن تدخل سكن الرعاية الدائمة في أقرب وقت.

تقول «أوليفيا»:

ـ أعتقد أنك تحبين الزائرين.

تقول «مارجريت»:

ـ لديَّ القليل.

تذكر أسماء بعض الأصدقاء الذين يأتون بانتظام، إن استطاعوا.

تقول «أوليفيا»، وهي تشعر بوخزة ذنب لما تفعله:

ـ و«بول» يأتي لزيارتك، أحيانًا.

تقول «مارجريت» بشكل كئيب، أول تلميح من طبعها المشاكس:

ـ ليس كثيرًا. أتصل به لكنه لا يأتي أبدًا.

«أوليفيا» تلطف:

ـ أنا متأكدة من أنه يأتي كلما استطاع.

ـ الشرطة جاءت.

تقول «أوليفيا»، باضطراب:

ـ حقًّا؟ ماذا أرادوا؟

ـ لا أتذكر.

ترتشف الشاي من كوبها محدثة صوتًا مزعجًا. تقول «مارجريت»:

ـ يجب أن تأتي كثيرًا. أنتِ صحبة جيدة.

تقول «أوليفيا»:

ـ محتمل أنك لا تتذكرين آخر مرة جاء فيها «بول».

تقول:

ـ كلَّا. ذاكرتي ليست جيدة، كما تعرفين.

يهوي قلب «أوليفيا».

تقول «مارجريت» ببطء:

ـ لهذا أحتفظ بمفكرة. أكتب فيها القليل كل يوم، لكي أبقي ذهني حادًّا. قال الطبيب إن هذا مفيد لي.

تشير إلى دفتر يوميات من الجلد، يطل من تحت الجريدة على طاولة القهوة.

ـ أكتب فيه القليل كل يوم، حالة الطقس، من جاء لزيارتي.

تشعر «أوليفيا» بأن قلبها يبدأ في الخفقان بألم.

ـ يا لها من فكرة جيدة. متى بدأت في عمل ذلك؟

ـ منذ فترة وجيزة.

تسأل «أوليفيا»:

ـ هل يمكن أن أتصفحه؟

لا بد أنها ترى ماذا كتبت عن يوم ٢٩ سبتمبر. تومئ «مارجريت»، و«أوليفيا» تقلب الصفحات، آملة أن تجد التاريخ المطلوب. لكن المفكرة في فوضى. أغلبها فارغ، وكلمات مكتوبة بيد مهتزة في منتصف الصفحة، وبعض التواريخ العشوائية، ولكن لا يوجد شيء منطقي. بالكاد جملة متماسكة هنا أو هناك.

تسأل المرأة العجوز:

ـ هل يمكن أن تحضري لنا مزيدًا من الشاي، عزيزتي «روبي»؟ ❝

يقرر «ويب» أن «لاري هاريس» يبدو غير واثق في الملابس غير الرسمية. عندما رآه «ويب» آخر مرة، كان مرتديًا بذلة، الجاكيت الخاص به مفتوح، ربطة عنقه غير مربوطة... مدير تنفيذي عائد من رحلة عمل. اليوم يرتدي جينزًا وسترة قديمة، ولا يبدو أنه يتمتع بالحضور أو السلطة ذاتها. أو ربما يكون غير مرتاح بسبب إحضاره إلى مركز الشرطة للاستجواب. الشيء الذي يزعج الأشخاص عادة. خاصة لو كان لديهم شيء يخفونه.

يحدق «لاري» في الطاولة بغرفة الاستجواب. قُرئت عليه حقوقه. إلى الآن يرفض ممارسة حقه في الاستعانة بمحامٍ.

ـ «لاري»، نعلم أنك كنت تعاشر «أماندا بيرس».

يغلق عينيه.

ـ هل أخبرتك زوجتك؟ بما لدينا؟

يومئ. ينتظر «ويب» أن يفتح عينيه. أخيرًا يفعل. ينظر إلى «ويب» ويقول:

ـ عاشرتها لبضعة أسابيع. تقابلنا أحيانًا في ذلك الفندق. لا أعلم بماذا أخبرت زوجها.

يتورد.

ـ أعلم أنه كان خطأ. ما كان يجب أن أقع فيه. لست فخورًا به.

يقول «ويب»:

ـ لدينا التواريخ على فيديو المراقبة. قابلتها في فندق «باراديس» ابتداء من يوليو. كنت معها هناك يوم الثلاثاء السابق ليوم اختفائها السادس والعشرين من سبتمبر. لم يرَها أحد بعد يوم الجمعة الذي يليه. إذن... ماذا حدث في غرفة الفندق تلك الليلة يا «لاري»؟ هل أخبرتك أنكما ستنفصلان؟

يهز رأسه بحسم:

ـ كلّا، كانت الحال كالمعتاد. كنا على ما يرام.

يسند ظهره في مقعده، يبدو أنه يتعمد اتخاذ موقف أكثر انفتاحًا.

ـ انظر، لم يكن الأمر علاقة حب. لم أخطط لأن أهجر زوجتي من أجلها أو من أجل أي شيء. لم تكن تضغط عليَّ. كان الأمر مجرد... علاقة جسدية. بالنسبة إلى كلينا.

يقول «ويب»:

ـ لكنها الآن ميتة.

يقول «لاري» بحدة:

ـ ليس لي أي علاقة بما حدث. فقط لأنني طارحتها الغرام لا يعني أنني قتلتها.

يقول «ويب»:

ـ متى كانت آخر مرة رأيت فيها «أماندا»؟

ـ تلك الليلة، في الفندق. لم تعمل بشكل مؤقت في مكاتبنا هذا الأسبوع. عملتْ في شركة محاسبة ما، هي أخبرتني.

يسأل «ويب»:

ـ متى كانت آخر مرة تحدثت فيها معها؟

يتردد «لاري» لفترة وجيزة، كأنه يفكر في كذبة. يقول:

ـ كانت هذه آخر مرة تكلمت فيها معها.

«ويب» لا يصدقه. يقرر أن يترك الأمر، في الوقت الحالي. يسأل «ويب»:

ـ كيف تواصلت معها؟ هل اتصلت بها في المنزل؟

يعرف أنه يستفزه.

يقول «لاري»، وهو يبدل جلسته باضطراب في مقعده غير المريح:

ـ كلَّا، بالطبع لا.

ـ إذن كيف تواصلتما؟

يجيب «لاري» بتجهم:

ـ عبر الهاتف.

يسأل «ويب»:

ـ أي هاتف يكون؟

ـ كان لي هاتف منفصل، من أجلها.

يقول «ويب»:

ـ فهمت. لا بد أنه هاتف غير مسجل، بنظام الدفع السابق؟

يومئ «لاري» على مضض.

ـ وهل «أماندا» لديها بالمثل هاتف، غير مسجل؟

يومئ مرة أخرى.

ـ أجل.

ينظر «ويب» إلى «موين» نظرة خاطفة. لم يجدا هاتفها سابق الدفع. وجدا هاتفها الخلوي العادي في حقيبة يدها، في السيارة. لكن لم يظهر هاتف سابق الدفع. يحتاجان إلى أن يجدا هذا الهاتف. يركز على «لاري» مرة أخرى.

ـ هل لديك فكرة أين يمكن أن يكون؟

ـ كلَّا.

ـ وأين هاتفك سابق الدفع الآن؟

ـ لم أعد أمتلكه.

ـ لماذا؟

ـ بعد «أماندا»... اختفائها، لم أعد بحاجة إليه. ولم أرغب في أن تجده زوجتي.

ـ كيف تخلصت منه؟

استغرق «لاري» وقتًا طويلًا لكي يجيب، حتى إن «ويب» يكرر السؤال:

ـ كيف تخلصت منه؟

يصر «لاري» فجأة:

ـ لم أقتلها.

ـ ماذا فعلت بالهاتف سابق الدفع؟

يقول بعصبية:

ـ ألقيته في «هدسون». ذهبت للتمشية على ضفاف النهر في إحدى الليالي ورميته فيه.

ـ ومتى كان ذلك؟

ـ بعد اختفائها بنحو أسبوع. أعني... ظن الجميع أنها هجرت زوجها.

يكبت «ويب» إحباطه. لن يجد هذا الهاتف أبدًا، ولا هاتف «أماندا» أيضًا. يضع رهانه على أنه كان معها عندما قُتلت، وأن القاتل تخلص منه. كما فعل مع سلاح الجريمة. يغير الوتيرة.

ـ لماذا لا يمكننا العثور على شخص رآك في المنتجع بعد ظهر الجمعة؟ بعد أن سجلت الدخول، لم يرك أحد حتى التاسعة مساء.

يزفر «لاري» بثقل، ينقل النظرات بين «ويب» و«موين».

ـ عملت في غرفتي طوال فترة بعد الظهر، ومن ثم غلبني النوم. فوتُّ أغلب حفل الاستقبال.

يسأل «ويب»:

ـ وهل من المفترض أن نصدق هذا؟

يقول «لاري»، بقدر من العنف:

ـ هذه هي الحقيقة! لماذا لا تتفقد الأمر مع المنتجع؟ لم أغادر غرفتي قَطُّ، أقسم لك. لا بد أن لديهم كاميرات في موقف السيارات. يمكنهم أن يخبروك أن سيارتي لم تغادر قَطُّ.

ـ أين ركنت سيارتك؟

يعرف «ويب» بالفعل أن «لاري» لم يركن داخل موقف السيارات بالمنتجع، فلديه من شاهد كل الأشرطة.

ـ في موقف السيارات الخارجي، في يمين الفندق.

ـ صحيح. نحن تفقدنا. والظاهر أنه لا توجد كاميرات هناك. الكاميرات فقط بداخل موقف السيارات.

يضيف:

ـ وأنا متأكد أنك تعرف.
يبدو «لاري» خائفًا الآن. يحتج:

ـ لا أعرف. كيف لي أن أعرف؟

يقول «ويب» بسرعة:

ـ هل تعرف أن «أماندا» كانت حاملًا؟

يهز رأسه، بعبوس، فاقدًا توازنه. يقول بغضب:

ـ كلّا، لم أعرف، بأمانة. كنت دائمًا أستخدم واقيًا ذكريًّا. هي أصرت على هذا. لم تكن تريد أن تحمل. لماذا لا تعتقلوا زوجها؟ لو قتلها أحد، فهو من قتلها. أخبرتْني مرة أنه لو اكتشف أنها تخونه، فسيقتلها.

يضيف، بأسف بالغ:

ـ لم أصدقها حينئذٍ. كان يجدر بي أن أصدق.

ينظر «ويب» بحذر إلى «لاري» ويحاول معرفة إن كان يكذب. يعتقد «ويب» أن «روبرت بيرس» قادر على ارتكاب جريمة قتل، لكنه يتساءل لو أن «لاري» اختلق هذه القصة.

يقول «لاري»:

ـ «روبرت بيرس» ابن عاهرة قاسي القلب. أخبرتني «أماندا» عنه، كيف تعامل معها. أخبرتني أنها ستتركه في يوم من الأيام، لذلك عندما اختفت، فكرت أنها فعلتها. لو قتلها أحد، فهو زوجها.

يحدق «ويب» فيه. أخيرًا، يقول «لاري»:

ـ هناك شيء آخر. «روبرت بيرس»... يعرف بعلاقتي مع «أماندا». ويعرف بأن لديها هاتفًا سابق الدفع.

يسأل «ويب»، بحرص:

ـ كيف تعرف ذلك؟

ـ لأنني تلقيت اتصالًا من هاتفها سابق الدفع، وكان «روبرت» هو المتحدث. قال: «مرحبًا، «لاري»، أنا زوجها، «روبرت»». أنهيت المكالمة على الفور.

يسأل «ويب»:

ـ متى حدث ذلك؟

ـ في اليوم الذي اختفت فيه. الجمعة، التاسع والعشرون من سبتمبر. العاشرة صباحًا تقريبًا.

تتقابل أعين «ويب» و«موين». ❝

تحدق «بيكي هاريس» من الأبواب الزجاجية في الباحة الخلفية. أرادت أن تصحب «لاري» إلى مركز الشرطة عندما جاء في طلبه المحققان للاستجواب، لكنه أصر على أن تبقى هنا. يمكنها أن تعرف أنه قلق.

كلاهما قلق كثيرًا.

عندما عادت من مركز الشرطة وأخبرت «لاري» عن الفيديو الأمني له في فندق «باراديس»، بدا مذعورًا إلى درجة أنها لم تكلف نفسها عناء قول، ماذا قلت لك، أيها الأبله؟ بل قالت:

ـ سيطلبونك للاستجواب.

ينبغي عليها أن تتحلى بالشجاعة حتى توقف جسدها عن الارتعاش. تقول:

ـ «لاري»، أخبرني الحقيقة. هل قتلتها؟

نظر إليها، بتعبير تصادمي على وجهه المنهك.

ـ كيف يمكنك التفكير...؟

تثور عليه.

ـ كيف يمكنني التفكير؟ الدليل يا «لاري»! الشواهد تتجمع ضدك. كنت على علاقة غرامية بها... هذا مثبت في شريط التسجيل. كنت في منطقة قريبة من البحيرة التي عُثر فيها على جثتها ولا تستطيع تفسير مكانك. فليساعدك الله إذا اكتشفوا أنك تشاجرت معها في اليوم السابق لفقدانها. وبعد ذلك ألقيت الهاتف من فوق «سكاي واي» في وقت مبكر من بعد ظهر يوم الأحد في طريق العودة من المنتجع، قبل حتى أن يعرف أي أحد أنها مفقودة. لا أعرف يا «لاري»، لكنك تبدو مذنبًا حتى النخاع!

احتج قائلًا:

ـ لم أعرف أنها كانت ميتة عندما رميت الهاتف.

يمسك بذراعها ويقول:

ـ «بيكي»، ليست لي علاقة بهذا الموضوع. يجب أن تصدقيني. أعرف كم يبدو الأمر سيئًا. لكنني لم أؤذها. لا بد أنه «روبرت». فهو يعرف أنها كانت تخونه. وجد هاتفها سابق الدفع. اتصل بي منه، وأنا أجبت. عرف بالفعل عن علاقتي مع «أماندا». قال لي: «مرحبًا، «لاري»» قبل حتى أن أفتح فمي. لا بد أن يكون هو من قتلها.

إذن «روبرت» يعرف. تومئ ببطء. عندما تنظر إلى زوجها، لم تستطع أن تصدق، حتى في مواجهة كل الأدلة الاستنتاجية، أنه يمكن أن يقتل أحدًا. أن يتمكن من ضرب امرأة حتى الموت.

تقول في النهاية:

ـ عندما تتحدث مع الشرطة، يجب أن تخبرهم بكل ذلك. لكن أخبرهم أنك ألقيت الهاتف في النهر من مكان ما بالشاطئ، تحسبًا أن تكون هناك كاميرات فوق الجسر. يمكنهم تفقدها ومعرفة متى حدث ذلك. أخبرهم أنه كان بعد بضعة أيام من اختفائها، ليس في العطلة الأسبوعية نفسها.

يومئ لها، بخوف واضح، معتمدًا عليها الآن في مساعدته. كانت تفكر بصفاء أكبر مما فعل هو.

تقول:

ـ ومهما حدث، لا تخبرهم أنك تشاجرت مع «أماندا» في اليوم السابق لاختفائها، وأنها انفصلت عنك.

بعد ذلك جاء المحققان لأخذه إلى المركز من أجل استجوابه، وأرهقت «بيكي» نفسها في هذه النوبة من الشك والخوف.

لا تعتقد أن «لاري» قادر على التخطيط لجريمة قتل بدم بارد. وإن كان كذلك، لما كان في هذه الفوضى. مجرد لحظة غضب غير مسيطر عليه؟ هل ضرب «أماندا» في ثورة غضب، غير متعمد قتلها؟

تخشى أن يكون هذا هو ما حدث بالضبط وأن «لاري» لا يزال يكذب عليها وأنه خائف على حياته.

يتجه عقلها بغير ارتياح لحادثة وقعت منذ بضع سنوات. تعرضت ابنتها «كريستي» للمضايقة من مراهق رفضت أن تواعده. ظل يزعجها في المدرسة، بعد ذلك ارتكب خطأ مجيئه عند المنزل، ساخرًا منها بألفاظ مسيئة. خرج «لاري» من المنزل ونطح الصبي بالحائط بسرعة كبيرة مما جعل رأس «بيكي» يدور. لا تزال تتذكر الخوف والصدمة في وجه الصبي. وكيف بدا «لاري»، يمسك بيده اليسرى قميص الصبي من الياقة، ويده اليمنى مائلة للخلف كما لو كان على وشك ضرب الطفل بقوة في وجهه. كانت «كريستي» تبكي خلفها داخل المنزل. لكن شيئًا استوقفه. دفع الصبي في الممر وأخبره أن يترك ابنته وشأنها. قلقت «بيكي» من أن الولد قد يوجه اتهامات، لكنهم لم يسمعوا عنه مرة أخرى. الآن، أجبرت نفسها على طرد الحادث من عقلها، والعودة إلى الحاضر.

«روبرت» من طراز ذوي الدم البارد. تفكر الآن أنه قد يكون قادرًا تمامًا ـ ذكيًّا بما يكفي، يقظًا بما يكفي ـ على التخطيط لجريمة قتل وتنفيذها. وإذا فعل، فهي متأكدة تمامًا من أنه يعرف كيف يقوم بذلك حتى لا يُقبض عليه.

يجب أن تعرف من قتل «أماندا»... هل هو «روبرت» أم زوجها؟

وفي الحال، تغادر منزلها، وتعبر العشب، وتطرق باب «روبرت» الأمامي. وبينما تنتظر، تلتفت بعصبية، تتساءل لو يراقبها أحد الجيران. تعرف أنه في المنزل. رأته يمر من أمام النافذة الأمامية في وقت سابق، وسيارته في الممر.

إنها على وشك أن تبتعد، مهزومة، لكن حينئذٍ يُفتح الباب. يقف هناك ينظر إليها. فمه لا يكشف عن ابتسامته الساحرة. فكل شيء انتهى.

تسأله:

ـ هل يمكن أن أدخل؟

ـ لماذا؟

ـ أحتاج إلى أن أتحدث معك.

يبدو أنه يتدبر في الأمر لدقيقة ـ ماذا سيعود عليه؟ لكنها تجد الفضول يتغلب عليه. يرجع خطوات إلى الوراء ويجذب الباب. فقط عندما أغلقه خلفها أدركت أنها ربما تكون غبية. إنها خائفة بعض الشيء منه. لا تعتقد حقًّا أنه سيؤذيها... لن يتجرأ، في ظل هذه الظروف.

لكن ما الذي تتوقع أن تعلمه؟ لا يبدو الأمر وكأنه سيقول لها الحقيقة. فجأة هي مربوطة اللسان، لا تعرف كيف تبدأ.

يقول، وهو يطوي ذراعيه أمام صدره، ناظرًا إليها:

ـ ما الذي تريدين أن نتكلم بخصوصه؟

هو أطول منها بكثير. ما زالا يقفان في الصالة الأمامية.

تقول:

ـ «لاري» في مركز الشرطة. يبدو أنهما يفكران بأنه ربما قتل «أماندا».

حاولت أن تقولها صراحة، لكن صوتها يرتجف.

يقول «روبرت» متجردًا من أي مشاعر:

ـ لأنه كان على علاقة غرامية بها.

تحدق فيه، وتومئ ببطء.

ـ هذا هو سبب أنك ضاجعتني، أليس كذلك؟ كنت تعرف أن «لاري» كان يضاجع «أماندا» طول الوقت، لذلك ضاجعتني.

يقول:

ـ أجل.

يبتسم.

يبدو مستمتعًا. كيف تمكن من إغوائها؟ لم يعد هناك ما يشير إلى ذلك الدفء والصبيانية التي سحرتها. لكن هذا لا يهم. فهي تجاوزت ذلك الآن.

لا يبدو أنه يهتم بأنها تعرف. لو أنه قتل زوجته، لا بد أنه واثق تمامًا الآن من أنه لن يُقبض عليه. تقول:

ـ «لاري» سيخبر الشرطة، أنك علمت بعلاقتهما. أخبرني عن الهاتف سابق الدفع، الذي اتصلت به منه.

يقول «روبرت»:

ـ لست قلقًا. ليس لديه دليل. كلمته، وكلمتك، مقابل كلمتي.

تنظر إليه لأعلى، يبدو أنه أكثر طولًا بكثير منها الآن. تشعر بالضآلة، يمكنه أن ينهش رقبتها بيديه لو أراد. تقول:

ـ «لاري» لم يقتلها.

يقول:

ـ لا يمكنك معرفة ذلك. في الواقع، أعتقد أنك قلقة من أن يكون قتلها بالفعل.

تهمس، مدفوعة لقول ذلك:

ـ أعتقد أنه أنت.

يقول «روبرت»:

ـ يمكنك التفكير فيما يروق لك، وأخبري الشرطة بما تريدين، لكنهما يعرفان أنك ستقولين أي شيء لحماية زوجك.

تسأل بيأس:

ـ هل لديك حجة؟

يعترف:

ـ ليس تمامًا.

تقول «بيكي» بعنف، كما لو أن تكرار الجملة سيجعلها حقيقة:

ـ أنت قتلتها.

يميل «روبرت» مقتربًا منها، إلى درجة أن يصبح وجهه على بعد بوصات فقط من وجهها.

يقول ببرود شديد:

ـ حسنًا، محتمل أن الفاعل واحد منا، وأنت لا تعرفين أيَّنا. أخمن أن لديك مشكلة، أليس كذلك؟

تحدق «بيكي» في وجهه للحظة برعب ثم تتخطاه وتجذب الباب بعنف فاتحة إياه، وتهرب عائدة إلى منزلها. ❝

❞ ٢٨

عندما تعود «أوليفيا» إلى المنزل من رحلتها إلى منزل «مارجريت»، تكون متعبة.

يسأل «بول»:

ـ أين كنتِ؟

هو يجلس في غرفة المعيشة، وفي يده شراب.

تنظر إليه بحذر، متجاهلة سؤاله.

ـ أين «رالي»؟

ـ إنه في غرفته.

تسأل «أوليفيا» بعصبية:

ـ ماذا كانت الشرطة تريد يا «بول»؟

تجلس بجانبه بينما يخبرها بما حدث في مركز الشرطة.

تسأل ذاهلة:

ـ لماذا يريدان تفقد الكوخ؟

ـ لا أعلم.

تشعر بتصاعد توترها.

ـ حسنًا، لا بد أنهما قالا شيئًا، أعطيا مبررًا.

عندما يجيب، يبدو منزعجًا.

ـ مثلما قلتِ، سألاني إن كنت أعرف المنطقة التي عُثر فيها على جثتها، وكان عليَّ أن أخبرهما عن كوخنا. كيف سيبدو الأمر إن لم أخبرهما، واكتشفا بعد ذلك؟

ينظر إليها بثبات.

ـ ليس لديَّ ما أخفيه يا «أوليفيا».

إنه بلا شك لا يبدو مذعورًا. يبدو أنه يعتقد أن هذا إزعاج وتطفل ولا شيء أكثر من ذلك.

تقول:

ـ كلَّا، بالطبع لا.

يشبك «بول» ذراعيه أمامه ويخبرها:

ـ قالا إن لم أعطهما الموافقة، فسيحصلان على إذن بالتفتيش. كان بمثابة تهديد. كان ينبغي أن أقول لا، من حيث المبدأ. وأدعهما يحصلان على إذنهما اللعين.

تقول «أوليفيا» باضطراب:

ـ ليس لدينا ما نخفيه يا «بول». ينبغي أن ندعهما يمضيان. لن يجدا شيئًا، وحينها سيدعاننا وشأننا.

يحملق فيها:

ـ تعرفين بماذا أشعر حيال هذا النوع من الأشياء. هذا شيء مثير للغضب، حقًّا.

تتحدب بشكل متعب. لم تتبقَّ لديها طاقة. لا تريده أن يعاند في هذا الشأن. تسأل:

ـ لكنك قلت لهما نعم، أليس كذلك؟

إذا أثار ضجة حول هذا الأمر، سيكون لديها سبب للقلق حقًّا... قد تعتقد أنه يخفي شيئًا بالفعل. وسيحصلان على الأمر على أي حال.

يقول «بول» في النهاية:

ـ أجل، لن يجدا شيئًا. ليس الأمر أننا نخفي شيئًا. لكن هذه سخافة، وإهدار للموارد. ليس من الجيد أن تطلب الشرطة تفتيش

منزلك، لمعرفتهم أنهم سيحصلون على إذن تفتيش على أي حال، هذا ترهيب. هذا انتهاك للخصوصية.

تقول «أوليفيا»، بلمسة سخرية في صوتها:

ـ أعرف كم تحب خصوصيتك.

يستدير نحوها.

ـ ماذا يفترض أن يعني هذا؟

ـ هذا يعني أنني لا أفهم لماذا تعاند حول هذا الأمر! أريد أن ينتهي هذا يا «بول».

يقول باقتضاب:

ـ سيقابلانني هناك في صباح الغد. أخذت الغد إجازة من العمل.

تشعر بارتخاء جسدها. تريد فقط أن ينتهيا من هذا. ولن تخبر «بول» عن زيارتها لعمته «مارجريت».

* * *

يستطيع «رالي» أن يسمع الأصوات المرتفعة في الطابق السفلي، يبدو أن أبويه يتجادلان، لكن سرعان ما انحسرت الأصوات. لم يتمكن من تحديد ما يقولانه. ليس من طبيعة أبويه أن يتجادلا، لكن مؤخرًا، أصبح المنزل متوترًا. يلقي بعض اللوم على نفسه. يعرف أن جزءًا من شجار أبويه بسبب ما فعله. لا يتجرأ أن يقول لهما ما حدث بعد ظهر اليوم في المقهى... وكيف تعقبته هذه المرأة الفظيعة وخدعته واتهمته. وبعد ذلك احتاج إلى وقت طويل حتى يتوقف عن الارتجاف.

إذا أخبر أبويه، محتمل أن تنهار أمه. لكن ماذا لو تظهر تلك المرأة في المنزل وتواجه أمه مرة أخرى، وتخبرها عن لقائهما في المقهى؟ ماذا لو تقرر الذهاب إلى الشرطة؟ يشعر بأنه محاصر ولا يعرف ماذا يفعل. الوحيدان اللذان يشعر بالراحة في طلب المساعدة والنصيحة في أي شيء منهما هما والداه، ولا يستطيع أن يذهب إليهما في هذا. ليس الآن. ليس مع كل شيء آخر يعالجانه.

وسيستمر الجميع في التظاهر بأن كل شيء بخير.

* * *

تفر «بيكي» إلى منزلها وتوصد الباب خلفها. الآن هي بعيدة عنه، تبدأ تنتفض. فقط المختل عقليًّا هو من يمكن أن يلعب معها بالطريقة التي فعلها «روبرت». محتمل أن الفاعل واحد منا، وأنت لا تعرفين أيَّنا. أخمن أن لديك مشكلة، أليس كذلك؟ أي نوع من الأشخاص يقول شيئًا مثل هذا؟ بينما زوجته هي من ماتت؟ إنه مريض.

تدرك، مع شعور بشع، أن «روبرت» يريد أن يُتهم «لاري» في قتل زوجته. بعد كل شيء، «لاري» كان الشخص الذي يضاجعها. ربما أعد كل شيء بطريقة ما. إنه لا يفتقد «أماندا» على الإطلاق. لقد أظهر حزنًا كبيرًا في البداية، لكنه لم يعد يكلف نفسه عناء التظاهر بذلك. جعلها ترى حقيقته. أزال القناع. تجوب غرفة المعيشة بتوتر، وتلتقط الجلد حول أظافرها بلا هوادة.

تسمع مفتاحًا في القفل. «لاري» يدخل وينظر إليها. يسأل، ووجهه شاحب:

ـ لماذا أوصدتِ الباب؟

يبدو محطمًا. هي لا تجيب. بدلًا من ذلك، تقول:

ـ الأمور بخير؟

لا تنتظره حتى أن يخلع معطفه.

ـ أخبرتُهما بما قلتِه.

ـ هل صدقاك؟

ـ أعتقد ذلك.

لا يمكنها ألا تتخطى حد الهستيريا في صوتها.

ـ تعتقد ذلك؟

يكاد يصرخ في وجهها.

ـ بحق المسيح، لا أعلم! لا أعلم بماذا يفكران!

يخفض صوته مرة أخرى.

ـ لكن يا «بيكي»، هناك مشكلة أخرى.

ـ أي مشكلة؟

كيف للأمور أن تسوء أكثر؟

يخبرها، بتردد:
ـ في المنتجع، ركنت في موقف السيارات الخارجي، وليس بداخله. الظاهر أنه ليست هناك كاميرات في الموقف الخارجي... لذلك لا أستطيع إثبات أنني لم أغادر.

تحدق فيه لحظة طويلة.

يقول:

ـ لكنهما لا يقدران على إثبات أنني خرجت أيضًا.

تقول بصوت منخفض:

ـ ربما حان الوقت أن نحضر لك محاميًا.

يقول:

ـ ماذا يعني هذا؟ ألا تصدقينني؟

تقول تلقائيًّا:

ـ بلى.

على الرغم من أنها لا تعرف إن كانت تصدقه أم لا.

يخطو إلى غرفة المعيشة متجهًا إلى عربة تقديم المشروبات.

ـ أحتاج إلى مشروب.

تقول «بيكي» بهمس أجش، بينما تراقبه يصب لنفسه جرعة ويسكي خالصة:

ـ ذهبت للقاء «روبرت بيرس» بينما كنت بالخارج.

يستدير لكي ينظر إليها، والزجاجة في يده.

ـ ماذا؟ ما الذي جعلك تفعلين ذلك بحق الجحيم؟ محتمل أنه قتل زوجته!

تحدق في الفراغ. الآن قُضي الأمر، يمكنها بالكاد أن تصدق أنها فعلت هذا. لا بد أنها لم تكن في وعيها.

ـ أخبرته أن الشرطة تعتقد أنك ربما قتلت «أماندا».

ـ بحق السماء يا «بيكي»! هذا جنون! لماذا أخبرته بذلك؟

تركز عليه الآن، يبدو أنه ازداد شحوبًا.

ـ أردت أن أرى ماذا سيقول.

ـ و؟

ـ قال محتمل أن أحدكما قتلها.

يبدو «لاري» مرتعبًا.

ـ «بيكي»... إنه خطير. عديني ألا تقتربي منه مرة أخرى. عديني.

تومئ. فهي لا تريد أن تقترب من «روبرت بيرس» مرة أخرى أبدًا.

* * *

يقود المحقق «ويب» فوق جسر «أيلسفورد» الممتد عبر «هدسون»، ويستدير شمالًا على الطريق، تجلس «موين» بجواره في المقعد الأمامي. الوقت مبكر من صباح يوم الاثنين، بعد أسبوع بالضبط منذ العثور على سيارة «أماندا بيرس» المهجورة، وجثتها المضروبة بعنف محشورة في صندوق السيارة.

الجو بارد، يوم صقيع. لكن الشمس ساطعة، والرحلة ممتعة. في البداية يكون النهر على يمينهما. سرعان ما يستديران غربًا، إلى عمق «كاتسكيل»، باتجاه بلدة «سبرينجهيل». تمتد البرية من حولهما في حين تنحرف وتلتف الطرق عبر الجبال. في نهاية المطاف يقطعان الطريق السريع ويأخذان سلسلة من الطرق الأصغر المتعرجة. تأخذهما الرحلة إلى كوخ «شارب» إلى عبور الموقع حيث العثور على جثة «أماندا». لا بد أن «بول شارب» يعرف هذا الطريق المترامي جيدًا.

في النهاية يتخذان طريقًا صخريًا ويتوقفان أخيرًا عند كوخ خشبي تقليدي، تبدو عليه آثار التجوية، مختبئ بين الأشجار.

يرى «ويب» سيارة مركونة أمامه. «بول شارب» هنا أمامهما. ليست هناك مفاجأة.

خرجا من السيارة. الهواء أكثر انتعاشًا هنا، محمل برائحة الأرض، والأوراق المبتلة، وإبر الصنوبر. تتدفق النسمات من خلال الأوراق المتبقية على الأشجار من فوقهم. يمكنهما رؤية بحيرة صغيرة في الأسفل، ومرسى ممتد إلى داخل المياه.

يُفتح باب الكوخ ويخطو «بول شارب» إلى الخارج، ينظر بحذر. زوجته «أوليفيا» خلفه.

* * *

تقرر «أوليفيا» أن تأتي لأنها لا تستطيع أن تتحمل فكرة البقاء بالبيت والقلق مما يحدث هنا.

ارتمت «أوليفيا» في السرير الليلة الماضية، غير قادرة على النوم، تفكر في الكوخ. الحال تغيرت، الآن «رالي» عمره ست عشرة سنة. ما زال يستمتع بالكوخ، ويحب البحيرة، لكنه لا يتطلع إليه بإثارة مبهجة كما كان صغيرًا. بحلول صباح الأحد يكون عادة مفتقدًا أصدقاءه و«الواي فاي»، لذلك يميلون لأن يعودوا مبكرًا عما كان ولدًا صغيرًا، عندما كانت هي و«بول» يسحبانه عمليًّا إلى السيارة من أجل العودة إلى البيت.

لم تلحظ أي شيء مختلف في الكوخ بعد أسبوعين من وقت ما كانا هنا يبدآن في إغلاقه من أجل فصل الشتاء. كان يوم «كولمبوس»، في العطلة الأسبوعية التي تلت العطلة التي اختفت فيها «أماندا»، قبل العطلة التي كان لديهما فيها الزوجان «نيويل» على العشاء واكتشفت «أوليفيا» أن «رالي» يقتحم المنازل. كل شيء كما كان عليه آخر مرة كانا فيها بالكوخ. هي لا تفهم ماذا يريد المحققان بحق الجحيم.

لطالما أحبت كوخهما الصغير في الغابة. ليس فخمًا... عبارة عن حجرة واسعة واحدة، جزء منها مطبخ وجزء غرفة معيشة، تطل على البحيرة على طول الجزء الخلفي، وغرفتين للنوم وحمّام صغير في الجهة الأخرى من مكان المعيشة. الأرضية مشمع، والجدران مغطاة بألواح خشبية، والأثاث غير متناسق لكنه مريح، والأجهزة قديمة، ولكن هذا كله جزء من سحره. تأمل ألا يفسد ذلك الأمر عليهما. لم يخبرا «رالي» بما يحدث اليوم. ذهب إلى المدرسة مبكرًا من أجل تدريب كرة السلة، مغادرًا قبل أن يغادرا. سينتهي الأمر خلال مدة قصيرة، ولا يجب أن يعرف أبدًا بأن الشرطة كانت هنا.

تخطو خارج الكوخ خلف زوجها وتتفاجأ عندما ترى «ويب» و«موين» بمفردهما. كانت تتوقع فريقًا كاملًا. هذا يجعلها تسترخي قليلًا. تقول:

ـ صباح الخير.

تعلم أن «بول» سيكون فظًّا معهما، فهذه هي الحال التي هو عليها. يجب أن تحاول تلطيف الأمور.

ـ هل أحضر لكما بعض القهوة؟

يقول «ويب»، وهو يبتسم ابتسامته السريعة:
ـ سيكون هذا جيدًا، شكرًا لكِ.

تقول «موين»، بلهجة ودودة للغاية:

ـ أجل، سيكون هذا رائعًا. لديك مكان رائع.

يدخلون جميعًا وتبتعد «أوليفيا» وتشغل نفسها مع ماكينة القهوة القديمة، التي عفا عليها الزمن. تلتقط أربعة من الأكواب المصنوعة من المينا الزرقاء. هذه الأكواب القديمة التي بها شروخ تريحها وتذكرها بالأوقات المريحة والسعيدة. قهوة الصباح على سطح المركب، مع ارتفاع الضباب فوق المياه، الكاكاو الساخن لـ«رالي» عندما كان صغيرًا، ملفوفًا ببطانية منقوشة حمراء وسوداء لاتقاء البرد. تلتفت وترى المحققين يرتدي كل منهما قفازًا أزرق من

المطاط، وفي الحال، اختفت كل مشاعرها السعيدة بشكل مفاجئ.

"

"

٢٩

تحضر القهوة أمام المحققين، يقبلانها بامتنان. تجد «أوليفيا» مشهد القفازين المطاطيين اللذين يحملان بهما أكوابها مقلقًا. يبدأ المحققان في عملهما. تجلس «أوليفيا» و«بول» صامتين على طاولة المطبخ، محاولين التظاهر بأنهما لا يكترثان، وأنهما لا يراقبان الشرطيين في كل حركة.

عندما يغادر المحققان الغرفة الرئيسية للكوخ ويدخلان غرف النوم، ينهض «بول» ويتبعهما، ويأخذ قهوته معه. تنهض «أوليفيا»، كذلك. يفتح المحققان الأدراج، ينظران تحت الفراش. يعيدان كل شيء إلى ما كان عليه. ليست لديها فكرة ماذا يتوقعان أن يجدا. يعودان إلى المطبخ ويمران عليه بطريقة منهجية، في صمت. كلما استمر هذا، ازداد قلق «أوليفيا». تراقب بينما يفحص «ويب» الستائر الزرقاء الداكنة بعناية. في صمت، يلوح لـ«موين». ينظران إلى الستائر معًا، من كلتا الجهتين، بمساعدة مصباح يدوي. يصبح وجه «ويب» عابسًا.

أخيرًا، يستدير «ويب» نحو زوج «أوليفيا» ويقول:

ـ هل لديك أي معدات؟

يكرر «بول»:

ـ معدات؟

تتساءل «أوليفيا» إن كانا يريدان تفكيك شيء ما. لن تسمح بذلك، وهي واثقة أن «بول» أيضًا لن يسمح. إذا كانا يريدان البدء في تمزيق الألواح الأرضية، فسيتعين عليهما الحصول على إذن تفتيش لعين.

لا بد أن «بول» يفكر على المنوال نفسه، لأنه يقول:

ـ من أجل ماذا؟

يسأل «ويب»، متجنبًا السؤال:

ـ أين تحتفظ بها؟

من دون إجابة، يقودهما «بول» إلى مستودع صغير بالخارج، ليس بعيدًا عن الكوخ. مليء بالحطب وكراسي الحديقة البلاستيكية وجزازة العشب وغيرها من الخردة المتراكمة. تحدق «أوليفيا» في «بول» وهو يفتح الباب متجهًا إلى المستودع، ويشير. يسحب «ويب» مصباحه ويشغله، ويوجه الضوء على الجزء الداخلي من المستودع. هناك فأس صغيرة مائلة على الحائط. يسلط الضوء على صندوق أدوات معدني أحمر محطم. يخطو المحققان إلى الداخل ويجلسان القرفصاء ويفتحانه. يستخدم «ويب» إصبع السبابة في البحث داخل الصندوق، قفازه الأزرق بسيط ونظيف مقابل محتوى الصندوق المغبر. تتساءل «أوليفيا» ما الذي يبحث عنه بحق الجحيم. يمكنها رؤية التوتر في كتفي «بول».

يسأل «ويب»:

ـ هل لديك مطرقة؟

يقول «بول»:

ـ أجل. لا بد أنها هناك.

ينثني لكي ينظر داخل صندوق المعدات.

يقول «ويب»، وهو يوجه انتباهه نحو «بول»:

ـ لا يظهر أنها هنا الآن. متى كانت آخر مرة رأيتها؟

يقول «بول»:

ـ ليست لديَّ فكرة. لا أتذكر.

يحدق الرجلان في بعضهما البعض للحظة طويلة.

تشعر «أوليفيا» بتدهور معدتها. لقد كانت تخبر نفسها أن المحققين في مهمة حمقاء، وأنهما لن يعثرا على أي شيء، ومن ثم سيدعانهما وشأنهما. وها هو مرة أخرى، يبعث الشك في أفكارها اللاواعية... هل يعرف المحققان شيئًا هي لا تعرفه؟

ينظر «ويب» إلى «موين» ويقول:

ـ أعتقد نحتاج إلى أن نحضر فريق مسرح الجريمة إلى هنا.

يقول «بول» بغضب:

ـ ستحتاج إلى إذن تفتيش لعمل ذلك.

تحدق «أوليفيا» في زوجها، وقلبها يخفق.

يقول «ويب»:

- يمكنني عمل ذلك بمكالمة هاتفية. ويمكنني إحضار وحدة الطب الشرعي إلى هنا في غضون بضع ساعات.

* * *

يراقب «ويب» «بول شارب»، وهو يقف بجوار المستودع في ضوء الشمس الذي يتخلل الأشجار، ويداه إلى جواره.

تقول زوجته فجأة من دون تفكير، ووجهها شاحب:

- ما الذي يجري؟

«بول» ليست له علاقة بما حدث لـ«أماندا بيرس»! لماذا لا تطاردان زوجها... محتمل أنه الشخص الذي قتلها!

يقول «شارب»:

ـ «أوليفيا»، أنت لا تساعدين. من الواضح أنهما اتخذا قرارهما. اتركيهما يفتشان. لن يجدا شيئًا.

بينما ينتظرون وصول فريق مسرح الجريمة، يستكشف «ويب» و«موين» المنطقة خارج الكوخ، بينما يقف الزوجان «شارب» صامتين ويراقبان. أخيرًا استداروا جميعًا حيث توقفت سيارتان من سيارات الشرطة وشاحنة مسرح الجريمة بيضاء عند الكوخ.

يعرف «ويب» أنه إذا كان هذا الكوخ هو مسرح الجريمة، فهو بالفعل أُجريت عليه تسوية. لكنهم لا بد أن يفتشوه بغض النظر عن ذلك. يرشد «ويب» الفنيين إلى البقع المشبوهة على ستائر المطبخ ـ البقع التي تشبه الدم. لو هذه دماء، فسيكونون قادرين على استخلاص الحمض النووي من البقع. يراقب «ويب» و«موين» بصمت بينما يغلق الفنيون الشيش والستائر لإظلام الغرفة. يبدأ الفني في رش مُركب «اللومينول» في المطبخ. تضيء أرضية المطبخ بالقرب من النوافذ الخلفية وتظهر مسارًا من هناك إلى الحوض على الجانب الآخر من الغرفة.

يعطي الفني نظرة ذات مغزى للمحققين.

يسأل «بول»:

ـ ما هذا؟

يقول «ويب»:

ـ تظهر المنطقة المضاءة وجود دماء. حتى لو نُظفت وأصبحت غير مرئية للعين.

ينظر إلى الزوجين الواقفين عند حافة المطبخ. «ويب» لا يعرف من يبدو أسوأ. تبدو «أوليفيا شارب» على وشك الإغماء. «بول شارب» يقف ساكنًا تمامًا، يحدق في الأرضية، وجهه مثقل بعدم الفهم والصدمة.
بعد ذلك يرش الفني المنطقة المحيطة بالحوض وتضيء، كذلك. لكن بينما يمضون في عملهم، أكبر منطقة غُسلت من الدم ـ على الأقل بالنسبة إلى العين البشرية ـ هي خلفية المطبخ فوق الأرض أمام النوافذ المواجهة للبحيرة. هناك دلائل على وجود بقع دم نُظفت من على الجدران وحتى السقف. يتلاشى الإشعاع الضوئي بعد لحظات قليلة، لكنهم جميعهم رأوه.

بمساعدة المادة الكيميائية، أصبح من الواضح أن «أماندا بيرس» ـ أو شخصًا ما ـ تعرض للهجوم في المطبخ بالقرب من النوافذ الخلفية، وأن شيئًا، ربما يكون سلاحًا، حُمِل من حيث وقع الهجوم إلى حوض المطبخ. يشير دليل بقع الدم المتناثرة في شكل قوس على الجدران

المجاورة والسقف إلى أنها تعرضت للضرب بعنف وبشكل متكرر بشيء صلب. المطرقة المفقودة.

يخطو «ويب» إلى الأمام ويقول لـ«بول شارب»:

ـ أنت رهن الاعتقال في جريمة قتل «أماندا بيرس». لك الحق في التزام الصمت. أي شيء تقوله يمكن أن يستخدم ضدك في ساحة القضاء. لك الحق في التحدث إلى محامٍ، وفي حضور محامٍ أثناء أي استجواب. إن كنت لا تستطيع تحمل تكاليف محامٍ، فسيُجرى تعيين محامٍ لك على نفقة الحكومة. هل تفهم هذه الحقوق؟

تهوي «أوليفيا شارب» على الأرض قبل أن يتمكن أي شخص من الإمساك بها. ❝

❞ ٣٠

«أوليفيا» مشوشة إلى درجة أنها بالكاد تستطيع التحرك. تتذكر بالكاد طريق العودة إلى المدينة. ذهب زوجها في سيارة الشرطة ـ مكبلًا ـ في طريقه إلى مركز الشرطة. تجلس في خلفية سيارة المحققين، عقلها مشلول، «ويب» يقود، بينما «موين» تقود سيارة

الزوجين «شارب» عائدين إلى مركز الشرطة وتركوا فريق الطب الشرعي خلفهم لإنهاء معالجة مسرح الجريمة.

الآن تجلس في المركز، تنتظر أن يخرج أحد ويخبرها بما يحدث، وما سيحدث بعد ذلك. لم تستطع حمل نفسها على مقابلة عيني «بول» عندما قُبض عليه. تحتفظ بمشهد المنطقة المضاءة حيث الدماء في كوخهما. عليها التصدي للعصارة التي ترتفع في حلقها. تلك البقع كانت هناك، لكنها غير مرئية، منذ مقتل «أماندا». وقفت «أوليفيا» فوقها منذ عطلتين أسبوعيتين، آخر مرة كانا فيها بالكوخ، تفكر في أن كل شيء على ما يرام. آخر عطلة أسبوعية عادية. العطلة الأسبوعية السابقة لاكتشافها أن «رالي» يقتحم الأماكن. العطلة الأسبوعية السابقة للعثور على جثة «أماندا». لكن لم يكن هناك أي شيء على ما يرام على الإطلاق. حدثت هذه الأشياء بالفعل، وكانت ببساطة غير مدركة لها. يبدو وكأنه عمر مضى. فزعت من جهلها الهائل. لم يكن لديها أي فكرة عن أن الجريمة وقعت حيث تقف. لا يمكنها إبعاد هذا من عقلها، لا يمكنها التوقف عن رؤيته، الصورة المضاءة على الأرض، دليل بقع الدم المتناثرة على الحائط وحتى السقف. تفكر في مطرقتهم المفقودة... ثقيلة ومعروفة، مقبضها الخشبي القديم المطلي بطبقات من الطلاء الأبيض. هل عرفت «أماندا» أنها كانت على وشك الموت؟ لا بد أنها صرخت. هناك، لا يمكن لأحد أن يسمعها. تتخيل «أوليفيا» المطرقة وهي تهبط فوق المرأة التي لا تعرف وجهها إلا بشكل عرضي، ومن تلك الصورة

الوحيدة التي يستمرون في عرضها على الإنترنت. عندما تغلق «أوليفيا» عينيها، ترى المسار المؤدي من حيث قُتلت إلى حوض المطبخ. حوض مطبخها، حيث كانت تغسل الأطباق منذ أسبوعين، بينما يقف «بول» بجانبها ويقوم بالتجفيف، ويثرثر ثرثرة من لا يجدون ما يفعلونه، وهو يعلم طوال الوقت بما حدث هناك في الأسبوع السابق، ماذا فعل. تفكر في أنه قام بتنظيف كل هذا.

تتذكر وجه «بول»، شاحبًا مثل الطباشير، وهم يأخذونه بعيدًا. وقال لها: «لم أفعل هذا يا «أوليفيا»! يجب أن تصدقيني!».

تريد أن تصدقه. لكن كيف يمكنها أن تصدقه؟

بماذا ستخبر «رالي»؟

تحتاج إلى التواليت فجأة، لكن ليس هناك وقت... تتقيأ في حضنها، وعلى المقعد، والأرضية.

* * *

يقف المحقق «ويب» خارج باب غرفة الاستجواب. «موين» بالفعل هناك، مع «بول شارب». «ويب» متعب، ويأخذ لحظة لكي يحضر نفسه ذهنيًّا. ثم يفتح الباب.

«شارب» منهار في المقعد ويداه مكبلتان على الطاولة أمامه. يبدو في حالة مزرية. عيناه دامعتان، كما لو أنه يحاول ألا يبكي.

يفكر «ويب»، ماذا توقع؟ لماذا يفكران دائمًا أن بإمكانهم الإفلات بفعلتهم؟ يتذكر كيف كان يبدو «شارب» في البداية. أنكر معرفته بـ«أماندا بيرس». بعد ذلك اعترف بأنه كان معها في سيارتها، لكن فقط بعد أن أخبراه أنه شوهد. القصة التي تخص «لاري هاريس»... لها شكل الصواب لأنها كانت حقيقة، وفيما بعد أثبتوا أن «لاري» كان يعاشر «أماندا». لكن لماذا كان «يحذرها أن تبتعد عن «لاري»»، كما ادعى؟ ربما لم يكن ذلك لأنه يحاول حماية صديق، ربما لأنه كان غيورًا. ربما كان يقيم علاقة مع «أماندا». تشاجر معها تلك الليلة، قبل أكثر من أسبوع من اختفائها. ماذا حدث ليلة الجمعة هذه؟ لم يتمكنوا من إثبات أنه كان في منزل عمته. كان بإمكانه أن يذهب إلى الكوخ. كان بإمكانه مقابلة «أماندا» هناك، وقتْلها بالمطرقة المفقودة، ورمْي سلاح الجريمة في البحيرة. كان بإمكانه قيادة سيارتها إلى ذلك المكان حيث البحيرة المجاورة ويغرقها ويعود ماشيًا إلى سيارته عند الكوخ. يمكن أن تستغرق التمشية ما يزيد على الساعة بقليل. كان بإمكانه عمل هذا. لا يعرفون الوقت الذي وصل فيه إلى البيت تلك الليلة.

يجلس «ويب» في مواجهة «شارب» وينظر إليه للحظة. يقول:

ـ أنت في مشكلة كبيرة.

يرفع «شارب» عينيه إليه ويعطيه نظرة خوف محض.

يقول «شارب»:

ـ أريد محاميًا. لن أتكلم معك إلا في حضور محامٍ.

يقول «ويب»، وهو يقف مرة أخرى:

ـ حسنًا.

لم يتوقع شيئًا آخر.

* * *

تسمع «جليندا» الرنة، تنظر، ترى رسالة نصية على هاتفها الخلوي.

أنا في مركز الشرطة. رجاء تعالي.

إنها من «أوليفيا».

ماذا تفعل «أوليفيا» في مركز الشرطة؟ «جليندا» لا تخبر «آدم»، العائد للتوِّ من المدرسة، إلى أين هي ذاهبة، فقط أنها ذاهبة لرؤية «أوليفيا».

تركن السيارة وتهرول إلى داخل مركز الشرطة. تسأل عن «أوليفيا»، وتُوجه إلى منطقة انتظار صغيرة. تهاجمها رائحة القيء وترى على الفور أن «أوليفيا» قد تقيأت، لكن شخصًا ما حاول تنظيفها.

ـ «أوليفيا» يا إلهي، ما الخطب؟ ماذا حدث؟

تبدأ «أوليفيا» في إخبارها، باكية، و«جليندا» تستخلص الموضوع، تشعر بأن جسدها يزداد برودة شيئًا فشيئًا بينما تلملم الأجزاء من قصة «أوليفيا» الباكية. أسوأ خبر محتمل. إنها مصدومة. «بول» معتقل في جريمة قتل «أماندا بيرس». عُثر على دليل للدماء في الكوخ. دفنت «أوليفيا» وجهها في كتف «جليندا»، و«جليندا» ممتنة لذلك في تلك اللحظة، على الأقل، لا يمكن لـ«أوليفيا» رؤية تعبيرها المروع. يجب أن تتمالك «جليندا» نفسها، فـ«أوليفيا» تحتاج إليها.

أخيرًا، تبعد «أوليفيا» برفق، حتى تتمكن من النظر إليها. تقول:

ـ «أوليفيا»، سأساعدك على تجاوز هذا.

تنظر «أوليفيا» إليها وكأنها الشيء الوحيد الذي يجعلها تتماسك.

ـ حسنًا.

تومئ «أوليفيا» بلا كلمة.

ـ تحتاجين إلى توفير محامٍ لـ«بول». أفضل محامٍ يمكننا الحصول عليه.

تومئ «أوليفيا» مرة أخرى، بشكل مشتت تقريبًا، وتهمس:

ـ بماذا سأخبر «رالي»؟

تفكر «جليندا»، لا أعلم. لا يمكنهما إخفاء الأمر عنه. تقول:

ـ سنجد حلًّا. سوف نخبره معًا. تعالي، هيا لأصحبك إلى البيت.

تقول «أوليفيا»:

ـ انتظري.

ـ ماذا؟

تنظر «أوليفيا» إليها بيأس وتخفض صوتها إلى حد الهمس:

ـ هل أخبر «رالي» أنه لم يفعل هذا؟

«جليندا» لا تعرف بماذا تجيب. في النهاية تقول:

ـ ماذا قال «بول»؟

تتجنب «أوليفيا» النظر إليها.

ـ قال إنه لم يفعل.

تقول «جليندا»:

ـ إذن هذا ما ستخبرين «رالي» به.

تضع «أوليفيا» في سيارتها وتقود إلى منزل «أوليفيا». يمكن لسيارة «بول» أن تمضي الليل هناك... ستعود إليها في الصباح. منظر المنزل المألوف بينما يتوقفان يُشعر «جليندا» بخيبة الأمل.

إنها تخشى ما سيحدث. لكنها ستدعم «أوليفيا»، مهما حدث. لا يهم كم سيسوء الأمر. لهذا يوجد الأصدقاء.

* * *

تفكر «أوليفيا» بخفوت، لا بد أن «رالي» يتساءل أين كانا طوال اليوم. أرسلت له رسالة نصية بطريقة ما من مركز الشرطة، تخبره أنها ستكون بالمنزل في غضون وقت قصير. لا تعرف «أوليفيا» من أين تجد الشجاعة لكي تخبره. كيف تخبر ابنها أن أباه مقبوض عليه في جريمة قتل؟

ترغب في تصديق أن هذا خطأ فظيع. الشرطة ترتكب أخطاء طوال الوقت. لكن حينها تتذكر بقع الدم. لا يمكنها نسيانها.

عندما تفتح الباب، تسمع خطوات «رالي» يسرع هابطًا السلالم لتحيتها. يبهت وجهه عندما يراها ويرى «جليندا»؛ يمكنه معرفة أن هناك شيئًا خاطئًا.

يسأل:

ـ أمي، أين كنتِ؟

تريد «أوليفيا» حمايته. لكنها لا تستطيع حمايته من هذا. الكل سيعرف. لا يمكنها إخفاء ذلك عنه. حياة ابنها ستتمزق إلى أشلاء في الدقائق القليلة القادمة. تحاولين بكل جد أن تفعلي كل شيء بالطريقة الصحيحة، لكن بعد ذلك...

تشعر فجأة بتعب شديد إلى درجة أنها بالكاد يمكنها الوقوف.

تقول «جليندا»، وهي تقود «أوليفيا» إلى غرفة معيشتها. تقودها ممسكة بمرفقها حتى تنهار على الأريكة:

ـ لنجلس.

يسأل «رالي»، بصوت غليظ:

ـ ما الخطب؟ أين أبي؟

تقول «أوليفيا» أخيرًا، محاولة كبت نشيجها:

ـ أبوك في مركز الشرطة.

ينظر إليها عاجزًا عن الفهم والتفكير. لكن بعد ذلك يبدو أنه فهم، يمكنها رؤية هذا في وجهه، بزوغ الخوف.

تقول:

ـ قُبض عليه.

يسأل «رالي»:

ـ ماذا؟ من أجل ماذا؟

تقول «أوليفيا»، وصوتها متقطع:

ـ من أجل مقتل «أماندا بيرس».

يسود صمت صادم.

يحتج «رالي» بعد لحظة:

ـ هذا جنون! لماذا؟ لماذا قبضوا عليه؟

هذا صعب جدًّا. عليها أن تخبره.

ـ فتشوا كوخنا اليوم. ووجدوا... دليلًا.

يطالب «رالي»، وجهه يتلون بالعاطفة:

ـ أي دليل؟ أبي لم يقتلها! هو لا يعرفها حقًّا، أليس كذلك؟ هو رأى شيئًا فقط، كان يحمي شخصًا ما، هذا كل شيء. هذا ما قاله.

يؤلمها أن تنظر إلى ابنها، وهو يواجه صعوبة في فهم هذا الأمر. يبدو هذا قاسيًا جدًّا، ما يجب أن تخبره به الآن.

ـ وجدوا بعض بقع الدم في الكوخ. سيجرون بعض الاختبارات ويعرفون إن كان دم «أماندا بيرس».

صوتها هامس حاد.

يقول «رالي» بيأس:

ـ كيف يمكن أن يقبضوا عليه إذا لم يعرفوا حتى إن كان دمها؟ لا بد أن لديهم شيئًا آخر.

ـ مطرقتنا مفقودة.

يسود صمت طويل آخر. أخيرًا تقول «أوليفيا»:

ـ أبوك أخبرهم أنه لم يفعلها.

ـ بالطبع لم يفعلها!

الدموع بعينيه.

تقول، وجسدها ضعيف:

ـ الشرطة تريدنا جميعًا... «كيث» و«آدم»، أيضًا... أن نعطي بصماتنا غدًا لأننا ذهبنا جميعًا إلى الكوخ. يريدون أن يعرفوا ما إذا كانت ثمة بصمات أخرى هناك لا يمكنهم تفسيرها.

* * *

«أوليفيا» مستلقية على الفراش، جامدة، عيناها مفتوحتان عن آخرهما، تحدقان في السقف بلا رؤية، تفكر في زوجها بداخل الزنزانة. «جليندا» في الغرفة المجاورة، تبقى هنا لتقديم الدعم. جعلت «أوليفيا» تستحم، وألقت ملابسها المتسخة وكريهة الرائحة في الغسالة، وأعدت للجميع حساء وخبزًا محمصًا لم يؤكل في الغالب.

تنظر «أوليفيا» إلى الساعة الرقمية فوق الطاولة بجوارها. إنها ٣:٣١ صباحًا. عقلها يدور في دوائر، حلقة لا نهاية لها من الرعب والذهول. اتصل «بول» من العمل ذلك اليوم، قائلًا إنه ذاهب لرؤية عمته. هل كان يكذب؟ لم تُعر الأمر اهتمامًا حينها، شاهدت فيلمًا بمفردها في تلك الليلة... اختارت شيئًا عرفت أنه غير مهتم برؤيته. تسلله في وقت متأخر، بعد أن نامت بالفعل... ليس لديها أي فكرة عن التوقيت الذي عاد فيه. هذا ما تفعله الثقة. لا تلاحظين هذه الأشياء، لا يساورك الشك حيالها، لأنك تعتقدين أنه ليس لديك مبرر لفعل هذا. الآن تتمنى لو كانت أقل ثقة، تتمنى لو أنها انتبهت.

ماذا كان يرتدي عندما عاد إلى المنزل؟ ليست لديها فكرة، لأنها كانت نائمة. هل كان لا يزال بملابس المكتب؟ بالتأكيد لم تلحظ أي شيء مثل بقع الدم فوق ملابسه في اليوم التالي... كان يجب أن تلاحظ ذلك، وتتذكر، لا يهم مقدار ثقتها. لو أنه قتل «أماندا»، لا بد أنه تخلص من ملابسه بطريقة ما.

تنهض، تضيء مصباح الطاولة بجانبها، تبدأ في البحث في خزانته، وتنبش في خزانة أدراجه. يبدو أن جميع بذلاته محسوبة. لكن «بول» لديه ملابس كثيرة، خاصة الجينز القديم والتيشيرتات. لا يمكنها التفكير في شيء غير موجود هنا. هو يحتفظ بملابس في الكوخ، كذلك. ربما يكون هناك شيء مفقود، وهي لا تعرف بالضرورة.

لا بد أنه كان يعاشر «أماندا». تتذكر أنها كانت تشاهد جميع الرجال يتوددون إليها في الحفلة بالحديقة. حصل بعض الجيران على تصريح بالشواء. تشاركوا بعشرين دولارًا لكل عائلة مقابل الهوت دوج والهامبرجر والصودا والبيرة، ومعظمهم أحضروا سلطة أو نوعًا ما من الأطباق. كانت هناك القلعة النطاطة للأطفال الصغار وبعض البالونات، لكن معظم المراهقين لم يكلفوا أنفسهم عناء الظهور. كانت «أوليفيا» ترتب موزعات الكاتشب والخردل، وتلقي في بعض الأحيان نظرة على نصف دائرة من الأشخاص يتحدثون ويضحكون على الكراسي البلاستيكية البيضاء المجهزة لهذه المناسبة. راقبت المرأة الجديدة، «أماندا»، التي انتقلت مؤخرًا إلى شارعهم. كانت فائقة الجمال بلا شك ومدركة لذلك بشكل كامل. لماذا كانت تبذل جهدًا لمغازلة أزواجهن الأكبر سنًّا؟ لديها زوج مثير يجلس بجانبها.

لم تحبها أي سيدة.

نهضت «جليندا» ووقفت إلى جانب «أوليفيا»، بعد أن نظرت إليها، وهي تراقب في ذهول واضح بينما تركت «أماندا» يدها ـ بأظافرها الطويلة والحمراء ـ ترتاح على ساعد «كيث». قالت «جليندا»:

ـ من تظن نفسها بحق الجحيم؟

جاءت «بيكي» على الجانب الآخر من «أوليفيا»، ووقف ثلاثتهن يراقبن أزواجهن، مأسورين بوضوح لهذه المرأة الجديدة.

بالعودة إلى الحاضر، تعتقد «أوليفيا» أنه كان ينبغي أن يكن جميعهن أكثر حذرًا. ربما كانت حاسة «بيكي» محقة بعد كل شيء، وأصبح «بول» و«أماندا» عشيقين. هل تقابلا في الكوخ ليلًا؟ هل قتلها «بول» بمطرقتهم حتى الموت؟ وبعد ذلك وضع جثتها في صندوق سيارتها وأغرق سيارتها؟ وبعد ذلك غسل كل شيء وعاد إلى المنزل وتصرف كأن شيئًا لم يحدث؟ ما هو التفسير المحتمل الآخر؟

تنهض «أوليفيا» من الفراش وتخطو إلى الصالة بهدوء، متجاوزة الغرفة الاحتياطية، حريصة على عدم إيقاظ «جليندا»، التي يمكنها سماع شخيرها بخفة من الباب المفتوح جزئيًّا. تصل غرفة نوم ابنها وتدفع بابه جزئيًّا بهدوء. تشاهده نائمًا، غير مدرك لها تمامًا. في الوقت الحالي على الأقل، ينعم بالهدوء.

تقترب أكثر وتنظر إليه، وجهه الشاب شديد النحول، يتغير باستمرار هذه الأيام. تنمو لديه شوارب. إنه وجه تعشقه. يمكن أن تفعل أي شيء لحمايته. ترغب في أن تجلس فوق السرير بجانبه وتداعب شعره، بالطريقة التي اعتادت عليها عندما كان صغيرًا. لكن «رالي» لم يعد يريد أمه أن تداعب شعره، ليس كما كان صغيرًا جدًّا. لم يعد يريد أحضانها وقبلاتها، فهو بالغ تقريبًا. ويخفي أشياء

عنها... لم يفعل ذلك قَطُّ عندما كان صغيرًا. كان يخبرها بكل شيء. لكنه الآن له أسراره. يخفي «رالي» أشياء عنها. مثل أبيه. كلاهما له أسرار.

❝ هي الوحيدة بالمنزل التي ليس لديها ما تخفيه. ❞

٣١

تقف «بيكي هاريس» تحدق في جريدة الصباح بين يديها. يبرز العنوان الرئيسي بخط كبير:

اعتقال في جريمة قتل «أماندا بيرس»

أول فكرة تراءت لها، قبضوا على «روبرت». تشعر براحة كبيرة. وبعد ذلك، بينما تقرأ، آه لا.

لا يمكنها أن تصدق. تفكر في «أوليفيا». يمكنها تخيل ما تمر به لأن «بيكي» تخيلت نفسها تمر تمامًا بالشيء نفسه.

تأخذ الجريدة وتدخل المطبخ. هي بمفردها في المنزل، «لاري» خرج بالفعل إلى العمل.

يبدو الدليل ـ كما يكشف المقال ـ دامغًا. العثور على دماء في كوخ أسرة «شارب»، الذي يُعتقد الآن أنه مسرح جريمة القتل. مطرقة مفقودة، سلاح الجريمة المحتمل، لم يُكتشف بعد. وقد عُثر على السيارة مع جثتها على مسافة ليست ببعيدة من هناك، على طريق مألوف بالنسبة إلى «بول شارب».

مذهولة ومتشككة، تفكر «بيكي» في ذلك الوقت الذي رأت فيه «بول» مع «أماندا» في سيارتها. هل كانت محقة؟ هل كانا عشيقين بعد كل شيء؟ هل كان غيورًا من علاقتها مع «لاري»؟ ربما هذا هو سبب أنه أخبرها بأن تنفصل عن «لاري»، بدلًا من أي قلق إيثاري بشأن وقوع «لاري» في مشكلات بالعمل.

لم تفكر بأن «بول» قادر على إلحاق الأذى بأي أحد. لكنها لم تفكر في ذلك أيضًا بالنسبة إلى «لاري». تتخيل كيف وقع الأمر. تشاجرا في كوخه وضربها. ربما كانت المطرقة بالجوار، وتصرف باندفاع. محتمل أنه فزع مما قام به، محتمل أنه ندم عليه في الحال. لكن بعد ذلك... تستر على الأمر. وضع جثتها في صندوق السيارة وأغرقها. كيف كانت الحياة معه منذ أن وقع هذا؟ خاصة منذ اكتشاف الجثة. لا بد أنها كانت جحيمًا مستعرًا.

ستُعقد محاكمة. سيتحتم على «لاري» أن يشهد بشأن علاقته مع «أماندا»... لقاءاته الدنيئة معها في ذلك الفندق البشع. فكرة أن يكون كل هذا على الملأ تصيبها بالإعياء. كم سيكون هذا مروعًا لها وللطفلين.

لكنه سيكون أسوأ بكثير بالنسبة إلى «أوليفيا» و«رالي».

تعيد قراءة مقال الجريدة. تبدو الأمور سيئة جدًّا بالنسبة إلى «بول». لكن على الأقل هي تعرف الآن أن زوجها، على الرغم من كل الإخفاقات، لم يقتل «أماندا بيرس». لم تكن متأكدة حقًّا.

* * *

صُدمت «كارمن تورس» بما قرأته في الجريدة صباح يوم الثلاثاء. قبضوا على «بول شارب» في جريمة قتل «أماندا بيرس».

تفكر في المرأة المسكينة التي تكلمت معها عند الباب ـ زوجة «بول شارب» ـ وكم كانت تبدو مضطربة ذلك اليوم. ربما كانت تعرف. ربما لم يكن ابنها فقط الذي قلقت عليه.

* * *

استعان «بول شارب» بمحامٍ، لكن ما زال «ويب» يأمل أن يحصلا على شيء منه عندما يستجوبانه هذا الصباح، مع وجود محاميه إلى جانبه. لم يكن محاميه متاحًا الليلة الماضية، لكن الآن قضى «بول شارب» ليلة في زنزانة يفكر في موقفه، ربما سيكون أكثر تعاونًا.

بينما يدخل الغرفة، يرى «شارب» جالسًا، لم يعد مكبلًا. بجوار محاميه. يبدو كأنه لم ينم على الإطلاق. لا بد أن الدم تجمد في عروقه. جيد. ربما يكون جاهزًا لأن يتكلم.

الجالس بجوار شارب هو «إميليو جالو»، محامٍ جنائي معروف من شركة محترمة. تعامل «ويب» معه من قبل. إنه جيد. عالي التكلفة. «جالو» لا يتوقف عند أي شيء في مساعدة الموكل، ما دام أنه قانوني. بذلته الداكنة حسنة التصميم وقميصه المكوي وربطة عنقه الحريرية الأنيقة تتناقض بوضوح مع الجينز المجعد والقميص المتكرمش لموكله. «شارب» متعب ومتسخ ويمكن لـ«ويب» أن يشم رائحة العرق والخوف المنبعثة منه. «جالو» مستريح جيدًا ومهندم جيدًا، وتنبعث منه رائحة خفيفة من عطر ما بعد الحلاقة باهظ الثمن.

يجلس «ويب» و«موين». يُشغل المسجل. يوجه «ويب»:

ـ رجاء اذكر اسمك من أجل التسجيل.

يقول، بصوت مرتعش:

ـ «بول شارب».

يبدأ «ويب»:

ـ يوجد أيضًا «إميليو جالو»، محامي «بول شارب»، والمحقق «ويب» والمحققة «موين» من شرطة «أيلسفورد».

لا يتلاعب بالألفاظ. يقول وينظر مباشرة إلى «جالو»:

ـ سيواجه موكلك تهمة القتل.

يقول «جالو» باعتدال:

ـ حظًّا سعيدًا. موكلي لم يرتكب الجريمة.

يحول «ويب» نظره إلى «بول شارب». ينتظر حتى ينظر إليه «شارب» أخيرًا.

ـ أريد أن أسمع ذلك منه.

يقول «شارب»:

ـ لم أرتكب الجريمة.

يقول «ويب»:

ـ الأدلة ضدك مقنعة للغاية.

يتصدى المحامي:

ـ كلها استنتاجية. مطرقة مفقودة؟ دم فوق الأرض؟ لم تثبتا حتى أنه دم القتيلة.

يقول «ويب»:

ـ عندما نفعل، ربما ترى الأمور مختلفة.

يرد «جالو»:

ـ لا أعتقد هذا. أي شخص بإمكانه أن يدخل هذا الكوخ. أي شخص بإمكانه أن يجد المطرقة في المستودع ويستخدمها. ليس لديك شيء

ضد موكلي باستثناء أنه لم يكن في المنزل تلك الليلة. ولديه تفسير منطقي تمامًا لمكان وجوده.

يقول «ويب»:

ـ لا يمكنه الإثبات. شوهد يتشاجر مع الضحية قبل اختفائها.

يقول المحامي بسلاسة:

ـ ولديه تفسير جيد جدًّا لذلك، أيضًا.

ـ ربما نحن لا نصدقه.

يقول «جالو»:
ـ لا يهم ما تصدقه. المهم هو ما سيُعتد به في المحكمة.

الآن يميل المحامي مقتربًا قليلًا ويقول:

ـ أعتقد أن كلينا يعلم أنك ستمر بوقت صعب للحصول على الإدانة. هناك مشتبهان واضحان آخران في هذه القضية... الزوج، الذي من المحتمل أنه قد كان على علم بخيانة زوجته، وعشيقها. أعلم أنه كان هناك عشيق. موكلي ينكر إقامة أي نوع من العلاقات

مع الضحية. كثير من الشك المنطقي، من وجهة نظري. لن تثبت أبدًا على موقفك.

يسند «ويب» ظهره في مقعده، ويرفع ذقنه باتجاه «بول شارب»، ويقول:

ـ قُتلت في كوخه.

ـ ويمكن لأي أحد أن يقتلها هناك.

يقف المحامي في إشارة إلى أن الاستجواب انتهى.

ـ عليك إما اتهام موكلي أو إطلاق سراحه.

يوقف «ويب» المسجل.

يقول «ويب»:

ـ يمكننا أن نبقيه لفترة أطول قليلًا.

بعد أن أُعيد «شارب» إلى زنزانته وغادر محاميه، تقول «موين» لـ«ويب»:

ـ مع تولي «جالو» تمثيله، لن ينهار أبدًا ويعترف.

يقول «ويب»:

ـ إذن علينا تجميع الأدلة التي تدينه. لدينا عمل لنقوم به.

* * *

تنظر «أوليفيا» إلى زوجها. يجلس في مواجهتها في غرفة صغيرة بمركز الشرطة. هناك حارس بالجوار. تحدق فيه بملابسه الفوضوية التي نام مرتديًا إياها. بالكاد يمكنها التعرف عليه كزوج لها. هل هو، أم أنه شخص آخر تمامًا؟ لم تعد تثق بحكمها، بأحاسيسها.

يقول «بول»:

ـ «جالو» يعتقد أنه قد يكون قادرًا على إخراجي من هنا.

لا تستطيع الكلام.

يطالب «بول»:

ـ «أوليفيا»... قولي شيئًا.

إنه ذاهل. عيناه محتقنتان بالدماء، وبالفعل تنبعث منه... رائحة الزنزانة والخوف واليأس. لا يمكنها التوقف عن التحديق فيه. يبدو مختلفًا. يبدو بالفعل أشبه بمسجون عن كونه زوجها قبل أسبوع، وهو ذاهب إلى العمل في قميص مكوي، وبذلة أنيقة. العالم يميل بأكمله، لا يمكنها إيجاد اتزانها.

تقول أخيرًا:

ـ ماذا قال؟

ـ قال ستكون لديهم صعوبة في الحصول على دليل إدانة.

يبدو يائسًا ومتفائلًا في الوقت نفسه. رجل غارق يبحث عن طوق النجاة. هل تمد ذراعها وتنقذه، أم تدفعه بعيدًا؟ تسأل:

ـ لماذا قال هذا؟

تشعر كأنها إنسان آلي وتبدو كذلك. تفكر، لا بد أنه مخطئ. لم يخبر وكيله مثل هذه الكذبة الجلية؟ في مكان وسط أفكارها اللاواعية، تعتقد أيضًا أن هذا سيكلفهما ثروة. ربما كل ما يملكانه.

تفكر، لو فعل ذلك، فقد يكون من الأفضل للجميع أن يعترف وحسب ويقر أنه مذنب.

يقول «بول»:

ـ نعرف أنني لم أقتلها. وهو ما يعني أن هناك شخصًا آخر قتلها.

تنظر إليه، تريد أن تصدقه. تفضل أن يكون متهمًا بالخطأ، أن تعلم من صميم قلبها أنه بريء، وتقف بجانبه وتقاتل بأسنانها وأظافرها لكي تحل هذه المشكلة. لكنها غير واثقة. تحتاج إلى أن تقتنع. تريد أن تكون مقتنعة. تريد أن تصدقه.

تسأل، وتتجرأ على أن تأمل بأن يكون لديه خبر جيد:

ـ ماذا قال «جالو»، بالضبط؟

ـ قال إن هناك آخرين، مشتبهين مرجحين... زوجها، و«لاري» الذي يحتمل أنه كان على علاقة غرامية بها. إنهم بحاجة إلى تقديم برهان قاطع لا شك فيه، وهناك مجال كبير للشك.

كانت تأمل في شيء أكثر حسمًا. شيء يبرئ زوجها، يبرئه نهائيًّا. لا تريده أن ينجو من هذا ببساطة. لو فعلها ـ لو كان يضاجع تلك

المرأة، وقتلها في ثورة غضب، وتستر على الأمر ـ تريده أن يقضي باقي حياته في السجن. لن تسامحه أبدًا. لو فعلها، لا تريد رؤيته مرة أخرى أبدًا.

يقول «بول»:

ـ «جالو» قال إن أي أحد يستطيع استخدام كوخنا. أخذ مطرقتنا وقتلها وغسل كل شيء، ولن نعلم حتى.

تقول:

ـ لكن الكوخ كان موصدًا.

ـ شخص استطاع اقتحامه. أو وجد المفتاح المخبأ.

يخفض صوته الآن إلى همس وتعلو وجهه نظرة أخرى، نظرة توسل.

ـ يمكننا القول إننا تعرضنا لاقتحام من قبل، لكن ما دام لم يُسرق شيء لم نكلف أنفسنا عناء الإبلاغ عن ذلك.

تهمس له:

ـ هذه ستكون كذبة.

يقول بهدوء شديد:

ـ مجرد كذبة صغيرة. لم أرتكب الجريمة يا «أوليفيا». وحياتي على المحك.

تنظر إليه، تنمو مخاوفها، وتبدأ في هز رأسها.

ـ كلّا، لا يمكننا عمل ذلك. «رالي» سيعرف أنها كذبة.

ينزلق في مقعده وينظر في الطاولة، يُهزم فجأة.

ـ أجل، أنتِ على حق. انسي ذلك.

أخيرًا ينظر لأعلى، متعب بالكامل، ويقول بكآبة:

ـ كيف حال «رالي»؟

ـ ليس بخير. ليس بخير على الإطلاق.

لم يسأل عن حالها.

* * *

يقضي «روبرت بيرس» وقته في المطبخ. عندما التقط صحيفته من عتبته الأمامية هذا الصباح، كان بالفعل هناك حشد من المراسلين في الشارع أمام منزله. رأوه وبدأوا في الاندفاع نحوه. لكنه عاد بسرعة إلى الداخل وأغلق الباب بقوة. نظر في الصفحة الأولى من «أيلسفورد ريكورد».

بينما يقرأ، تكسو وجهه ابتسامة بطيئة. قاموا باعتقال. ولم يُعتقل هو.
وضعه الخبر في حالة مزاجية جيدة جدًّا. ربما سيكون قادرًا على الاسترخاء الآن. ربما يكون قادرًا على العودة إلى عمله. كان أمرًا مرهقًا، أن تأتي الشرطة باستمرار إلى بابه، دائمًا ينظرون له كما لو أن الأمر مجرد وقت حتى يخفق. لكنهم الآن اعتقلوا «بول شارب». كل الأنظار ستتجه إليه. يستطيع «روبرت» أن يبدأ حياته من جديد، ويرمي كل هذا وراء ظهره.

ينظر من النافذة ويرى أن المراسلين ما زالوا بالخارج. يعرف أنهم سينتظرون طوال اليوم حتى يحصلوا على تصريح منه. فهو من المشاهير. يصعد إلى غرفة نومه ويرتدي ملابسه بعناية. بنطال أنيق

وقميص رسمي. يمشط شعره، يعجب بنفسه في المرآة. بعد ذلك يهبط إلى أسفل ويفتح الباب الأمامي ويقف بالخارج.

تومض الكاميرات بشكل متكرر، يحافظ على تعبيره جديًّا بشكل مناسب. زوج مفجوع، ممتن أخيرًا لاعتقال قاتل زوجته. ❝

❞ ٣٢

يضع ضابط رأسه في باب مكتب «ويب» ويقول:

ـ أُخذت بصمات أسرة «شارب» وأسرة «نيويل» صباح اليوم يا سيدي. وظهر شيء مثير جدًّا للاهتمام.

ينظر «ويب» في التقرير. ماذا كان يفعل ابن «بول شارب» في منزل «أماندا بيرس» بحق الجحيم؟

* * *

تجلس «أوليفيا» في فراشها وتنظر إلى نفسها في مرآة الخزانة. إنها شاحبة. اتصل المحققان وطلبا رؤيتها مرة أخرى. طلبا منها إحضار «رالي»، أيضًا.

«رالي» في غرفته، حيث بقي في المنزل بدلًا من الذهاب إلى المدرسة. تقيم «جليندا» مع «أوليفيا» و«رالي»... لتبين للناس أنها تدعمهما. تشعر «أوليفيا» بحال أفضل بسبب وجود «جليندا» هنا. تتذكر كيف وقف أشخاص يراقبون خارج منزل «روبرت بيرس»، ليس من فترة بعيدة، يظنون أن «روبرت بيرس» قتل زوجته. والآن هناك أشخاص خارج منزلها، يظنون أن «بول» قاتل.

عندما تصل هي و«رالي» إلى المركز، تُوجَّه إلى غرفة الاستجواب، بينما يُطلب من «رالي» أن يجلس بالخارج. «ويب» و«موين» هناك في انتظارها. دخلت عليهما في منتصف الحديث، الذي قطعاه فجأة.

يقول «ويب»:

ـ السيدة «شارب»، شكرًا لحضورك. كما تعرفين، هذا الاستجواب محض تطوع، ويحق لك المغادرة في أي وقت.

يحضر «ويب» مياهًا لها وينظر إليها كما لو أنه متعاطف. يمكن أن يكون الرجال بهذه البذاءة.

فم «أوليفيا» جاف. تبتلع ريقها. لا شك أنه ليس هناك شيء تخبرهما به، بطريقة أو بأخرى. إنها لا تعلم أي شيء. لا شيء

سيحدث في هذا الاستجواب سوف يغير من أي شيء. يجب أن تخوضه وحسب.

يقول «ويب»:

ـ أظهرت نتائج المعمل أن الدم المعثور عليه في كوخك هو لـ«أماندا بيرس».

تشعر بالدوار بسبب الخبر، لكنها تتوقعه بالفعل. لمن غيرها ستكون الدماء؟ ينتظرها أن تقول أي شيء.

ـ لا أعرف شيئًا عن هذا.

يعنفها «ويب»:

ـ لا بد أنكِ فكرتِ في الأمر.

ـ أعتقد أن شخصًا آخر قتلها في كوخنا.

ـ من تعتقدين أن يكون؟

ـ لا أعلم.

تتوقف وتقول:

ـ محتمل يكون زوجها.

ـ ماذا كان يفعل زوجها في كوخكم؟

ـ لا أعلم.

ترغب «أوليفيا» في البكاء، لكنها لا تسمح بذلك. لا يمكنها أن تشرح. لا يمكنها أن تشرح أي شيء. لماذا لا يتركانها وشأنها؟ يعرفان أنهما حصلا عليه. لماذا يعذبانها بهذه الطريقة؟ لا يمكنها مساعدتهما. ألا يريان أنها تعاني بقدر كافٍ؟

يسأل «ويب»:

ـ هل هناك أي أحد لا نعرف عنه يمكنه الدخول إلى الكوخ؟

ـ كلَّا.

ـ هل زاركم «هاريس» من قبل؟

ـ كلَّا، على الإطلاق.

ـ هل أخبرتهما من قبل عن مكانه، تحديدًا؟

ـ كلَّا.

ـ أي شخص آخر؟

ـ كلَّا.

ـ حسنًا. شكرًا لكِ. هذا كل شيء في الوقت الراهن. نود التحدث مع ابنك. يمكنك البقاء إذا رغبتِ.

يُدخِلان «رالي». يبدو متوترًا وصغيرًا جدًّا. يجلس بجانبها وتحاول أن تعطيه نظرة ثقة. تريد أن تضع ذراعها حول كتفيه وتضمه، لكنها تتوقع ألا يجب هذا.

ـ «رالي»، أنا المحقق «ويب»، وهذه المحققة «موين». نود أن نسألك بعض الأسئلة. لو هذا يناسبك.

ينظر «رالي» إليه باضطراب.

ـ حسنًا.

ـ أتعرف يا «رالي»، وجدنا بصماتك في منزل «بيرس». هل يمكن أن تشرح هذا؟

تتجمد «أوليفيا» من هذه الضربة الثانية. يرمقها ابنها بنظرة ذعر. لا أحد منهما يقول أي شيء للحظة طويلة.

أخيرًا، يسأل «رالي»:

ـ هل أحتاج إلى محامٍ؟

يقول «ويب»:

ـ لا أعرف، هل تحتاج؟

يقول «رالي»، وصوته متقطع:

ـ أريد محاميًا.

يقول «ويب»، وهو ينهض من المقعد:

ـ حسنًا سأحضر لك محاميًا. ابقَ على وضعك.

* * *

يتشاور «رالي» مع محاميه، شاب اسمه «ديل أبوت»، وأمه بمعزل عن الآخرين، وقد اختاروا الخطوات التي يجب اتباعها. «رالي» متحجر. يُستكمل الاستجواب، «ويب» و«موين» على جانب من الطاولة، «رالي» ومحاميه وأمه على الجانب الآخر.

يقول «ويب»:

ـ إذن يا «رالي»، هل ستخبرنا ماذا كانت تفعل بصماتك في منزل «بيرس»؟

ينظر «رالي» إلى محاميه، الذي يومئ له، ويقول:

ـ تسللت إلى منزلهما.

ـ متى كان ذلك؟

ـ في مطلع شهر أكتوبر. لا أعلم بالتحديد.

ـ قبل اكتشاف جثة «أماندا بيرس»؟

ـ أجل.

ـ كيف دخلت؟

ـ عبر نافذة القبو. لم تكن مغلقة.

ـ ولماذا فعلت ذلك؟

سيحاول «رالي» ألا يعترف بالاختراق. الأمر كله متعلق بتحجيم الأضرار الآن.

ـ فقط... من أجل المرح.

ـ فهمت.

يسند «ويب» ظهره في مقعده، ينظر إلى المحامي.

ـ هذا اقتحام وتسلل يا «رالي».

يومئ.

ـ هل أخذت شيئًا؟

يهز «رالي» رأسه:

ـ كلَّا.

ـ ماذا كنت تفعل هناك؟

ـ مجرد... تطفل.

يومئ «ويب» باهتمام.

ـ تطفل. هل رأيت شيئًا مثيرًا؟

ينظر «رالي» إليه.

ـ ليس تمامًا.

يسأل «ويب»:

ـ هل رأيت هاتفًا خلويًّا في أي مكان؟

يومئ «رالي».

ـ أجل. داخل درج المكتب. هاتف من النوع سابق الدفع. لا بد أنكم عثرتم عليه عندما فتشتم المنزل.

ـ كلَّا، لم نعثر عليه.

ـ لم آخذه، أقسم لك!
ـ هل نظرت بداخل الهاتف يا «رالي»؟

ـ كلَّا، لم أكن مهتمًّا إلى هذه الدرجة.

ـ لا بأس إن كنت نظرت بداخله يا «رالي».

ـ لم أفعل.

يسند «ويب» ظهره مرة أخرى، كما لو أنه محبط.

ـ حسنًا.

بعد ذلك يقول:

ـ هل قتلت «أماندا بيرس»؟

ينكمش «رالي» من الصدمة.

ـ كلَّا! أنا دخلت منزلهما فقط، وتجولت به، وغادرت.

يحدق «ويب» فيه. أخيرًا يقول:

ـ أخشى أنه يجب علينا توجيه تهمة الاقتحام والتسلل إليك.

يسند «رالي» ظهره في مقعده. هذا مريح، حقًّا. لا يمكنه تصديق كم يكون هذا مريحًا. شعور جيد إلى درجة جعلته يبوح فجأة:

ـ اقتحمت منزلًا آخر، أيضًا. اثنان وثلاثون شارع «فينش».

لم يرغب في أن يقلق من «كارمن» بعد الآن. سيعترف بهذين المنزلين. لا يمكنهم إثبات وجوده في آخر منزل أدركه... لا بد أن الشرطة تعرف عنه بالفعل، لكنه كان يرتدي قفازات. لن يعترف بمزيد من المنازل غير التي اعترف بها.

* * *

تحضر «جليندا» وجبة خفيفة على العشاء. المعكرونة بالجبن. لكن ثلاثتهم يأكلون القليل. تراقب «جليندا» «أوليفيا» و«رالي» بقلق. ولا شهية لها أيضًا. كلاهما يجلس بهدوء في مكانه، ووجهاهما منهكان، وكل منهما تائه في جحيمه الخاص. لا أحد منهما قال شيئًا عما حدث في مركز الشرطة، وعلى الرغم من أن «جليندا» تتشوق لأن تعرف، لم ترغب في السؤال.

يقول «رالي»:

ـ أمي، ربما ينبغي أن تستلقي.

تقول «جليندا»:

ـ فكرة جيدة.

تبدو «أوليفيا» على وشك الانهيار.

ـ لم لا تسترخين في غرفة المعيشة؟ سأغسل الأطباق.

تضع بطانية حول «أوليفيا» فوق الأريكة وتنظر من النافذة إلى الشارع. رحل الجميع. تعتقد أنهم سيعودون غدًا. لطالما كانت جريمة القتل هي الخبر المهم.

تفكر بمرارة، لماذا انتقل «روبرت» و«أماندا بيرس» إلى هنا؟

تنام «أوليفيا» على الأريكة. أخيرًا، الساعة التاسعة تقريبًا، تقرر «جليندا» أن ترحل. لا يمكنها البقاء في منزل أسرة «شارب» إلى الأبد، «آدم» يحتاج إليها في المنزل. تكتب رسالة موجزة بأنها ستعود في الصباح، وتمشي إلى المنزل في الظلام، خطواتها لها صدى أجوف فوق الرصيف.

عندما تصل إلى البيت، يخبرها «آدم» أن الحليب والخبز نفدا لديهم.

تقول، من دون حتى أن تخلع معطفها:

ـ حسنًا، لماذا إذن لا تأتي معي للتسوق؟

يرتدي سترته ويخرج معها.

يسأل «آدم»، بقلق واضح:

ـ ما حالهما؟

تقول «جليندا»:

ـ سيكونان بخير. سيكون كل شيء على ما يرام.

لا تعرف ماذا تقول غير ذلك. يمشيان باقي الطريق في صمت.

يرن الجرس على الباب عند دخولهما متجر البقالة. «جليندا» مرهقة كليًّا وتريد أن تلتقط مستلزماتها وتذهب للبيت. وبينما تستدير مبتعدة عن الثلاجة مع حليبها، يتبعها «آدم»، ترى «كارمن» في الممر أمامها. اللعنة. قطعًا لا تريد التحدث إليها. إنها شخص فضولي، و«جليندا» ليست في مزاج يسمح بهذا. تكره الطريقة التي تحشر بها أنفها في كل مكان حول الاقتحامات، ومطاردتها لـ«أوليفيا». تتمنى أن تترك «رالي» وشأنه. وهي بلا شك لا تريد التحدث عن اعتقال «بول»... ستتكلم «كارمن» في كل هذا. تفكر «جليندا» في وضع الحليب بهدوء على الأرض وتخرج بسرعة. متأخر جدًّا... في تلك اللحظة، تدير «كارمن» رأسها وتراهما. ابتسامة تعرُّف تضيء وجهها. اللعنة.

تسأل «كارمن»، وهي تقترب منها:

ـ «جليندا»، أليس كذلك؟

تقول «جليندا»:

ـ أجل.

تشق طريقها بسرعة إلى مقدمة المتجر حيث مكان الخبز، متجنبة عينيها. لكنها تتبعها. تفكر «جليندا»، إنها ليست جيدة حقًّا في قراءة التلميحات الاجتماعية.

تضيف «كارمن»:

ـ مرحبًا، «آدم».

تلاحظ «جليندا» أن ابنها يحاول أيضًا تجنب «كارمن».

تقول «كارمن» لـ«آدم»:

ـ تعلم، أنت تذكرني بابني قليلًا. الشعر الداكن ذاته والعينان الداكنتان ذاتهما.

يبدو «آدم» كما لو أنه يتمنى أن يختفي، و«جليندا» تريد أن تخبر «كارمن» أن تغرب.

ـ كان ابني «لوك» صعب المراس قليلًا. اعتاد أن يتسبب في كل أنواع المشكلات. شرب الخمر، وأخذ سيارتي من دون إذن.

تحدق «جليندا» فيها.

لكن «كارمن» تركز عينيها على «آدم» وتقول:

ـ هل أخبرت أمك أنني رأيتك في تلك الليلة؟

تقول «جليندا»:

ـ ما الذي تتكلمين عنه؟

تقول «كارمن» كأنها فهمت التلميح أخيرًا:

ـ آه، لا شيء. لا عليكِ. ليلة سعيدة.

وتنتقل إلى ممر آخر.

تقتني «جليندا» مشترياتها، حريصة على أن تبتعد عن «كارمن».

* * *

في وقت متأخر من الليل، تمشي «أوليفيا» في الصالة المغطاة بالسجاد لكي تتفقد «رالي». تفتح الباب بهدوء. تقف هناك لحظة في الظلام، تفحص السرير. بعد ذلك، بانزعاج، تضيء المصباح. ابنها ليس هناك.

تسرع ضربات قلبها وتبتعد عن غرفته وتنزل بهدوء وببطء إلى الطابق السفلي. المطبخ والحمَّام وغرفة الأنشطة مظلمة. ليس هناك أيضًا، ربما يكون جالسًا بمفرده، يفكر في الظلام... تضيء المصابيح لتتأكد. تعود إلى المطبخ وتفتح الباب إلى المرآب المجاور. دراجة «رالي» موجودة في مكانها، خوذته تتدلى من الدراجة.

تعود إلى الطابق العلوي وتأخذ طريقها بهدوء إلى الغرفة الوحيدة التي لم تتفقدها... المكتب في نهاية الصالة. الغرفة مظلمة بالكامل، باستثناء شعاع بسيط ينبعث من الحاسوب. إنه حاسوب زوجها، و«رالي» منهمك في محتوياته. تقول:

ـ «رالي»، ماذا تفعل؟ ❝

يصل «ويب» مبكرًا جدًّا إلى المركز صباح اليوم التالي، بعد نوم سيئ بالليل. يأخذ قهوة ويتوجه إلى مكتبه ثم يجلس في مقعده مسترخيًا، يحدق في الحائط المقابل، عقله مشغول.

لا يمكنهما إبقاء «بول شارب» في الحبس الاحتياطي مدة أطول قبل أن يوجه له المدعي العام تهمة أو يطلق سراحه. دم «أماندا بيرس» في كوخه. مطرقته مفقودة. شوهد «شارب» يتشاجر مع الضحية قبل اختفائها بفترة قصيرة، لكن قصته بأنه كان يحذرها لأن تنفصل عن «لاري هاريس» لها معقولية مؤكدة... يعرفان أن «لاري» كان يعاشرها.

تقول «أوليفيا شارب» إن «لاري هاريس» لم يذهب إلى كوخها من قبل قَطُّ. هل يُحتمل أنها مخطئة؟ هل يمكن أن يكون «هاريس» رتب لمقابلة «أماندا» في كوخ أسرة «شارب» تلك العطلة، بينما كان في المؤتمر؟ ربما قتلها. ركن سيارته في الموقف الخارجي بالمنتجع واختلق قصة أنه كان يعمل وغلبه النوم. يبدو أنه لم يهتم أي أحد بأنه فوت أغلب حفل الاستقبال... حتى تورط في تحقيقات جريمة قتل. الشيء الوحيد الذي غير مجرى الأحداث هو أنهم وجدوا سيارة «أماندا» وجثتها في صندوق السيارة. صنعت أكذوبة مناسبة

لزوجها، لذلك بدا الأمر أن «أماندا» رتبت لاختفائها. «بول شارب» هو الوحيد الذي علم بالعلاقة الغرامية، وهو لن يقول شيئًا، خاصة لو لم يكن يعرف أنهما كانا بكوخه؟

محتمل، لكن ربما قال «بول شارب» شيئًا. عندما اختفت، ربما كان موظفو الفندق سيدلون بمعلومات عن رؤيتهما معًا، ومن ثم سيوضع «هاريس» تحت المجهر. لكن في ظل عدم وجود دليل قوي ـ وخاصة من دون جثة ـ سيبدو الأمر كما لو أن زوجة تعيسة، غير مخلصة قد هربت من حياتها.

أو ربما يكون القاتل «روبرت بيرس». كذب «بيرس» عليهما. وفقًا لكلام «هاريس»، توصل «بيرس» إلى هاتف «أماندا» سابق الدفع وعرف عن علاقتهما. ورأى «رالي شارب» هاتفًا سابق الدفع في مكتب «بيرس» بعد اختفاء «أماندا». لكنه لم يكن هناك عندما فتشا المنزل. لا بد أن «بيرس» تخلص منه. ربما كان يراقبها. بدا من هذا النوع. ربما عرف أين كانت ذاهبة تلك الليلة، وقاد إلى الكوخ، ورآها مع حبيبها ـ «لاري هاريس»؟ «بول شارب»؟ ـ وانتظر حتى تكون بمفردها، وسحق رأسها. «بيرس» ليست لديه حجة أيضًا.

سيتكلم مع المدعي العام. سيطلقون سراح «بول شارب» في الوقت الحالي، ويرى كيف سيتصرف كل واحد. «ويب» لديه وقت. وقت

لكي يدرس كل واحد منهم دراسة فاحصة. لا يُطبق قانون التقادم على القتل.

* * *

تندهش «أوليفيا» من رنين هاتف المطبخ في وقت مبكر من صباح يوم الأربعاء. إنه المحقق «ويب»، يخبرها أنهم سيطلقون سراح زوجها من دون اتهام. تغلق المكالمة وتقف ساكنة تمامًا. رحلتها إلى مركز الشرطة تمر بشكل ضبابي. تشعر بالخدر.

تجلس «أوليفيا» في ساحة الانتظار بالمركز، في ترقب ظهور «بول». ممزقة بين الراحة والفزع، تريد تأجيل اللحظة. لكنها آتية، تسمع وقع أقدام وتقف. بعد ذلك ترى «بول». تمشي وتحضنه، مثلما فعلت ألف مرة من قبل، لكن هذه المرة مختلفة. ليست واثقة فيه. يمكنها أن تشعر بضربات قلبيهما معًا. بعد لحظة، تبتعد.

ينظر إليها بحذر.

تقول له، وتستدير كيلا يتمكن من رؤية الشك في عينيها:

ـ هيا نذهب إلى المنزل.

أرسلت بالفعل رسالة نصية إلى «جليندا» تبلغها بالخبر، تخبرها ألا تأتي.

* * *

ينتظر «رالي» بقلق عودة أمه إلى المنزل مع أبيه. أخبرته أنها ذاهبة لإحضاره. لن يذهب «رالي» إلى المدرسة اليوم أيضًا.

يخبر نفسه، أبوه بريء. يطلقون سراحه اليوم. لكن ارتياح «رالي» مشوب باضطراب. يمكنه أن يفهم أن أمه لها شكوكها. «رالي» له شكوكه، كذلك. لم يعد متأكدًا من أي شيء. لم يجد أي شيء واضحًا على حاسوب أبيه. لكن «رالي» يعرف أيضًا شيئًا لا يعرفونه. وسيتعين عليه إخبارهما.

عندما وصل أبواه البيت، الأمر مربك. تبتسم له أمه كأن كل شيء بخير، لكنه يستطيع أن يستشف من وجهها المنهك أن الأمور ليست بخير. يبدو أبوه بشعًا ورائحته تبدو وكأنه يحتاج إلى الاستحمام. يمكن أن يشعر «رالي» بالتوتر المنبعث من والديه.

انتهوا جميعًا إلى المطبخ وتقول أمه:

ـ أخبرت أباك أنه وُجه إليك اتهام.

يقول أبوه، وهو يسحبه إلى حضنه:

ـ سيكون الأمر على ما يرام، يا بني.

يومئ «رالي»، يبتلع ريقه. لكنه لا يقلق على نفسه الآن، بل على أبيه. يجب على «رالي» أن يعترف لوالديه، وهو يخاف من هذا. يجب أن يخبرهما «رالي» بالحقيقة.

البداية صعبة. يقول «رالي»:

ـ هناك شيء يجب أن أخبركما به.

يمكنه أن يرى على الفور من النظرة الفاحصة التي تكسو وجه أمه المضطرب أنها لا تريد سماع هذا. لديها ما يكفي لكي تعالجه. يكره أن يجرحها أكثر مما فعل. لكنه يجب أن يقول هذا. يبدو أنه لا يستطيع أن يتفوه بالكلمات.

يقول أبوه بتعب:

ـ ما الأمر يا «رالي»؟

واضح أنه مهزوم مما حدث معه مؤخرًا. يفكر «رالي»، لا يبدو في برجه العاجي الآن.

يقول:

ـ كذبت عليكما. كذبت عليكما أنتما الاثنان بشأن الاقتحامات.
تنظر أمه إليه بقلق أكثر من ذي قبل، يبدو أبوه مرهقًا بشدة.

ـ أخبرتكما ـ وأخبرت المحامي ـ أنني اقتحمت منزلين فقط، لكنها كانت أكثر.

يراقب جبين أبيه ينعقد. يعترف:

ـ كانت قرابة تسعة أو عشرة.

ينظر أبوه إليه بحدة، وتبدو أمه مرعوبة.

يقول «رالي» باضطراب:

ـ هناك شيء آخر أحتاج إلى أن أخبركما به. لم أرغب في أن تعلما، لكن... اقتحمت منزل أسرة «نيويل».

يسأل أبوه:

ـ ماذا؟ متى؟

يبتلع «رالي» ريقه.

ـ تلك الليلة التي كانا فيها هنا على العشاء... علمت أن «آدم» سيكون بالخارج أيضًا تلك الليلة.

تشهق أمه.

ـ اقتحمت منزل أعز صديقين لنا بينما كانا هنا لتناول العشاء معنا؟

تبدو مضللة بالكامل.

ـ كيف تجرؤ؟ لماذا؟

يشعر «رالي» بتغير لون وجهه. يهز كتفيه ببؤس.

ـ كنت أقوم بالاختراق. كنت جادًّا في هذا... إنها مهارة، وتحتاج إلى ممارسة. لذلك تسللت إلى منازل الآخرين وهم بالخارج واخترقت حواسيبهم.

يخاطر بنظرة أخرى إلى أبويه. يحدقان فيه في ذهول. يقول:

ـ كنت أبلي بلاء حسنًا. لكن لن أفعل هذا بعد الآن.

ما زالا يحدقان فيه، مرعوبين. يسود صمت مثقل.

يحتج «رالي»:

ـ علمت أنكما لن تستحسنا الأمر. لكنني لم أتسبب قَطُّ في أي ضرر. لم أسرق أي بيانات ولم أتشاركها ولم أضع أي شيء في حاسوب أي شخص أو أخبر أي شخص بما وجدته.

يستمر في دفاعه:

ـ لم أحاول قَطُّ ابتزاز أي شخص أو أي شيء.

تكرر أمه ويدها على حلقها:

ـ ابتزاز!

ـ أمي، اهدئي، لم أفعل أي شيء مثل هذا! كان الأمر أشبه... باكتساب خبرة.

يقول أبوه:

ـ خبرة... أهكذا تدعوه.

«رالي» لا تعجبه لهجته. إنها لهجة الأب الرجعي، وهي تثير حنقه.

يقول «رالي» بحدة:

ـ أجل، حسنًا، ربما ينبغي أن تنصت لي على سبيل التغيير.

تسأل أمه:

ـ ما الذي تتحدث عنه؟

يقول «رالي»:

ـ أعرف أشياء عن أعز صديقين لكما.

* * *

تشعر «أوليفيا» أن قلبها يتجمد. تحدق في ابنها، ليست واثقة تمامًا أنها ترغب في سماع ما سيقوله. تشعر بدوار، من الصدمة. ما الأسرار التي يمكن أن تحتفظ بها «جليندا» و«كيث»؟ تنظر إلى زوجها، لكنه يراقب «رالي» باهتمام شديد، وكأنه مس وترًا حساسًا.

يقول «بول»:

ـ ماذا تعني يا «رالي»؟

يقول «رالي»:

ـ رأيت أشياء، على حاسوبهما.

يقول «بول» بصوت صارم:

ـ فهمنا ذلك. ماذا رأيت؟

يقول «رالي» بمقدرة:

ـ «كيث» وغد حقير.

تقول «أوليفيا» بحدة:

ـ لا تتكلم بهذه الطريقة.

ـ لم لا؟ هذه حقيقة! لا بد أن تشاهدا ما على حاسوبه! رأيت بريده الإلكتروني... إنه يخون «جليندا»، يعاشر امرأة أخرى من وراء ظهرها. لم أستطع أن أخبركما لأنهما صديقان لكما.

تشعر «أوليفيا» بالإعياء، ولا تستطيع أن تتكلم.

يسأل «بول»:

ـ متى كان هذا؟

يقول «رالي» ببؤس:

ـ أخبرتكما... الليلة التي كانا فيها هنا على العشاء، قبل رؤية أمي الرسائل النصية على هاتفي واكتشافها لما فعلته.

تحاول «أوليفيا» أن تركز. «كيث» يخون «جليندا»، و«جليندا» ليست لديها فكرة. «أوليفيا» واثقة من أن «جليندا» لا تعرف. الآن ماذا عليها أن تفعل؟ هل تخبرها؟ أو تتركها في جهلها؟ تنظر

«أوليفيا» إلى زوجها وتتذكر عندما جاءت «بيكي» تخبرها بشكوكها حول «بول». تدرك، وقلبها يهوي، أنه سيتعين عليها إخبارها.

يسأل «بول»:

ـ هل أنت متأكد من هذا؟

ـ بالطبع متأكد. رأيت هذا بأم عينيَّ. لا مجال لسوء فهم ما كتبه. حتى إنني أرسلت رسائل إلكترونية كرد على رسائل صديقته من حسابه، ولم تكن تلك الرسائل لطيفة.

تراقب «أوليفيا» ابنها، تشعر بثغرها ينفتح.

يقول «رالي»:

ـ على الأقل محتمل أنه يعرف الآن أن أحدًا اخترق حاسوبه ويعرف ماذا كان يفعل.

يزفر الهواء بشدة.

ـ أتمنى أن يصاب بالأرق بسبب هذا. ربما يفكر أن «آدم» هو من فعلها. ما هو سبب إفراط «آدم» في الشراب من وجهة نظركما؟ يشرب لكي ينسى أن أباه حقير.

يبدأ «بول»، يبدو فقد أعصابه:

ـ «رالي»، لا يمكنك العبث بحياة الأشخاص بهذه الطريقة.

ـ إنه حقير. وهذا ما يستحقه.

تتساءل «أوليفيا» لو أن «جليندا» أخبرت «كيث» أن «رالي» كان يقتحم منازل، حتى على الرغم من أنها وعدتها ألا تفعل. تسمح «أوليفيا» أحيانًا بأن يعرف «بول» أشياء قالت إنها لن تشاركها.

يكمل «رالي»:

ـ كانت الرسائل مخفاة. لن تعرف أنها هناك ما لم تبحث، مثلما فعلت.

يسأل «بول»:

ـ كيف وجدتها؟

ـ هذا سهل لو أن المرء يتقن عمله. يمكنني الدخول إلى حاسوب مفصول عن الطاقة في غضون ثلاث دقائق... فقط استخدمت فلاشة الإقلاع لكي أشغل الحاسوب... أغلب الحواسيب تسمح بتشغيلها من فلاشة مباشرة وبهذه الطريقة يمكنك تخطي الأمن الداخلي. ثم مع بعض الأوامر، يمكنني أن أبرمج تطبيقًا سريًّا، وأصبح بذلك داخل الحاسوب. وبمجرد أن دخلت إلى حاسوب «كيث»، كان بإمكاني أن أعرف أنه كان يحاول إخفاء شيء لأنه كان يمسح سجل المتصفح الخاص به.
لكنه لم يمسح ملفات تعريف الارتباط، لذلك كنت قادرًا على معرفة اسم المستخدم وكلمة المرور لحساب البريد الإلكتروني المُخفى الخاص به. بعد ذلك استطعت الدخول إلى حسابه الشخصي ورؤية رسائله وتظاهرت بأنني هو وأرسلت ما كان يحلو لي.

«أوليفيا» لا تعرف ما إذا كان عليها أن تشعر بالذعر أو الإعجاب. تسأل:

ـ هل تعرف مَن تكون تلك المرأة؟

ـ كلَّا. كان لها اسم سخيف نوعًا ما على حساب البريد الإلكتروني. اسم وهمي.

يقول «بول»:

ـ بحق المسيح يا «رالي». لم يكن يجدر بك أن تفعل ذلك.

ينظر «رالي» إلى أبيه كما لو أنه يتحداه بشكل ما ويقول:

ـ هل تعتقد أنه كان بإمكانه معاشرة المرأة المقتولة؟

تراقب «أوليفيا» كليهما وهي مصدومة مع عجز عن الكلام.

يقول «بول»:

ـ كلَّا، بالطبع لا! هذه... سخافة.

يقول «رالي»:

ـ إنه يعرف كوخنا.

يقول «بول»، وهو مذعور بوضوح من الفكرة:

ـ هل تقترح أن «كيث» قتلها؟ لا يمكن أن يتورط «كيث» في هذا. لا يمكن أن يقتل. إنه أعز أصدقائي. ❝

❞ ٣٤

تقفز «بيكي» عندما يُفتح الباب ويدخل زوجها. شعر بانزعاج كبير لدى ذهابه إلى المكتب هذا الصباح، ثم اتصل به المحققان لكي يحضر ويجيب عن بعض الأسئلة. يمكنها رؤية أنه مهزوز. لكنه عاد إلى البيت من مركز الشرطة. لم يُقبض عليه.

تسأل:

ـ ماذا حدث؟

ـ سألاني إن كنت ذهبت من قبل إلى كوخ أسرة «شارب».

«لاري» ينهار، وهو متعب بشكل واضح، على الأريكة في غرفة المعيشة.

ـ ما زالا يتصرفان وكأنهما يعتقدان أنني قتلتها. لماذا يعتقدان ذلك يا «بيكي»؟ كنت على علاقة غرامية بها، لكني أقسم إنني لم أقتلها.

ينظر إليها، بقلق.

تجلس بجانبه. بعد ذلك:

ـ لا يوجد غيرنا الآن يا «لاري». لم تذهب إلى ذلك الكوخ قَطُّ، أليس كذلك؟

ـ كلَّا! مطلقًا. أقسم لك، لا أعرف أين مكانه.

لكنه كذب عليها قبل ذلك. يمكنه أن يعلم عن كوخ أسرة «شارب» بطريقة ما.

جاء في أخبار صباح اليوم، على الإنترنت، أن «بول شارب» أُطلق سراحه من دون أن يوجه إليه اتهام. لا يمكن أن تكون الوحيدة التي وجدت ذلك غريبًا. لكن من الواضح أنهم لا يعتقدون أنه فعلها. لا بد أنهم يعتقدون بأن شخصًا آخر قتلها في كوخه. ومؤكد اعتقدوا أنه إما «روبرت بيرس» أو زوجها، «لاري».

عودة إلى نقطة البداية. أي منهما فعلها؟ هي لا تعرف.

* * *

لا يستطيع «روبرت بيرس» أن يصدق هذا. بالأمس كان بريئًا... يدلي في مؤتمر صحفي ويحتفل بمفرده ببعض البيرة، واليوم يعلم أن «بول شارب» قد أُطلق سراحه من دون تهمة. يقرأ عن هذا في الأخبار، بعد ذلك يظهر المحققان اللعينان عند عتبة بابه قرابة وقت الغداء.

قال «ويب»:

ـ سيد «بيرس». نود التحدث معك قليلًا مرة أخرى.

قال «روبرت» متشككًا:

ـ عن ماذا؟

ـ عن زوجتك.

قال «روبرت»:

ـ ظننت أنكما قبضتما على القاتل. عمل سريع، بالمناسبة. ماذا تريدان مني؟

ـ حسنًا، كما ترى، كان علينا إطلاق سراحه. لعدم كفاية الأدلة.

قال «روبرت»، وقلبه يخفق بشدة:

ـ أنت تمزح، صحيح؟ دم زوجتي فوق أرضية كوخه ليس بكافٍ بالنسبة إليكما؟

رد «ويب»:

ـ من الغريب، أنه غير كافٍ. نودك أن تأتي إلى المركز.

ـ الآن؟

ـ أجل.

وها هو الآن، عاد إلى تلك الغرفة الخانقة، لكن هذه المرة قُرئت عليه حقوقه، ويُسجل الاستجواب. لقد أطلق المحققان سراح «شارب». سيتبعانه الآن، الزوج. يعتقدون دائمًا أنه الزوج.

يبدأ «ويب»:

ـ نعتقد أنك عرفت بأن زوجتك تعاشر شخصًا آخر.

«روبرت» لا يقول شيئًا.

ـ نعلم أنها كانت تملك هاتفًا سابق الدفع. لم نستطع العثور عليه، لكننا نعلم أنها كانت تملك واحدًا.

يحافظ «روبرت» على صمته الحذر.

يضغط «ويب»:

ـ هل تعرف أين مكانه؟

ما زال، ممتنعًا عن الكلام.

ـ نعلم أنها كانت تملك واحدًا.

يُكمل «ويب»:

ـ لأن «لاري هاريس» أخبرنا.

لن يستجيب «روبرت» للاستفزاز.

يضايقه «ويب» ويقول:

ـ نعلم أنك تحتفظ بهاتفها سابق الدفع، لأن «هاريس» أخبرنا أنك اتصلت به منه. صباح يوم الجمعة، التاسع والعشرين من سبتمبر، يوم اختفاء زوجتك.

يهز «روبرت» كتفيه:

ـ هذا غير صحيح. ليس لديك إلا أقواله. كان يضاجعها... لذا، سيقول أي شيء.

ـ ليس لدينا أقواله فقط. لدينا شاهد.

ـ ما الذي تتحدث عنه؟

ـ صبي محلي اقتحم منزلك ووجد الهاتف سابق الدفع في درج مكتبك بعد فقدان «أماندا». لكنه لم يكن هناك عندما فتشنا المنزل بعدها ببضعة أيام. ماذا فعلت بالهاتف يا «روبرت»؟

لا يجيب. دقات قلبه تتسارع. بدلًا من ذلك يقول:

ـ أي صبي؟

لكن يتجاهل المحقق سؤاله.

ـ نعرف أنك كذبت علينا. نعرف أنك علمت بأنها كانت تعاشر «لاري». هل كانت تعاشر «بول شارب»، كذلك؟ هل علمت عن هذا؟ كم عدد الأرقام التي كانت على ذلك الهاتف؟ هل كانت تضاجع كليهما؟ لا بد أنه شيء صعب تقبله. نعرف أنك لديك الهاتف، لذا، لا بد أنك عرفت أنها كانت تخطط للقاء أحدهما تلك العطلة في ذلك الكوخ. أيهما كان؟ وذهبت إلى هناك، ورأيتهما معًا، وبمجرد أن أصبحت بمفردها، هشمت رأسها.

«روبرت» لا يقول شيئًا، لكن قلبه يخفق.

يقول «ويب»:

ـ ربما الهاتف سابق الدفع في مكان ما بقاع البحيرة، مثل المطرقة.

يقول «روبرت»:

ـ أريد أن أتصل بالمحامي الخاص بي.

* * *

يقول «بول» لها، بصوت مضطرب، وهما ذاهبان للفراش تلك الليلة:

ـ «أوليفيا». ماذا لو كان «كيث» يعاشر «أماندا»؟

كانت تفكر في الشيء نفسه، طوال النهار، وطوال المساء. جزء منها رفض الفكرة على أنها غير محتملة. مؤكد أن «كيث» لم يكن يعرفها فعليًّا. قابلها في حفل الحي، مثل الجميع، لكنه لم يعمل في الشركة نفسها مثل «بول» و«لاري»، حيث عملت بانتظام بنظام العمل المؤقت. فرصة أنه كان يعاشر «أماندا» تبدو خيالًا. لم تلمح «جليندا» قَطُّ أنها ترتاب في أن «كيث» على علاقة غرامية. وعلى الجانب الآخر... تجيبه بهدوء:

ـ هل تظن أن هذا محتمل؟
ـ لا أعلم. أعتقد أنهما لم يتقابلا من قبل، بخلاف حفل السنة الماضية. لا شك أنه لم يذكرها لي. لم أفكر قَطُّ في أنه من النوع الذي يقيم علاقة غرامية.

تقول «أوليفيا»:

ـ كان بإمكانهما اللقاء عبر الإنترنت. كان من الممكن أن يلتقيا في أي مكان.

ينظر «بول» إليها، وهو يشع توترًا:

ـ «أوليفيا»، «أماندا بيرس» قُتلت في كوخنا. لم أقتلها. لكن شخصًا نعرفه ذهب إلى كوخنا.

ولهذا هي غير متأكدة. تأتي «جليندا» و«كيث» إلى كوخهما كل صيف، لعطلة أسبوعية أو عطلتين على الأقل. يعرفان الكوخ جيدًا. بصماتهما في كل مكان، ويمكن تفسيرها بشكل مثالي. كان بإمكان «كيث» أن يقابل «أماندا» هناك تلك العطلة، ولا أحد يعلم. لأن «كيث» ربما كان يعلم أنهما لن يستخدما الكوخ تلك العطلة.

تسأل «أوليفيا»:

ـ لكن كيف دخل؟

يقول «بول»:

ـ «كيث» يعلم أين نخبئ المفتاح الاحتياطي.

ـ هل يعلم؟

يومئ «بول»، وهو يعض شفته. أخبرته مرة كيف أننا قطعنا كل الطريق إلى الكوخ تلك المرة ونسينا المفتاح، وكيف أننا بعد ذلك خبأنا مفتاحًا احتياطيًّا في المستودع تحت المزيتة.

ينظران إلى بعضهما، خوف غير مستقر ينتشر على وجهيهما. تفكر «أوليفيا»، هل يمكن أن يكون «كيث» وليس زوج «أماندا»، أو «لاري» أو «بول»، على الإطلاق؟

تقول «أوليفيا»:

ـ ماذا ينبغي أن نفعل؟

يقول «بول»:

ـ علينا أن نخبر الشرطة. نتركهم يبحثون في الأمر. يمكنهم مصادرة حاسوبه.

هل يمكن أن تفعل هذا مع «جليندا»؟ ربما لم يكن «كيث» يعاشر «أماندا». لكنه كان يعاشر امرأة ما. تنظر «أوليفيا» إلى زوجها، الذي بكل تأكيد ما زال مشتبهًا به، وتعرف أنهما يتعين عليهما فعل ذلك.

تقول:

ـ إذا ذهبت إلى الشرطة، فسيتعين عليك أن تخبرهم كيف تعلم. سيكون عليك أن تخبرهم باقتحام «رالي» لمنزلهم، كذلك... واختراق حاسوبه.

ـ لن أفعل. لن أخبرهما كيف علمت.

ـ هذه سذاجة بالغة يا «بول». إذا صادروا حاسوب «كيث» ووجدوا أنه كان يعاشر «أماندا»، فسيكون «كيث» مشتبهًا به في تحقيقات جريمة قتل. كل شيء سينفضح.

يقول «بول» بصراحة:

ـ سنتعامل مع هذا الأمر فقط عندما يحين وقته.

وبينما تستقر تحت الغطاء وتحاول أن تنام، لا يمكنها التوقف عن التفكير بأنه لو كان «كيث» قتل «أماندا» بالفعل، فحينها سيكون على استعداد أن يترك أعز صديق له يتحمل النتائج، ولا ينطق بكلمة. تشعر برعشة شديدة، ولا تعلم إن كانت تلك الرعشة

ستزول في يوم من الأيام. تحكم الغطاء حولها وترقد في الظلام، وعيناها مفتوحتان عن آخرهما.

* * *

الوقت متأخر. «كارمن» تقرأ في الفراش عندما تسمع الطرق على الباب. يا له من شيء غريب. تسمعه مرة أخرى. قطعًا هناك شخص ما. تنهض وترتدي بخفة روبها المصنوع من قماش التيري، تلف الرباط حول وسطها وتهبط السلالم. عندما تهبط إلى أسفل تضيء المصباح. تنظر من النافذة ثم تفتح الباب بتردد فتحة ضيقة.

تقول، وهي تبتسم بارتياب:

ـ مرحبًا.

ـ معذرة على إزعاجك في وقت متأخر جدًّا، لكن مصابيح منزلك ما زالت مضاءة.

ـ ليست هناك مشكلة. ما الذي يمكنني عمله من أجلك؟

ـ هل يمكن أن نتحدث؟

تقول:

ـ حسنًا.

تعود خطوة إلى الوراء وتفتح الباب على مصراعيه. بعد ذلك تستدير، ظهرها لضيفها، وتغلق الباب. كل شيء تغير في جزء من الثانية. هناك حركة مفاجئة خلفها ومن ثم تشعر بشيء حول رقبتها ويحكم الضغط عليها. حدث ذلك بسرعة كبيرة إلى درجة لم تستطع أن تصرخ. لا يمكنها التنفس والألم في حلقها شديد. يمكنها أن تشعر بعينيها متورمتين، رؤيتها غير واضحة وهي تحاول يائسة الإمساك بالحبل حول رقبتها. لكن ركبتيها تنحنيان والآن تُدفع إلى الأمام، يقاومها وزنها وهي تميل إلى الحبل حول رقبتها. تدرك بدهشة أنها تموت. لا أحد يعتقد أن هذه هي الطريقة التي سيموت بها.

وبعدئذٍ يصبح كل شيء أسود. ❝

❞ ٣٥

تتفاجأ «جليندا» عندما تجد «أوليفيا» عند عتبة بابها صباح اليوم التالي.

تسأل «جليندا» بسرعة:

ـ ما الخطب؟ ماذا حدث؟

دائمًا ما تتصل «أوليفيا» أولًا، لا تظهر وحسب من دون إخطار بهذا الشكل. أرسلت لها رسالة نصية بالأمس عندما أُطلق سراح «بول» وأخبرتها ألا تأتي. زوجها أُطلق سراحه بلا تهمة... لماذا تبدو منزعجة للغاية؟

تسأل «أوليفيا» بعصبية:

ـ هل أنت بمفردك؟

تقول «جليندا»:

ـ أجل، رحل الاثنان بالفعل. ادخلي.

تقول «أوليفيا»، متفادية أن تقابل عينيها:

ـ هناك شيء يجب أن أتحدث معكِ بشأنه.

تبدأ «جليندا» في الشعور بالقلق:

ـ حسنًا.

تجلسان في المطبخ. تسأل «جليندا»:

ـ هل تريدين قهوة؟

ـ كلَّا.

ـ «أوليفيا»، ما الخطب؟ أنت تخيفينني.

تقول «أوليفيا»:

ـ طابق المحققان بصمات «رالي» ببصمات وجداها في منزل الزوجين «بيرس». وُجه إليه اتهام بالاقتحام والتسلل.

تقول «جليندا»:

ـ آه، كلَّا.

تقول «أوليفيا»:

ـ لكن ليس هذا هو سبب وجودي هنا. أخبرنا «رالي» بأشياء أمس.

تتردد ومن ثم تقول:

ـ أخبرنا أنه اخترق منزلكم. الليلة التي كنتما فيها أنت و«كيث» لدينا على العشاء.

«جليندا» مصدومة. تغير مزاجها فجأة. تسأل:

ـ لماذا يفعل ذلك؟

ـ أنا آسفة جدًّا يا «جليندا».

كل شيء في «أوليفيا» يطلب السماح. تبدو متذللة. لكن «جليندا» تشعر بالخيانة، بالانتهاك. ليست لديها فكرة أن «رالي» قد يقتحم منزلهم. الأمر مختلف. تبددت كل الثقة السلسة والناعمة. الآن ما تفكر فيه، كيف يتجرأ؟ لا تقول، آه، لا بأس يا «أوليفيا». أعرف كم هذا محزن لك. رجاء لا تقلقي بهذا الشأن. لا تحاول أن تخفف من حدة الموضوع. لا تقول أي شيء. تطوي ذراعيها أمام صدرها، غير مدركة حتى كم تبدو دفاعية.

تقول «أوليفيا»:

ـ لا أعلم لماذا فعل هذا. أخمن أنه... مجرد غباء المراهقة، قلت هذا بنفسك. المراهقون يفعلون أشياء غبية.

تجلسان على طاولة المطبخ، مواجهتين لبعضهما البعض. شعور محرج، على الرغم من أنهما جلستا هنا معًا مئات المرات. تقول «جليندا» أخيرًا:

ـ حسنًا، شكرًا لإخباري.

تقول بقدر من المضض، وهي متأكدة تمامًا من أن «أوليفيا» تعرف بماذا تشعر حقًّا:

ـ أخمن ليس هناك ضرر حقيقي، أليس كذلك؟

لكن هناك شيئًا في وجه «أوليفيا»، و«جليندا» تعرف أن هناك المزيد لتقوله. ما الذي تخشى «أوليفيا» أن تخبرها به؟ لأنها تبدو خائفة حتى الموت. تقول «جليندا»:

ـ هناك شيء آخر، أليس كذلك؟

تومئ «أوليفيا». وجهها شاحب، وشفتاها ترتجفان، وتبدو آسفة جدًّا إلى درجة أن «جليندا» تكاد تغفر لها مقدمًا. تفكر «جليندا»، مهما يكن الأمر، لن يكون بمثل هذا السوء.

تبدأ «أوليفيا»:

ـ تعرفين أن «رالي» يخترق حواسيب الأشخاص.

«جليندا» متأكدة من أنه ليس هناك شيء على حاسوبهما يحتاجان إلى القلق بشأنه. هي و«كيث» يتشاركان الحاسوب المنزلي نفسه. ما الذي ترمي إليه «أوليفيا»؟

ـ وجد بعض رسائل البريد الإلكتروني على حاسوبكما...

تسأل «جليندا» بحدة:

ـ أي رسائل؟

ـ رسائل تبين أن «كيث» يقيم علاقة غرامية.

تشعر «جليندا» بخيبة أمل بالغة. للحظة تستطيع بالكاد أن تتنفس. تقول:

ـ كلَّا. «رالي» يكذب. ليس هناك مثل هذه الرسائل. لماذا يقول شيئًا كهذا؟

تقول «أوليفيا» بحرص:

ـ لا أعتقد أنه يكذب.

ترد «جليندا» بسرعة في غضب:

ـ تعرفين أنه كاذب. كان يقول لك إنه ذاهب إلى السينما عندما كان يقتحم المنازل. لماذا تصدقينه؟

تقول «أوليفيا»:

ـ لماذا يكذب في هذا؟ إنه لا يقول هذا لكي يخلص نفسه من مشكلة. لماذا يختلق هذا؟

تقول «جليندا»، في حيرة:

ـ لا أعلم. لكني أستخدم هذا الحاسوب طوال الوقت. وأعترف حتى... إنني أنظر في بريد «كيث» الإلكتروني أحيانًا. وكلها أمور

تخص العمل. لا يوجد شيء هناك لأي امرأة أخرى. لو كان هناك، لكنت علمت.

تنظر «أوليفيا» بمزيد من الانزعاج وتقول:

ـ يقول «رالي» إنها كانت مخفاة. عليك أن تعرفي ما الذي يتعين البحث عنه. و«رالي» يعرف.

تعلم «جليندا» فجأة أن الأمر لا بد أن يكون صحيحًا. ملفات مخفاة. كيف تكون غبية إلى هذه الدرجة، عمياء إلى هذه الدرجة؟ تهز رأسها، لا تستطيع حتى أن تتكلم. تريد أن تقتله.

ـ أنا آسفة يا «جليندا». لكن فكرت أنه ينبغي أن تعرفي.

أخيرًا تبدأ «جليندا» تتكلم على الرغم من صدمتها:

ـ من تكون؟ هل هي أحد نعرفه؟

الآن تهز «أوليفيا» رأسها.

ـ لا أعلم. «رالي» يقول إنها كانت باسم وهمي.

تقول «جليندا»:

ـ ابن العاهرة.

تقول «أوليفيا»، مغامرة بحذر، كما لو أنها تمشي فوق جليد رقيق:

ـ هل تعتقدين أنه ربما كان يعاشر «أماندا»؟

تنظر لها «جليندا» نظرة متجردة من العواطف.

ـ «أماندا». لماذا تسألين هذا السؤال؟

تقول «أوليفيا» بسرعة:

ـ لا أعلم. قد يكون بالكاد يعرفها.

ـ إذن لماذا تذكرينها؟

تهز «أوليفيا» رأسها، متراجعة.
ـ آسفة، ما كان يجب أن أقول ذلك.

تقول «جليندا»:

ـ ربما يجب أن تغادري يا «أوليفيا».

تتوسل «أوليفيا»:

ـ لا تكرهيني يا «جليندا»، رجاء. لم أرغب في أن أخبرك، لكن فكرت لو كنت مكانك، فسأرغب في أن أعرف.

ترد «جليندا» بشكل لاذع:

ـ أو ربما ظننت أنه يمكنك تحويل الانتباه عن «بول»، أليس كذلك؟ مشتبه به محتمل جديد. هل ستخبرين الشرطة بهذا؟

تنظر في وجه «أوليفيا»:

ـ يا إلهي، سوف تخبرين الشرطة!

تجلس «أوليفيا» أمامها، تقضم شفتيها.

تقول «جليندا»:

ـ اخرجي.

تندفع «أوليفيا» على قدميها.

لا تقوم «جليندا» حتى من مقعدها بينما تستدير «أوليفيا» لتغادر. تسمع «جليندا» الباب الأمامي يُغلق، ومن ثم المنزل في سكون. تشعر بوحدة موحشة.

لفترة طويلة لا تتحرك. بعد ذلك تنهض من مقعدها وتصعد السلالم إلى غرفة النوم الاحتياطية التي يستخدمونها كغرفة مكتب. تجلس على المكتب وتشغل الحاسوب. تجرب كل شيء يخطر ببالها، وهو ليس بالكثير. لا يمكنها العثور على الرسائل المخفاة. لكنها تعتقد أنها موجودة. على الرغم من أنها تتمنى ألا تجدها، فهي تعتقد أن «رالي» يقول الحقيقة.

أخيرًا، تقاوم دموع الإحباط، تستسلم وتنهار فوق السرير الاحتياطي المقابل للحائط. وبعد ذلك تصل إلى هاتفها لتتصل بزوجها.

* * *

يسمع «ويب» شخصًا يطرق باب غرفة مكتبه. يدخل ضابط رأسه.

ـ «بول شارب» هنا لمقابلتك يا سيدي.

متفاجئًا، يقول «ويب»:

ـ أرشده إلى غرفة الاستجواب. سأكون هناك في الحال.

يرى «موين» في طريقه، قادمة نحوه في الممر.

ـ «بول شارب» جاء للتوِّ. هيا بنا نذهب.

تغير اتجاهها وتتابع السير بجواره. بينما يدخلان غرفة الاستجواب، يأمل «ويب» أن يكون هذا تقدمًا في القضية. يمكنه الشعور بالتوقع نفسه لدى «موين».

بعد تذكيره بحقوقه وتشغيل المسجل. يقول:

ـ السيد «شارب». هل هناك شيء جديد تود أن تخبرنا به؟

ـ أجل.

ينظر «ويب» إليه متسائلًا وينتظر. لا يبدو كرجل على وشك أن يعترف بجريمة قتل. ولم يحضر محاميه معه.

يبدأ «شارب»:

ـ ربما أكون مخطئًا بالكامل في هذا، لكن ظننت أنه يجب أن أُعلمك. علمت أن صديقًا لي يخون زوجته. وأعتقد أنه ربما كان يعاشر «أماندا بيرس».

ـ ولماذا تخبرنا بذلك الآن فقط؟

ـ اكتشفت للتوِّ.

ـ كيف اكتشفت هذا؟

يبدو «شارب» منزعجًا.

ـ حقيقة، أفضل ألا أقول.

ينظر «ويب» إليه، متضايقًا قليلًا، ويزفر بشدة.

ـ لماذا تهدر وقتي الثمين يا سيد «شارب»؟

لا يجيب، يبدو عنيدًا بعض الشيء.

ـ ما الذي يجعلك تعتقد أن هذا الرجل يعاشر «أماندا بيرس»؟

يقول «شارب» بعصبية:

ـ هو يعرف كوخنا. ذهب إلى هناك.

ـ من؟

ـ «كيث نيويل».

الاسم مألوف.

ـ حسنًا، كانت بصماته في كوخك، استبعدناه.

يومئ «شارب».

ـ يزورنا هو وزوجه هناك كل سنة.

ـ وأنت تعتقد الآن أنه كان يعاشر «أماندا»، لكنك لن تخبرنا لماذا تعتقد هذا؟

ـ لا أعلم إن كان عاشر «أماندا»، لكنه كان يعاشر امرأة ما. كانت له علاقة غرامية. لا أعلم مع من. وهو يعرف أين نحتفظ بالمفتاح المخبأ. أخبرته، عندما كان هناك في الكوخ الصيف الماضي.

يمضغ «ويب» خده من الداخل.

ـ فهمت.

يقول «شارب»:

ـ انظر في حاسوبه المنزلي. ابحث عن رسائل البريد الإلكتروني المرسلة لصديقته. ربما تكتشف أنها كانت هي.

ـ وكيف عرفت بأمر هذه الرسائل الإلكترونية؟ هل أخبرك عنها؟

ينظر «بول» بعيدًا.

ـ كلَّا. لكنني أعلم أنها موجودة.

* * *

تقول «جليندا» باقتضاب في الهاتف:

ـ «كيث»، أعتقد من الأفضل أن تأتي إلى البيت.

ـ ماذا؟ لماذا؟ أنا متوجه للتوِّ إلى اجتماع.

ـ «أوليفيا» كانت هنا في الصباح. تقول إن «رالي» اقتحم منزلنا. اخترق حاسوبنا.

ـ ماذا؟ ما الذي تتكلمين عنه بحق الجحيم؟ لماذا يفعل «رالي» ذلك؟

تسمع الخوف في صوته الهادئ المعتاد. تتجاهل سؤاله.

يرتفع صوتها:

ـ ما الذي تخفيه على حاسوبنا؟ رسائل إلكترونية لامرأة أخرى؟ لـ«أماندا بيرس»؟

الصمت الناتج عن الصدمة على الطرف الآخر من الهاتف يخبرها بكل شيء تحتاج إلى معرفته. يمكنها أن تقتله.

يقول «كيث»، وهو يبدو مذعورًا:

ـ سأكون في المنزل على الفور. ❝

❞ ٣٦

يطرق المحقق «ويب» الباب بحزم. حصل على إذن بتفتيش حاسوب «كيث نيويل». يرافقه هو و«موين» خبيران تكنولوجيان، سيحصلان على حاسوبه والأجهزة الإلكترونية الأخرى الخاصة بهم.

تفتح امرأة الباب. يسأل «ويب»، وهو يرفع شارته.

ـ السيدة «نيويل»؟

يلاحظ شحوب المرأة، من الواضح أنها كانت تبكي.

تقول:

ـ أجل.

ـ هل زوجك في المنزل؟

اتصلا بمكتبه فعليًّا، متوقعين أن يجداه هناك ـ حيث يرغبان في استجوابه ـ لكن قيل لهما إنه استدعي إلى المنزل فجأة. يلاحظ «ويب» إحجامها عن الإجابة. أخيرًا تقول:

ـ أجل، إنه هنا.

يخبرها «ويب»:

ـ نود التكلم معه.

يبدو أنها تعرف ما الأمر. تفتح الباب من دون أن تقول أي شيء آخر.

يخطو «ويب» داخل الصالة الأمامية، وتقودهم إلى غرفة المعيشة.

تقول:

ـ سأحضره.

يتساءل «ويب» لو أن «كيث نيويل» يجلس على الحاسوب، يمسح الملفات على عجل. لا يهم. يمكنهم استرجاع أي شيء.

بعد لحظات، يهبط «كيث نيويل» السلالم ويبدو عصبيًّا.

يقول «ويب»:

ـ أنا المحقق «ويب» وهذه المحققة «موين». نود أن تأتي معنا إلى مركز الشرطة للإجابة على بضعة أسئلة.

يقول «كيث»، وهو يشير إلى الفنيين الصامتين:

ـ بخصوص ماذا؟ من يكونان؟

ـ إنهما الفنيان اللذان سيحصلان على حاسوبك، والحواسيب المحمولة، والأجهزة اللوحية، والهواتف الذكية، وخلافه.

ـ لا يمكنك عمل ذلك.

ـ قطعًا يمكنني. لديَّ إذن بالتفتيش.

يرفع «ويب» الإذن، ويرى الخوف في عينَي الرجل.

ينقل «كيث نيويل» نظراته بينه وبين زوجته، يشعر بأنه محاصر بشكل واضح.

يتركان الفنيين خلفهما في المنزل مع زوجة «نيويل»، ويقودانه إلى مركز الشرطة. وهناك يقودانه إلى غرفة استجوابات ويُعلمانه بحقوقه. يقول إنه لا يحتاج إلى محامٍ. يقول إنه لم يرتكب شيئًا خاطئًا. يبدأ «ويب»:

ـ إذن، هل تعرف «أماندا بيرس»؟

ينظر «نيويل» بحذر إليهما.

ـ أجل أعرفها.

ـ هل كنت على علاقة غرامية بها؟

يبدو «نيويل» وكأنه على حافة الهاوية. الذعر في وجهه يخبر «ويب» بالحقيقة، بغض النظر عما قد يقوله لاحقًا. لكن «نيويل» يقول:

ـ أجل، كنت على علاقة غرامية بها. لكنني لم أقتلها.

ـ أخبرنا عن هذه العلاقة.

ـ لم نرغب في أن يعرف أي أحد. زوجها كان غيورًا جدًّا. جعل حياتها بائسة في بعض الأحيان. أرادت أن تهجره.

ـ هل قابلتها من قبل في كوخ أسرة «شارب»؟

يومئ. يزفر بعمق.

ـ فقط مرة واحدة. في العطلة الأسبوعية التي اختفت فيها.

يتوقف كأنه لا يستطيع أن يواصل. يداه ترتعشان.

تسأل «موين» بهدوء:

ـ ماذا حدث، يا سيد «نيويل»؟

ـ عرفت أن الكوخ سيكون خاويًا تلك العطلة... عرفت أن الأسرة لن تذهب. أعرف أين يحتفظون بالمفتاح الاحتياطي. أردنا أنا و«أماندا» أن نتقابل ولم أرغب في أن نذهب إلى مكان حيث يمكن التعرف علينا. حينئذٍ فكرت في الكوخ.

ينظف حنجرته، يأخذ رشفة ماء، ويده ترتعش بشكل سيئ.

ـ أخبرتني أنها يمكن أن تسافر تلك العطلة، وأنها ستخبر زوجها أنها ستسافر مع صديقتها «كارولين»، للتسوق. لذا، حزمتْ حقيبة المبيت ووجهتها إلى طريق الكوخ. علمتْ أنني لا أستطيع أن أمكث طوال العطلة. أخبرتها بذلك. أخبرتها أنني من الممكن أن أصل في وقت متأخر من بعد ظهر الجمعة وأمكث بعض الوقت لكن يجب أن أعود إلى المنزل، وأنني سأعود يوم السبت وأقضي أغلب الوقت لكنني لا أستطيع أن أترك أسرتي طوال العطلة... فهذا من شأنه أن يبدو أمرًا مريبًا. كانت متفهمة لذلك. كانت سعيدة لأنها ستقضي وقتًا معي، لكنها أحبت أيضًا أن تقضي وقتًا بمفردها. أحبت أن تحظى بوقت بعيدًا عن زوجها.

ذهبت إلى هناك يوم الجمعة، في الخامسة تقريبًا. ووصلت هي بعد نحو نصف ساعة. مكثت لبعض الوقت، لكني لم أستطع أن أبقى لوقت متأخر. غادرت في الثامنة تقريبًا. كل شيء كان على ما يرام عندما تركتها. عدت إلى المنزل. وفي اليوم التالي، أخبرت زوجتي أنني ذاهب للعب الجولف، وعدت إلى الكوخ. أول شيء لاحظته أن سيارة «أماندا» لم تكن هناك. فكرت أن هذا أمر غريب، لأنني أحضرت كل شيء قد نحتاج إليه. ظننت أنها ربما خرجت للتنزه. كنت متضايقًا قليلًا لأن الطريق يستغرق وقتًا طويلًا للذهاب والعودة من هناك ولا يمكنني البقاء لوقت متأخر. لم يكن باب الكوخ موصدًا. دخلت وكل شيء كان مرتبًا بشكل كامل. لم يكن

هناك أي من أغراضها. رحلت. وجدت المفتاح فوق الكاونتر. لا يمكن للمرء أن يلاحظ حتى أنها كانت هناك.

لم تترك رسالة أو أي شيء. تفقدت هاتفي... لم يكن هناك أي رسائل. لا رسائل نصية... لكنها حذرتني بالفعل من أن زوجها وجد هاتفها سابق الدفع. تساءلت لو أنها غيرت رأيها عن العطلة، أو ربما عني أنا. أو ربما حدث شيء في البيت. على أي حال، انتظرتها هناك لفترة طويلة، إلى أن حان وقت الرحيل... على أمل أن تعود، كما ظننت. لكنها لم تعد. وبعد ذلك أوصدت الكوخ وأعدت المفتاح تحت المزيتة وعدت إلى البيت وحسب. لم أعلم ماذا أفعل غير ذلك. لم أستطع أن أخبر أحدًا.

في طريقي إلى البيت، مررت من أمام منزلها لكي أرى إن كانت سيارتها هناك، لكنها لم تكن. في اليوم التالي قدت بالقرب من مكانها مرة أخرى ولا تزال سيارتها غير موجودة هناك، لكن باب المرآب كان مغلقًا وفكرت أنها ربما تكون بالداخل.

لم تكن لديَّ وسيلة للوصول إليها. كانت رسائلي النصية والإلكترونية ستذهب إلى هاتفها سابق الدفع، لكنه بحوزة زوجها. لم أعرف ماذا أفعل. كنت مشوشًا، لكن كان ينبغي أن أتظاهر أن الأمور على ما يرام. بعد ذلك بيومين سمعت أن زوجها أبلغ عن فقدانها.

يرفع عينيه إلى «ويب»، وجهه مضطرب.

ـ هو مَن قتلها، أنا متأكد من ذلك. في ذلك الوقت، كانت الشائعات تدور حول أنها تركته، لأنها أخبرت زوجها أنها ستسافر مع صديقتها واكتشف أن ذلك ليس صحيحًا. لكنني أعلم أنها كذبت عليه لكي تكون معي. أعتقد الآن أنه علم، وقتلها. لكن في ذلك الحين، ظننت... أملتُ... لو أنها بالفعل هجرته وحسب. بعد العثور عليها...

يخفي رأسه بين يديه.

يقول «ويب»، من دون أن يكلف نفسه عناء إخفاء ازدرائه:

ـ بعد العثور عليها، لم تتقدم بالشهادة وتخبرنا بأي من هذا.

يهز «نيويل» رأسه، يبدو نادمًا.

ـ أعلم. لست فخورًا بهذا.

يأخذ نفسًا مرتعدًا.

ـ لا بد أن زوجها قتلها. أخبرتني في بعض الأحيان أنها تراه مختلًّا عقليًّا. لم يكن الرجل الذي اعتقدت أنها تزوجته. كان متلاعبًا، يمارس الألاعيب. أرادت أن تهجره.

يمرر يده فوق شعره بعصبية.

ـ أرسلت لي رسائل نصية، تخبرني كيف كان زواجهما. كان... خارجًا عن المألوف.

يسأل «ويب» بعد برهة:

ـ ماذا سنجد في حاسوبك؟

ـ رسائل إلكترونية إلى «أماندا».

ـ أخفيتها.

ـ بالطبع أخفيتها. استخدمت هاتفًا سابق الدفع في الغالب مع «أماندا»، لكنني أرسلت أحيانًا رسائل إلكترونية إلى هاتفها سابق الدفع من الحاسوب المحمول الخاص بي. لم أرغب في أن ترى زوجتي تلك الرسائل. لولا «رالي»، لما عرف أحد بأي من هذا قَطُّ.

يسأل «ويب»:

ـ «رالي شارب»؟

يزفر «كيث» الهواء بشدة.

ـ اقتحم منزلي ووجد الرسائل الإلكترونية وأخبر والديه، اللذين من الواضح أنهما أخبراكما، الصغير اللعين.

يقول «ويب»:

ـ فهمت. وماذا حدث لهاتفك سابق الدفع؟

ـ حطمته إلى أشلاء ورميته في شاحنة قمامة مارة.

بعد لحظة توقف، يسأل «ويب»:

ـ هل علمت عن الرجال الآخرين الذين كانت «أماندا» تعاشرهم؟

ـ «أماندا»؟ لم تكن تعاشر أي رجل. أنا فقط.

لا يستطيع «ويب» تصديق سذاجة الرجل، أو ربما الأمر متعلق بغروره.

ـ حقًّا؟ لم تكن تعرف؟ كانت تعاشر رجلًا آخر في فندق «باراديس»، بشكل منتظم إلى حد كبير. لدينا دليل بالفيديو على هذا.

يتغير التعبير على وجه «نيويل» فجأة وينظر بعيدًا.

ـ كلَّا.

يسأل:

ـ من؟

ـ «لاري هاريس».

يشعر «ويب» برضا مؤكد عن النظرة التي تعلو وجه «نيويل». يسأل «ويب»:

ـ كيف نعرف أنك لم تكن الشخص الغيور؟ كنت معها في الكوخ تلك الجمعة. عدت مرة أخرى يوم السبت. لم يرَها أحد منذ تلك الجمعة. على حد علمنا، كنت آخر شخص يراها وهي حية. علمت

أنها أخبرت زوجها أنها كانت مع «كارولين»، وهو ما يبدو وكأنها هجرته ببساطة. هل علمت أنها كانت حاملًا؟ هل هذا لم يكن ملائمًا لخططك؟ هل تشاجرت معها بسبب هذا؟

ينظر «نيويل» إليه في خوف متصاعد.

ـ كلَّا. أعني، أجل، علمت أنها كانت حاملًا. لكننا لم نتشاجر بشأن هذا. كانت ستتخلص منه.

يقول «ويب»:

ـ لست واثقًا أنني أصدقك.

يقول «نيويل»، وصوته مرتعب:

ـ أريد محاميًا.

ينهض «ويب» لكي يترك غرفة الاستجواب ويشير لـ«موين» أن تنضم إليه. يرسل ضابطًا إلى الغرفة من أجل تسهيل مكالمة «كيث نيويل» لمحاميه. سيتركانه يتصبب عرقًا ويرتجف في انتظار وصول محاميه.

* * *

تتجول «جليندا» بلا كلل في المنزل. غادر الفنيان منذ فترة طويلة، وأخذا معهما كل حواسيبهم وأجهزتهم الإلكترونية. إنها مرعوبة. أخبرها «كيث» أنه مسح الرسائل الإلكترونية، لكنها تخشى ألا يكفي هذا، هي متأكدة تمامًا من أن الشرطة تعرف كيف تستعيد الملفات الممسوحة. هذا ما يفعلونه.

رحل «كيث» منذ ساعات. لا تعرف ماذا يحدث وهذا يقودها إلى الجنون. من الواضح أنهما يشتبهان به في قتل «أماندا». كان يعاشرها، اعترف بهذا لها وسيعترف لهما على الأرجح. سيجدون الرسائل الإلكترونية. سيتهمونه ويحاكمونه بتهمة القتل. بماذا ستخبر ابنهما؟

تفكر بأسف في «أوليفيا». لم تحتج إلى صديقة من قبل كما تحتاج في هذه اللحظة، لكن «أوليفيا» آخر شخص تريد التكلم معه الآن.

* * *

عندما يعود «آدم» من المدرسة، تنتظره «جليندا». يسقط حقيبة ظهره الثقيلة على الأرض داخل الباب الأمامي مباشرة مع صوت

مألوف، ويمررها في طريقه مباشرة إلى المطبخ بحثًا عن شيء يأكله. لا يبدو حتى أنه يدرك وقوفها هناك.

تقول، وهي تتبعه إلى المطبخ:

ـ «آدم»، نحتاج إلى أن نتكلم.
يفتح باب الثلاجة ومن ثم يلتفت إليها بحذر. تبتلع ريقها:

ـ أبوك في مركز الشرطة.

يظل ساكنًا كالصنم.

ـ يجري استجوابه في مقتل «أماندا بيرس».

نظرة خوف تكسو وجهه. يسود صمت مطول.

يقول «آدم»:

ـ إنهم يستجوبون الجميع، على أي حال، صحيح؟

ـ أجل.

يقول «آدم»:

ـ سيطلقون سراحه. مثل والد «رالي». أطلقوا سراحه.

تقول، بصوت صارم:

ـ لا أعلم. لا أعلم ماذا يجري في المركز. لكن الشرطة أخذت حاسوب أبيك.

يقف «آدم» ساكنًا تمامًا للحظة أطول، وجهه شاحب. بعد ذلك يستدير مبتعدًا عنها فجأة ويغادر إلى الطابق العلوي.

ـ انتظر، «آدم»، أحتاج إلى أن أتكلم معك.

لكنه صعد السلالم درجتين في كل مرة.

* * *

«رالي» محطم. هو من رأى رسائل «كيث نيويل» الإلكترونية. بسببه، ذهب أبوه إلى الشرطة. بسببه، يجلس «كيث نيويل» في مركز الشرطة، ربما مشتبه به في جريمة قتل. استلم «رالي» للتوِّ رسالة نصية من «آدم» تشع منها مشاعر مضطربة.

أخيرًا استعاد «رالي» هاتفه الخلوي من أبويه بعد أن أخبرهما بحقيقة الاقتحامات وأقسم على أنه لم يعد يفكر في الاختراق. لكنه الآن تقريبًا يتمنى لو أنهما لم يعيداه إليه. يحدق في الرسالة مرة أخرى. حسنًا، ماذا توقع؟ علم أنه بمجرد أن يقول الحقيقة التي تخص والد «آدم»، فقد يذهب أبواه إلى الشرطة. لم يشعر بأنه كان لديه اختيار، مع بقاء والده مشتبهًا به في جريمة قتل. يعرف «رالي» أن «كيث نيويل» حقير، لكن هل يمكن أن يكون قاتلًا؟ هذا أقل شناعة من احتمال أن يكون والده قاتلًا.

ينظر مرة أخرى في رسالة «آدم» النصية، ثم يطرح الهاتف جانبًا.

لن يكون قادرًا على كتمان هذا. سينفضح كل شيء الآن، أنه اقتحم منزل أسرة «نيويل» واخترق حاسوبهم، كذلك. لو تعرض والد «آدم» للمحاكمة، فسيشهد «رالي» بخصوص تلك الرسائل الإلكترونية. سيعرف الجميع. يمكن أن يقع «رالي» في مشكلة كبيرة. لكن لو أن «كيث نيويل» قتل «أماندا بيرس»، فعلى الأقل سيكون أبوه حرًّا.

* * *

يدخل «ويب» غرفة الاستجواب مرة أخرى، في وقت متأخر من فترة بعد الظهر، تجلس «موين» بجانبه. «كيث نيويل» الآن لديه محامٍ يجلس بجانبه.

يستكملان الاستجواب. «نيويل» يهز رأسه بعناد ذهابًا وإيابًا.

ـ لم أقتلها. عندما تركتها هناك مساء يوم الجمعة كانت بخير. عندما عدت يوم السبت، في نحو العاشرة والنصف صباحًا، كانت قد رحلت بالفعل. كل شيء كان نظيفًا. ظننت أنها غيرت رأيها. لم تكن لديَّ فكرة بما حدث لها.

يكبت النشيج، والتعب والإرهاق اللذين أصاباه.

ـ علمت أنه ثمة شيء خاطئ بمجرد أن رأيت سيارتها رحلت. حاولت أن أفتح الباب لكنه كان موصدًا. حصلت على...

يتوقف فجأة.

يشعر «ويب» بـ«موين» ينجذب انتباهها بجانبه. يكرر «ويب» كاسرًا الصمت:

ـ كان مغلقًا.

يقول «نيويل» بسرعة، وهو يهز رأسه:

ـ كلَّا. آسف، أنا متعب. لم يكن مغلقًا. دخلت ورأيت المكان خاويًا.

يقول «ويب»:

ـ قلت كان مغلقًا. حصلت على... كنت على وشك أن تقول إنك حصلت على المفتاح، أليس كذلك؟

يكرر «نيويل»:

ـ قطعًا لم يكن مغلقًا. دخلت مباشرة ووجدت المفتاح فوق الكاونتر.

ينظر إلى محاميه، يبدو أنه يشير إليه بشيء بعينيه.

يقول المحامي:

ـ لا مزيد من الأسئلة. موكلي متعب. يكفي هذا الآن.

يقف المحامي:

ـ هل ستعتقله؟

يقول «ويب»:

ـ أجل. سنفعل بالتأكيد.

* * *

تصل «أوليفيا» عند باب «جليندا». الوقت متأخر، بعد العاشرة مساء. الشارع مظلم، والجو بارد بالخارج. تجذب معطفها غلقًا. حاولت الاتصال، لكن «جليندا» لم ترد على الهاتف. تعرف «أوليفيا» أنها بالمنزل، أخبرها «رالي» أن «آدم» أرسل له رسالة نصية لأنه قلق على أمه، ويطلب منه أن يرسل أمه للمساعدة. لذا فهي لا تفرض نفسها بالضبط، بل دعيت لذلك. لكنها متوترة لأنها واثقة تمامًا من أن «جليندا» لا ترغب في رؤيتها.

«جليندا» لا تجيب الباب. «أوليفيا» ترن الجرس مرة أخرى. أخيرًا تسمع وقع أقدام. الباب يُفتح، لكنها لم تكن «جليندا»، إنه «آدم». يبدو منزعجًا للغاية. وربما ليس متزنًا بالكامل. يمكنها أن تشم رائحة الخمر على أنفاسه البالغة من العمر ستة عشر عامًا. هذا يجعل قلبها يهوي. تخطو إلى الداخل، في الظلام.

ـ أين أمك؟

يومئ برأسه في اتجاه غرفة المعيشة، تخطو مزيدًا من الخطوات داخل المنزل، من دون أن تتوقف حتى تخلع معطفها. ترى «جليندا» تجلس في غرفة المعيشة المظلمة. تمد «أوليفيا» يدها لمفتاح المصباح تلقائيًّا. يغمر الضوء الغرفة وتنظر «جليندا» بعينين نصف مفتوحتين، كما لو أنها لم تعد معتادة على الضوء. ربما كانت تجلس هنا لساعات.

تسأل «أوليفيا» بتوتر:

ـ «جليندا»، هل أنت بخير؟
لم ترَ «جليندا» على هذه الحال من قبل قَطُّ. وجهها منهك. عادة ما تكون جلدة جدًّا، حتى في أوقات الأزمات، هي التي تجمع العائلة. تنظر «أوليفيا» إلى «آدم»، الذي يحدق في أمه. يبدو وكأنه يتأرجح قليلًا. تشعر «أوليفيا» بأن حمل هذا كله يضغط على صدرها. كيف وصلت كل الأمور إلى هذه الحال؟ تتقدم حتى تصبح قريبة.

تقول:

ـ «جليندا»، أنا هنا.

صوتها متقطع. «جليندا» هي أعز صديقة لها. كيف يمكن أن يحدث هذا لها، لأسرتها؟ لهم جميعًا؟

ـ أنا آسفة حقًّا.

أخيرًا تنظر «جليندا» إليها وتقول:

ـ هذا ليس ذنبك.

يقف «آدم» يراقب، يتأرجح. تقول أمه:

ـ لم لا تصعد إلى الطابق العلوي يا «آدم»؟

يفر «آدم»، من الواضح أنه شعر بالراحة.

تقول «أوليفيا»، وهي تجلس بجانبها على الأريكة:

ـ ستكون الأمور على ما يرام.

هي لا تصدق هذا، لكنها لا تعرف ماذا تقول غير ذلك. تتذكر «جليندا» وهي جالسة بجوارها في مركز الشرطة ذلك اليوم، عندما كانت الأدوار معكوسة. تريد أن تخفف عنها.

ـ إنهما يستجوبان الجميع، تعرفين ذلك. سيتكلمان مع «كيث» ومن ثم يطلقان سراحه، تمامًا مثل «لاري»، و«بول». هو لم يقتل «أماندا». تعرفين ذلك.

لكنها تفكر، إنه شخص نعرفه. وموثوق به، تعتقد ربما يكون «كيث».

للحظة «جليندا» لا تجيب. بعد ذلك تقول:

ـ إنه هناك منذ وقت طويل.

ـ احتفظا بـ«بول» ساعات طويلة، ومن ثم أطلقا سراحه.

تهمس «جليندا»:

ـ أنا قلقة جدًّا على «آدم».

تومئ «أوليفيا». إنها خائفة تقريبًا من أن تسأل، لكن يجب أن تفعل. يجب أن تعرف.

ـ هل اكتشفت من التي كان «كيث» يعاشرها؟

تقول «جليندا»:

ـ هذا كل شيء، أليس كذلك؟ كلنا نريد معرفة لو أن «كيث» كان يعاشرها.

تنتظر «أوليفيا» الإجابة. عندما تغرق «جليندا» في صمت، تقول «أوليفيا»، بصوت هامس:

ـ هل كان يعاشرها؟

تخفض «جليندا» صوتها إلى همس، كذلك:

ـ أخبرني «كيث» قبل أن تأتي الشرطة. اعترف بأنه كان يعاشرها. قال إنه مسح كل شيء من الحاسوب، لكنهم قادرون على استرجاعه، أليس كذلك؟ وحينئذٍ ستعرف الشرطة. مؤكد أنهم بالفعل يعرفون، لا بد أنه اعترف بهذا. مرت ساعات.

تشعر «أوليفيا» بقرع النبض في أذنيها، مرعوبة مما قد تسمعه بعد ذلك.

تميل «جليندا» على «أوليفيا» وتقول:

ـ «كيث» يقول إنه لم يقتلها. لكنني لا أعرف إن كنت أصدقه.

تنظر «أوليفيا» إليها، متذكرة شكوكها في زوجها، قلبها ينفطر من أجل «جليندا». ❝

❞ ٣٧

يتجول «ويب» في غرفة مكتبه بينما تجلس «موين» متعبة في المقعد المواجه للمكتب وتراقبه. الوقت متأخر. لكن لديهما شخصين محتجزين في الزنزانة... «روبرت بيرس»، المحتجز منذ اليوم السابق ولا بد، في القريب العاجل، من أن يُوجه إليه اتهام أو يُطلق سراحه. و«كيث نيويل». يقول «ويب»:

ـ زل لسان «نيويل» عندما قال إن باب الكوخ كان موصدًا. من قبل، قال إن الباب كان مفتوحًا وإن المفتاح كان متروكًا على الكاونتر.

يتوقف «ويب» عن التجول وينظر إلى «موين».

ـ هذا هو ما يريدنا أن نصدقه. لماذا يكذب في ذلك؟

تقول «موين»:

ـ ربما كان مرتبكًا وحسب، على حد قوله.

لكن «ويب» يعرف أن كليهما يؤمن بأن «كيث نيويل» قد زل لسانه... كان هذا واضحًا. وإلا فلماذا التراجع، والنداء المفاجئ والصامت لمحاميه بوقف الإجراءات؟ يقول «ويب» وهو يزفر بشدة:

ـ أنت لا تصدقين هذا أيضًا.

تعترف «موين»:

ـ كلَّا، لا أصدق. أعتقد أنه أخطأ في ذلك قبل قليل، وهو يعرف هذا.

يقول «ويب»:

ـ يقول إنه وصل قبل أن تصل هي تلك الجمعة. إذن محتمل أنه حصل على المفتاح من تحت المزيتة في المستودع قبل أن تصل هي إلى هناك. محتمل أنها لم تعلم عن المكان السري. لم يذكر قَطُّ أنها علمت عنه.

تومئ «موين»:

ـ وترك المفتاح معها، لأنها ستمكث، ومن ثم عاد، وإذا كان موصدًا...

ـ وكان عليه أن يحصل على المفتاح... كان سيستعيده من المكان الخفي المعتاد.

ينظر «ويب» في مفكرته.

ـ قال، حاولت أن أفتح الباب لكنه كان موصدًا. حصلت على... ومن ثم توقف.

يكمل «ويب»:

ـ إذا كان المفتاح مخبأ في مكان آخر، لم يكن ليعرف أين يجده.

تقول «موين»:

ـ إنه يحمي شخصًا ما.

ـ أيًّا كان من قتل «أماندا بيرس» فلا بد أنه يعرف أن المفتاح الاحتياطي مخبأ تحت المزيتة في المستودع، وأعاده إلى هناك. عاد «كيث» في اليوم التالي، ووجد الباب موصدًا، وتلقائيًّا ذهب إلى المستودع من أجل المفتاح. لكن بعد ذلك لا بد أن يدرك أن الأشخاص الوحيدين الذين يعرفون بذلك المكان السري هم أسرة «شارب». «روبرت بيرس» لا يعرف المكان السري.

ـ إلا لو أن «بيرس» رأى «نيويل» وهو يأخذ المفتاح.

يتدبر «ويب»:

ـ لو كان «بيرس» هناك، مختبئًا، يراقب، لا بد أنه رآه وهو يدخل المستودع، لكنه لم يكن قادرًا بالتأكيد على رؤيته وهو يحصل على

المفتاح من تحت المزيتة. إنها بعيدة بداخل المستودع، قريبة من الحائط. ربما استنتج أن المفتاح في المستودع، لكن لن يعلم بالمكان.

ـ يحاول «نيويل» حماية «بول شارب».

يومئ «ويب»:

ـ ماذا لو عرف «شارب» بطريقة ما أنهما سيستخدمان الكوخ تلك العطلة؟ ماذا لو جاء الكوخ بعد أن غادر «نيويل»، وهو يعرف أن «أماندا» ستكون هناك؟ قتلها، ونظف كل شيء، وتخلص من جثتها وسيارتها في البحيرة... وعاد إلى المنزل في منتصف الليل.

يزفر «ويب» بصوت مرتفع.

ـ يذهب «نيويل» في اليوم التالي، ويجد المكان مهجورًا وموصدًا، والمفتاح تحت المزيتة.

تقول «موين»:

ـ لا بد أن «شارب» كان مشوشًا، لا يفكر بوضوح. نسي أن «نيويل» سيعود في اليوم التالي ويجد المفتاح في المكان المعتاد... دليل يشير تمامًا إلى أنه كان هناك.

يومئ «ويب» مرة أخرى.

ـ عندها سيفقد «نيويل» أعصابه. لم يكن يعرف بما حدث، لكن من المؤكد أنه أدرك أن «شارب» على الأقل كان هناك. عندما استجوبناه، علم أنه لو قال إن الباب لم يكن موصدًا وإن المفتاح على الكاونتر، فهذا يعني أنه ربما قتلها شخص ما... بدءًا من زوجها حتى شخص غريب تمامًا.

ـ صحيح.

يقول «ويب»:

ـ لم يكن «بيرس» ليعرف أين يضع المفتاح. سيتعين علينا إطلاق سراحه.

تتأمل «موين»:

ـ أتساءل منذ متى و«كيث نيويل» يعرف أن أعز صديق له قاتل؟

* * *

صباح يوم الجمعة، يتوجهان إلى استجواب «كيث نيويل» مرة أخرى. يخبر «ويب» «موين»:

ـ أريد ضربة ثانية له، ثم سنتحدث مع «بول شارب» مرة أخرى.

قضى «كيث نيويل» الليل في زنزانة، وينظر إليها.

يقول «ويب»، وهو يرمق محامي «نيويل» بنظرة:

ـ هيا نبدأ.

ينظر بعد ذلك إلى «نيويل». يقول:

ـ أنا أميل إلى تصديقك.

ينظر الرجل الآخر إليه مرتابًا.

ـ لا أعتقد أنك قتلت «أماندا بيرس»، بعد كل شيء.

ينظر «نيويل» إلى محاميه.

ـ لكنني أعتقد أنك تتستر على الشخص الذي ارتكبها.

ـ ماذا؟ كلَّا. لا أتستر على أي أحد. لا أعرف من قتلها.

إنه مضطرب، لكنه يحاول ألا يُظهر هذا.

ـ أعتقد أنك تفعل.

يهز «نيويل» رأسه بقوة، ينظر إلى محاميه طلبًا للدعم، ومن ثم يستدير إلى «ويب» مرة أخرى.

ـ لا أعلم أي شيء بشأن هذا. أخبرتك. لم أظن قَطُّ أن أي ضرر قد حدث لها حتى عثرتم عليها.

يميل «ويب» مقتربًا منه وينظر إليه مباشرة في عينيه.

ـ وماذا اعتقدت حينها يا «نيويل»؟

ـ أنا... أنا لا أعلم.

ـ لا بد أنك مررت بفترة مزعجة منذ أن ظهرت جثتها. علمت أن شخصًا قتلها... من ظننت أنه كان؟
لا يجيب «نيويل»، لكن عينيه يسكنهما الرعب.

ـ عندما عدت إلى الكوخ يوم السبت، الباب كان موصدًا.

يقول «نيويل» بعناد:

ـ كلَّا، لم يكن. كان مفتوحًا، وكان المفتاح على كاونتر المطبخ.

لكنه لا ينظر إليه، يحدق في الطاولة.

يسأل المحامي:

ـ هل لديك وجهة نظر لتثبتها؟ لأننا تجاوزنا هذا، وأخبرك بوضوح تام أن الباب كان مفتوحًا.

يعطي «ويب» المحامي نظرة حادة.

ـ زل لسانه أيضًا وأخبرنا أنه كان موصدًا وأنه كان عليه أن يحضر المفتاح. ونعتقد أنه أحضر المفتاح من المكان الخفي المعتاد. قُتلت «أماندا بيرس» بوحشية في ذلك الكوخ. ومن نظَّف أعاد المفتاح إلى المكان الخفي المعتاد. من أيضًا يعرف بهذا المكان السري يا «نيويل»؟

يرى أن وجه الرجل شحب.

ـ أنا... أنا لا أعلم.

ـ لا تعلم. حسنًا، لنرَ. «بول شارب» هو الشخص الذي أخبرك عنه، إذن هو بالتأكيد يعرف، أليس كذلك؟

ينظر «كيث» إلى محاميه، ويعود بنظره إلى «ويب».

يسأل «ويب»:

ـ من أيضًا؟

* * *

تنكمش «أوليفيا» عندما تذهب لفتح الباب وتجد المحققين «ويب» و«موين» يقفان على عتبة منزلها متجهمين. ماذا يريدان الآن؟ متى سينتهي هذا؟ هل يريدان منهما أن يضعا المسمار الأخير في نعش «كيث نيويل»؟ تريد أن تنتهي من هذا، تريد أن ينتهي كل شيء.

يقول «ويب»، بشكل عملي:

ـ صباح الخير. هل زوجك هنا؟

تقول:

ـ أجل.

تفتح الباب تلقائيًّا. تدير رأسها عندما تسمع «بول» قادمًا خلفها.

يقول «بول» بحذر:

ـ ماذا تريدان؟

يقول «ويب»:

ـ لدينا بضعة أسئلة إضافية.

يحتج «بول»، لكنه يبدو قلقًا:

ـ أجبت كل أسئلتكما بالفعل.

يمكن لـ«أوليفيا» أن تفهم. لا يريد أن يتحدث معهما عن «كيث» مرة أخرى.

يقول «ويب»:

ـ نود أن تأتي إلى المركز.

ـ من أجل ماذا؟ ألا يمكنك أن تسألني هنا؟

ـ نعم. نريد أن نستجوبك مرة أخرى على المسجل.

ـ ماذا لو رفضت؟

يقول «ويب»، دون أن يرمش له طرف عين:

ـ إذن أخشى أننا سنضطر إلى اعتقالك.

تشعر «أوليفيا» بالخوف فجأة. لماذا عادا إلى زوجها؟ ما الذي تغير؟

يظهر «رالي» فوق السلالم.

ـ ماذا يجري؟

تنظر «أوليفيا» إلى ابنها مفزوعة، لا تجد كلمات تخبره إياها.

يقول «ويب»:

ـ نريدكِ أن تأتي معنا أيضًا، سيدة «شارب». لدينا كذلك بعض الأسئلة لكِ.

* * *

تركا «بول شارب» في غرفة الاستجواب، في انتظار محاميه. في هذه الأثناء، طلب «ويب» من «جليندا نيويل» أيضًا أن تأتي من أجل الاستجواب. سيتحدثان إلى الزوجتين بينما ينتظران محامي «بول شارب». يبدآن بالسيدة «شارب».

تجلس باضطراب في غرفة الاستجواب. يدخل «ويب» مباشرة في صلب الموضوع. يقول:

ـ سيدة «شارب»، لن أطيل عليكِ. أدرك أنكم تحتفظون بمفتاح احتياطي لكوخكم مخبأ في المستودع تحت المزيتة.

تقول:

ـ أجل.

ـ من يعرف عن المفتاح المخبأ؟

تنظف حنجرتها.

ـ حسنًا، نحن، بالطبع، أنا وزوجي.

ـ هل من أحد آخر؟

ـ ابني يعرف.

ينتظر.

تقول بهدوء:

ـ و«كيث نيويل» يعرف عنه. أخبره زوجي الصيف الماضي أننا بدأنا بوضعه هناك بعد أن قطعنا طول الطريق إلى الكوخ مرة ونسينا المفتاح.

ـ هل من أحد آخر؟

تهز رأسها ببؤس.

ـ كلَّا. لا أعتقد هذا.

يقول «ويب»:

ـ كما ترين، هنا المشكلة.

ينتظر حتى تنظر إلى عينيه.

ـ لا نعتقد أن «كيث نيويل» قتلها. لكن من ارتكبها، نظف مسرح الجريمة ومن ثم أعاد المفتاح إلى ذلك المكان الخفي.

تحدق فيه برعب كأنها فهمت أخيرًا.

٣٨

تراقب «جليندا» المحققين، غير واثقة كيف تتصرف، ماذا تفعل. غرفة الاستجواب خالية إلا من الطاولة والمقاعد. إنها مرعبة. هذه التي قضى فيها زوجها وقتًا كبيرًا جدًّا. كل تلك الساعات عندما لم

تستطع أن تتخيل ماذا كان يحدث في المركز... تبدأ في اكتساب القدرة على التخيل الآن. ما زال هنا، في مكان ما، في غرفة استجواب أخرى، قد تكون مثل هذه تمامًا. بماذا أخبر المحققين؟ ماذا اعتقدا؟ هل سيخبرانها؟ أم أنهما فقط سيسألانها أسئلة لا نهاية لها ويحاولان أن يجعلاها تورطه؟

يبدأ «ويب»:

ـ السيدة «نيويل».

تنظر إليه بكراهية. إنها غاضبة منه، غاضبة وخائفة. ستطلب محاميًا لو اعتقدت أنه سيصبح ضروريًّا، في الوقت الحالي، تعتقد أنها يمكنها التعامل مع هذا.

ـ هل كنت تعلمين أن زوجك كان على علاقة بـ«أماندا بيرس»؟

ـ كلَّا.

يقول المحقق بصراحة:

ـ اعترف بذلك.

تنظر إليه وتقول:

ـ لم أكن أعلم.

يسأل «ويب»:

ـ أنتِ على دراية بكوخ أسرة «شارب»، أليس كذلك؟

ـ أجل. أسرة «شارب» أصدقاء أعزاء لنا.

تتوقف، ثم تواصل:

ـ ذهبنا هناك في شهر يونيو من هذه السنة، ومرة أخرى في شهر يوليو.

يسأل المحقق:

ـ هل تعرفين مكان الاحتفاظ بالمفتاح الاحتياطي؟

تصبح ساكنة تمامًا.

ـ أستميحك عذرًا؟

ينظر إليها باهتمام أكبر، وهذا يجعلها عصبية.

يكرر:

ـ هل تعرفين مكان الاحتفاظ بالمفتاح الاحتياطي للكوخ؟

تقول:

ـ مفتاح احتياطي؟ لا أعلم عن أي مفتاح احتياطي؟

يركز «ويب» عينيه عليها.

ـ أخبرنا زوجك أنكِ تعرفين مكان الاحتفاظ بالمفتاح الاحتياطي.

يمكنها أن تشعر بترشح العرق يبدأ من تحت ذراعيها. الجو حار هنا. كثير من الأشخاص قريبون من بعض هنا. تبدل جلستها.

ـ هو مخطئ. لست واثقة لماذا قال لك ذلك.

يقول «ويب»:

ـ هذه نقطة مهمة.

لا تقول أي شيء. تشعر فجأة بدوار بالرأس. هذه نقطة مهمة. تعرف ذلك. من الواضح أنهما يعرفان هذا أيضًا. ماذا أخبرهما «كيث»؟ تدرك الآن ـ متأخرًا جدًّا ـ أنه كان يجب أن تخبر «كيث» الحقيقة. لكنها لم تفعل، والآن هما في غرفتين منفصلتين يُستَجوبان من المحققين. كان يجب أن يوحدا قصصهما. كان من الممكن أن يحميا بعضهما. لكن هذه هي المشكلة... لم تخبر «كيث» بالقصة لأنها لم تكن متأكدة من أنه سيحميها.

يقول «ويب»:

ـ يدعي زوجك أنه عندما غادر الكوخ قرابة الساعة الثامنة ليلًا، كانت «أماندا» حية، لكنه عندما وصل في صباح اليوم التالي قرابة العاشرة والنصف، كانت سيارتها قد رحلت، وباب الكوخ مغلقًا. يعترف أنه أحضر المفتاح من مكانه المعتاد، تحت المزيتة في المستودع.

يميل «ويب» مقتربًا منها. ويقول:

ـ من قتل «أماندا» ليلة الجمعة نظف كل شيء وأعاد المفتاح إلى مكانه الخفي. خطأ بسيط وقع فيه، في ضغوط اللحظة.

لا تستطيع «جليندا» أن تفكر في أي شيء تقوله. كان خطأ غبيًّا.

يحثها المحقق:

ـ السيدة «نيويل»؟

لكنها تتجاهله، تتسارع أفكارها، تتذكر ومضات من تلك الليلة الرهيبة. دعك أرضية المطبخ، مسح الجدران، باستخدام المنظفات التي أحضرتها من البيت. قيادة سيارة «أماندا» إلى المنحنى في الطريق وإغراقها عمدًا. تفقُّد كل شيء، التأكد من أنه ناصع ومرتب. كانت متعبة للغاية حينها إلى درجة أنها أوصدت الباب، من دون تفكير، وأعادت المفتاح إلى مكانه الخفي.

لم تدرك خطأها حتى عاد «كيث» في صباح اليوم التالي، ويبدو حزينًا جدًّا. أدركت أنه بالتأكيد بحث عن المفتاح وعلم أن شخصًا يعرف مكان المفتاح كان هناك.

كان أفضل أمل لها هو عدم العثور على السيارة ذات الجثة المرعبة بداخل صندوقها، وأن يعتقد الجميع ـ خاصة «كيث» ـ أن «أماندا» ابتعدت ببساطة. كان سيفترض «كيث» أنه إما «بول»، أو على

الأرجح «جليندا»، واجهت «أماندا»، وقررت أن تختفي وتغادرهم وتتركهم وراءها إلى الأبد.

لم يذكر لها كلمة عن هذا قَطُّ، ربما كان خائفًا مما قد يحدث. تحت الثقة الظاهرية، كان دائمًا جبانًا. لكن بعد ذلك عثروا على السيارة. الجثة. وهما يعيشان مع هذا منذ ذلك الحين. علمها وخوفه.

تفكر «جليندا» بشكل بلا مغزى، لو أنهم فقط لم يعثروا على السيارة قَطُّ، لو لم ترَ «بيكي» «بول» في السيارة مع «أماندا» تلك الليلة، لما كان لديهما أي سبب للبحث وراء «بول»، لتفتيش الكوخ، لاكتشاف الدم. لما كان هناك سبيل للوصول إلى الكوخ... إلى «بول»، أو إلى «كيث»، أو إليها.

يقول «ويب» مرة أخرى:

ـ السيدة «نيويل»؟

ـ أجل؟

يجب أن تركز. ماذا يقول؟ لا يمكنها الاعتراف بأي شيء. لا بد أنه لا يزال ثمة احتمال لقلب هذا الأمر. حاولت جاهدة طوال الوقت أن

تحمي الأشخاص الذين تحبهم. «آدم» بحاجة إليها. هو لا يحتاج إلى أبيه بالطريقة التي يحتاج إليها بها. ربما لا يزال بإمكانها تثبيت هذا على «كيث» بطريقة أو بأخرى. هذا ما يستحقه، الوغد الخائن.
فكرت في كل شيء، ما عدا المفتاح. تقول بحزم:

ـ لا أعلم شيئًا عن أي مفتاح احتياطي.

تكرر:
ـ لا أعلم لماذا يقول زوجي لك هذا.

* * *

ـ سيدي.

يقول «ويب» بخفة:

ـ أجل، ما الخطب؟

إنه مشغول الآن.

ـ هناك بلاغ عن حادث قتل.

يبدو «ويب» متفاجئًا.

ـ أين؟

ـ في شارع «فينش». رقم ٣٢. عثرت عليها جارة. أبلغت النجدة على الرقم ٩١١. الضحية هي (يرجع إلى ملاحظاته) سيدة اسمها «كارمن تورس». الضباط بالزي الرسمي في مكان الحادث يا سيدي.

ـ من الأفضل أن نذهب إلى هناك. هل بإمكانك أن ترسل «موين» إليَّ؟

ـ أجل يا سيدي.

يسحب «ويب» سترته ويقابل «موين» في طريقه إلى الخارج.

تسأل «موين»:

ـ ماذا لدينا؟

يقول «ويب»:

ـ سنعرف عندما نصل إلى هناك.

يركنان في الشارع أمام منزل رمادي جذاب بمصاريع زرق وباب أحمر. هناك شريط الشرطة الأصفر عند الدرجة الأمامية للسلم، وضابط بالزي الرسمي من قسم الدورية يقف للحراسة.

يخبره الضابط:

ـ فريق مسرح الجريمة في طريقه يا سيدي.

يلاحظ «ويب» امرأة تقف على الجانب، في الممر، يواسيها ضابط آخر. قد تكون المرأة التي اكتشفت الجثة.

يخطو «ويب» داخل المنزل. الضحية ممددة على الأرض. ترتدي المرأة روبًا ورديًّا من قماش تيري وتحته رداء النوم. يتضح من الكدمات الواضحة حول رقبتها أنها تعرضت للخنق بنوع من حبل أو رباط. ليس شيئًا رفيعًا بما يكفي لقطع البشرة.

ـ هل لدينا أداة الخنق؟

ـ كلّا يا سيدي.

ـ هل من علامة على دخول جبري؟

ـ كلَّا يا سيدي. تفقدنا المنزل والأرض. يبدو أنها سمحت لقاتلها بالدخول من الباب الأمامي، وفعل ذلك بمجرد أن أدارت ظهرها.

يقول «ويب»:

ـ إنها مرتدية بيجامتها. محتمل أنها تعرف القاتل.

ينحني عن قرب. يبدو أنها ماتت منذ فترة وجيزة... يوم على الأقل، ربما أكثر.

ـ الطبيب الشرعي في طريقه.

يومئ «ويب».

ـ من وجدها... المرأة بالخارج؟

يومئ الضابط.

ـ جارة لها.

يلتقي بعيني «موين»، ويتوجه الاثنان إلى الخارج. يقتربان من المرأة الواقفة في الممر. إنها لا تبكي، لكنها تبدو مصدومة.

يقول «ويب»:

ـ أنا المحقق «ويب». هل يمكن أن تخبريني باسمك، رجاء؟

تقول المرأة:

ـ «زوي بوتيلو».

ـ أنتِ اكتشفتِ الجثة؟

تومئ.

ـ إنها تعيش بمفردها. لم أرَها منذ يومين. لاحظت أنها لم تلتقط صحفها. لذلك طرقت الباب. لم تجب. حاولت فتح الباب ولم يكن موصدًا، فدخلت... ورأيتها هناك.

ترتجف.

ـ لا يمكنني أن أصدق هذا. كانت جديدة في الحي، تحاول اكتساب أصدقاء.

يسأل «ويب»:

ـ هل تعرفينها جيدًا؟

تقول «زوي»:

ـ ليس تمامًا. فقط أتحدث معها.

تضيف:

ـ تعرضت لاقتحام مؤخرًا، وتصرفت بجنون محاولة اكتشاف الفاعل.

يتذكر «ويب» حينئذٍ أن «رالي شارب» اعترف باقتحام هذا المنزل. يتذكر العنوان، ٣٢ «فينش».

تقول المرأة:

ـ كانت تزعج الآخرين بعض الشيء، لأكون صادقة، أخبرتْ الناس أنهم ربما تعرضوا لاقتحام من دون أن يدركوا. جعلت الجميع يقلق.

تهز رأسها، فاقدة أعصابها بوضوح.

ـ ما حدث لها أمر فظيع. أمر لم يحدث هنا من قبل قَطُّ.

ـ هل رأيتِ أي أحد يدخل أو يخرج من منزلها في الأيام القليلة الماضية؟

تنظر إليه في حالة من الفزع المفاجئ، وكأن شيئًا حدث لها للتوِّ. تقول باضطراب:

ـ في الواقع، بما أنك ذكرت ذلك، أنا رأيت أحدًا بالفعل.

* * *

تنظر «جليندا» فجأة لأعلى عندما يدخل المحققان «ويب» و«موين» غرفة الاستجواب مرة أخرى. رحلا من مدة طويلة، وتركاها تفكر في خوفها وقلقها.

يقرأ «ويب» عليها حقوقها.

تقول، وهي مرعوبة:

ـ لا أحتاج إلى محامٍ.

يقول «ويب»:

ـ هل أنت متأكدة؟

ـ لم أكن أعرف أي شيء عن هذا المفتاح.

يقول باعتدال:

ـ جيد جدًّا.

بعد ذلك يقول:

ـ «كارمن تورس» قُتلت.

تشعر بالدم يتدفق من رأسها، تخشى أنها على وشك الإغماء. تمسك بحافة الطاولة.

يميل «ويب» عن قرب:

ـ نعتقد أنك قتلتها.

تشعر «جليندا» بأنها شحبت، تهز رأسها.

ـ لم أقتلها.

يقول «ويب» صراحة:

ـ هناك من رآكِ. اكتشفت «كارمن تورس» ما فعلته... أنك قتلت «أماندا بيرس».

ينظر إليها للحظة طويلة، عيناه في عينيها. أخيرًا تنظر إلى بعيد.

تدع نفسها تنهار. لا يوجد مخرج. خطأ آخر ستدفع ثمنه غاليًا. لم يكن عليها أن تقتل «كارمن» العاهرة المتطفلة. لا بد أنها لم تكن في وعيها لتفعل هذا، أعماها الخوف. تصرفت بغريزتها، لم تفكر في النتائج. أخيرًا ترفع رأسها وتنظر إلى المحققين، وتستطيع أن تقول:

ـ أجل، قتلتها. كنت خائفة من أنها اكتشفت الأمر.

تحول نظرها، وتقول مهزومة:

ـ قتلت «أماندا بيرس». كانت على علاقة غرامية بزوجي.

* * *

يترك «ويب» و«موين» غرفة الاستجواب، ويتشاوران بهدوء، في الممر.

يسأل «ويب»:

ـ ماذا تعتقدين؟

تقول «موين»:

ـ ماذا، ألا تصدقها؟
ـ أصدق أنها قتلت «كارمن تورس». لكني أعتقد أنها كانت تكذب عندما قالت إنها قتلت «أماندا بيرس». ابتعدت عيناها عند هذه النقطة. تغيرت لغة جسدها. أعتقد أنها كانت تحمي أحدًا.

ـ زوجها؟

ـ لا أعتقد أنها تعترف بجريمة قتل لتحمي زوجها، هل تعتقدين أنتِ؟ ❝

ـ أصدق أنها قتلت «كارمن تورس». لكني أعتقد أنها كانت تكذب عندما قالت إنها قتلت «أماندا بيرس». ابتعدت عيناها عند هذه النقطة. تغيرت لغة جسدها. أعتقد أنها كانت تحمي أحدًا.

ـ زوجها؟

ـ لا أعتقد أنها تعترف بجريمة قتل لتحمي زوجها، هل تعتقدين أنتِ؟ ❝

❞ ٣٩

أرتجف بشدة بحيث يمكن لأي شخص رؤية ذلك. أشعر بالغثيان، لكن هذا ليس بسبب الشراب فقط.

يأخذني المحققان إلى غرفة بها كاميرا موجهة نحوي من زاوية في السقف. أعرف أن والديَّ هنا في مكان ما بغرفتين تشبهان هذه. تحضر المحققة علبة صودا. يقدمان أنفسهما بالمحقق «ويب» والمحققة «موين»، والمرأة الأخرى محامية.

يبدأ المحقق «ويب» في الإجراءات لكني أستطيع بالكاد استنباط أي شيء، يشغل المسجل. يقول:

ـ «آدم»، اعترفت أمك أنها قتلت «أماندا بيرس».

أنظر إليه، غير قادر على الكلام، أهز رأسي. أنا أحارب الرغبة في التقيؤ وابتلاع الصفراء مرة أخرى. قالت لي ألا أعترف بما فعلته أبدًا. لكنها لم تخبرني قَطُّ أنها ستقول إنها هي من فعلتها. أتمنى لو كانت هنا بجانبي، لكي تخبرني ماذا أفعل الآن. ألعق شفتيَّ الجافتين.

ـ أخبرتنا أنها ذهبت إلى الكوخ وضربتها حتى الموت بمطرقة ووضعت الجثة في البحيرة.

أبدأ في البكاء. بعد قليل أستطيع أن أقول، وأنا أهز رأسي:

ـ كلَّا. أنا قتلت «أماندا بيرس».

يا لها من راحة! عند البوح بهذا على الملأ. كان بمثابة وحش في رأسي، يستغيث طالبًا الفرار. أعلم أن أمي كانت تخشى أن أكون في حالة سكر وأفصح عما بداخلي في مكان ما. وكذلك كنت خائفًا. حسنًا، لن يكون عليها أن تقلق بعد الآن.

ينظر المحققان لي، منتظرين. يجب أن أقول كل شيء.

ـ كان أبي يعاشر «أماندا بيرس».

يسأل «ويب»:

ـ كيف عرفت؟

ـ يحتفظ بكل أسماء الدخول وكلمات السر الخاصة به في مفكرة في خلفية مكتبه. دخلت على حاسوبه ووجدت حساب بريده الإلكتروني الخاص. كان يخفيه. يمسح تاريخ المتصفح دائمًا، لذلك لا يظهر حساب بريده الإلكتروني. رأيت الرسائل الإلكترونية بينهما. عرفت أنه كان يعاشر إحداهن، لكنني لم أعرف من هي لأنهما استخدما أسماء وهمية في عناوين البريد الإلكتروني الخاصة بهما. كانت حاملًا. ظننت أنه سيهجر أمي ويبدأ حياة عائلية جديدة معها. لم تعرف أمي أي شيء عن هذا.

أبتلع ريقي وأتوقف. أتساءل كيف كانت الأمور ستسير بشكل مختلف إذا أخبرت أمي بما أعرفه بدلًا من الذهاب إلى الكوخ.

تسأل المحققة، «موين»، برفق:

ـ ماذا حدث يا «آدم»؟

أكمل قصتي منتحبًا.

ـ عرفت أنه سيقابلها تلك الليلة في كوخ أسرة «شارب». سمعته يتكلم معها في هاتفه. أردت أن أرى من كانت، هذا كل شيء. لم أخطط لقتلها.

هذه هي الحقيقة، أنظر إلى ثلاثتهم لأرى إن كانوا يصدقونني، لكن لا يمكنني أن أعلم فيما يفكرون.

ـ أخذت سيارة أمي. لم تكن لديَّ رخصة حينها، لكني تعلمت قيادة سيارتها، وذهبت إلى الكوخ مرات عديدة سابقة مع والدي، لذلك كنت أعرف الطريق. أخبرنا أبي أنه سيعود إلى البيت تلك الليلة في نحو التاسعة. أردت أن أصل إلى هناك بعد أن يغادر أبي وأراها، وأكتشف من كانت وأخبرها أن تغرب عنا. وأقول لها إنني سأخبر أمي عنها.

أتوقف لدقيقة، أستجمع شجاعتي من أجل الجزء التالي.

يسأل «ويب»:

ـ في أي وقت كان هذا يا «آدم»؟

ـ أعتقد في نحو الثامنة وخمس وأربعين، ربما التاسعة. لست واثقًا تمامًا.

آخذ نفسًا عميقًا.

ـ تركت السيارة في الطريق ومشيت إلى الكوخ ونظرت في النافذة الأمامية. تعرفت عليها. عرفت من تكون. لقد رأيتها في الحي. فكرت في المغادرة حينها. أتمنى لو أنني فعلت. لكن... بدلًا من ذلك فتحت الباب. كانت واقفة في خلفية المطبخ تنظر من النوافذ إلى البحيرة. استدارت فجأة...

أغلق عينيَّ للحظة، أتذكر. أرتجف مرة أخرى، تُفتح عيناي فجأة.

ـ كانت تبتسم، ربما كانت تتوقع أبي. لكن حينئذٍ رأت أنه أنا. لا أعتقد أنها عرفت حتى من أنا. كانت هناك مطرقة على الكاونتر. رأيتها والتقطتها من دون مجرد التفكير في هذا. كنت غاضبًا جدًّا... منها، ومن أبي. استحوذت عليَّ فجأة، هذه... الثورة. أنا فقط... اندفعت وضربتها في رأسها بالمطرقة.

أتوقف عن الكلام وجميعهم يحدقون فيَّ، كما لو أنهم لا يستطيعون أن يديروا أعينهم عني. أشعر بالدموع تنهمر على وجهي الآن ولا يهمني، أبكي وأنا أتحدث.

ـ ضربتها وضربتها ولم أهتم حتى أنني كنت أقتلها...

يسأل المحقق «ويب» بعد دقيقة:

ـ كم مرة ضربتها؟

أمسح المخاط من وجهي بكمي.

ـ لا أتذكر. أنا فقط ظللت أضربها حتى ماتت.

أتوقف عن الكلام مرة أخرى. لم تتبقَّ لديَّ طاقة لأخبرهم بالباقي. أريد الذهاب إلى المنزل والنوم. لكنني أعرف أنني لن أكون قادرًا على الذهاب إلى المنزل. يبدو أن الصمت مستمر لمدة طويلة.

تسأل المحققة «موين»:

ـ ماذا فعلت بعد ذلك يا «آدم»؟

أنظر إليها في خوف.

ـ جلست فوق الأرض لبعض الوقت. بمجرد أن تلاشت الصدمة لم أستطع أن أصدق ما فعلته. كنت مغطى بالدم. لم أعرف ماذا أفعل.

أبتلع ريقي.

ـ فاتصلت بأمي.

تنظر إليَّ المحققة «موين» بتعاطف. أقرر أن أنظر إليها فقط. تبدو لطيفة وأنا خائف جدًّا، لكن عليَّ أن أمضي. أنظر في عينيها فقط، لا في عيني أحد آخر، وأنا أحكي باقي قصتي.
ـ أخبرت أمي بما فعلته. طلبت منها مساعدتي.

أبدأ بالنحيب مرة أخرى.

ـ جاءت أمي إلى الكوخ بسيارة أبي. عندما دخلت ورأتني... ظننت أنها ستحضنني، وتخبرني أن الأمر سيكون على ما يرام، وتطلب النجدة على الرقم ٩١١. لكنها لم تفعل.

أبكي بحرقة الآن، لا بد أن أتوقف لدقيقة. بعد وقت قصير أكمل حديثي.

ـ لم تحضني لكنها قالت: «أحبك يا «آدم»، مهما فعلت. سأساعدك، لكن يجب أن تفعل ما أخبرك به بالضبط» كانت ترتدي قفازًا وناولتني قفازًا، أيضًا. أعطتني حقيبة قمامة سوداء كبيرة وأخبرتني أن أضعها على رأسي وأفتح فتحات لعيني وأنفي من خلالها، حتى لا تنتقل أي ألياف مني للجثة، ثم أخبرتني أن أحمل «أماندا» وأضعها في صندوق سيارتها. أحضرت لي ملابس للتغيير وكثيرًا من الأكياس البلاستيك. بمجرد أن وضعت «أماندا» في السيارة، أخبرتني أن أنزل إلى البحيرة وأخلع كل ثيابي وأضعها في الأكياس وأغسل نفسي في البحيرة. كانت المياه متجمدة.

يصبح صوتي رتيبًا الآن.

ـ ارتديت الملابس التي أحضرتها لي. غسلتْ المكان كله حتى رجع لما كان عليه. بينما كانت تنظف خرجت في زورق التجديف. كانت الدنيا مظلمة حقًّا. أسقطت المطرقة في منتصف البحيرة وربطت أكياس الملابس بأحجار ثقيلة وعقدتها بإحكام وأسقطتها في أماكن متفرقة من البحيرة، مثلما أخبرتني تمامًا. بمجرد أن نُظف كل شيء، ركبت أمي في سيارة «أماندا» وقادتها وأنا تبعتها بسيارتها. وقفتْ عند منحنى على الطريق. لكن حينها كان الوقت متأخرًا، تجاوز منتصف الليل. تركتُ سيارتها على مسافة بعيدة قليلًا ومن ثم

انضممت إليها. خفضت كل النوافذ ودفعنا نحن الاثنان السيارة في المياه.

غرقت بعيدًا. أخبرتني أنه لن يجدها أحد أبدًا. ما دمت لم أفقد أعصابي ولم أخبر عن أي شيء، ليس لأي أحد على الإطلاق أن يعرف. وبعد ذلك عدنا إلى الكوخ لكي نتفقد كل شيء ولنحضر سيارة أبي. بعد ذلك عدنا إلى المنزل. قدت سيارتها وهي تبعتني بسيارة أبي.

عندما عدنا إلى المنزل، كان أبي في الفراش. أخبرته أمي أنها كانت ذاهبة إلى صديقتها «ديان» وأنني كنت في حفلة. لم يبدُ أنه ارتاب في الأمر، لكنني لا أعلم حقًّا. لا أعلم إن كان لاحظ أن السيارتين كانتا بالخارج تلك الليلة. أعلم أنه لا بد أن يعود إلى الكوخ في اليوم التالي مثلما خطط. مكثت في غرفتي طوال اليوم، مريضًا ومذعورًا. عاد إلى البيت وتصرف كأنه لم يحدث شيء، لكن يمكنني معرفة أنه كان متوترًا. تصرفنا جميعًا كأنه لم يحدث خطأ. لكنني قتلتها، وأمي تعلم، وأعتقد... أعتقد أن أبي ربما يكون قد خمن.

أنظر إلى «موين» وأقول:

ـ أمي لم تقتلها. هي فقط نظفت الفوضى التي تسببت فيها. الذنب ذنبي. وذنبها... «أماندا». كان والداي سعيدين تمامًا حتى جاءت.

يقول المحقق «ويب»:

ـ أمك شريكة في جريمة قتل.

أحتج:

ـ كلَّا. ليس لها أي علاقة بما حدث.

أنا منزلق في مقعدي، متعبًا. أنظر إلى المحققة «موين». خائف جدًّا من أن أنظر إلى «ويب»، أو إلى المحامية. أسأل:

ـ ماذا سيحدث لي؟

إنها تعبس في وجهي، ولكن هناك نوعًا من اللطف القاتم في عبوسها، وحزنًا في عينيها.

ـ لا أعلم.

ترمق محاميتي بنظرة.

ـ ولكن عمرك ست عشرة سنة فقط. سوف تحصل على تسوية.

* * *

يسند «ويب» ظهره في مقعده ويراقب بهدوء بينما «موين» تواسي «آدم»، ومحاميته بجانبه.

يسأل:

ـ هل تعرف «كارمن تورس»؟

وجه «آدم» منتفخ وعليه بقع. يبدو متفاجئًا من السؤال. «ويب» متأكد من أن «آدم» ليست لديه فكرة أن أمه قتلتها.

يزفر الهواء بشدة.

ـ أجل، أعرف من تكون.

«موين» تسأل:

ـ كيف تعرفها؟

ـ جاءت إلى منزلنا، تتحدث عن الاقتحامات. ورأيتها مرة في الجوار.

يقول «ويب» صراحة:

ـ لقد ماتت.

يبدو «آدم» ذاهلًا.

ـ رأيت الشرطة في منزلها...

ـ لقد قُتلت.

ينظر «آدم» إلى محاميته، بارتباك واضح.

يجب أن يخبره «ويب».

ـ قتلتها أمك. لحمايتك.

* * *

ترفع «جليندا» عينيها بينما يُفتح الباب ويدخل «ويب» و«موين» إلى غرفة الاستجواب. كانت جالسة هنا لساعات. لديها محامٍ الآن، استُدعي ويجلس بجانبها.

يجلس «ويب» و«موين» في مواجهتها، ويمكنها أن تعرف من سلوكهما أن هناك شيئًا حدث. تربط جأشها لما هو آتٍ. يأخذ «ويب» وقته لكي يخبرها.

ـ لقد اعترف «آدم».

تحاول أن تبقى هادئة، في حال كان يحاول خداعها، لكنه يبدأ في إخبارها بكل التفاصيل، وهي أشياء لم يكن بوسع أحد سوى «آدم» كشفها. تبدأ في البكاء، بصمت، تنهمر الدموع فوق خديها، تحدق في الطاولة التي أمامها. كانت قد فهمت أخيرًا، عندما وصلت إلى الكوخ تلك الليلة، فيما يتعلق بإدمان «آدم» للخمر، أنه بدأ لأنه اكتشف علاقة أبيه بـ«أماندا».

يقول «ويب»:

ـ إنه من الأحداث. كان قتل «أماندا» اندفاعيًّا، لم يكن مدبرًا. يمكن أن يُطلَق سراحه في سن الثامنة عشرة.

تنظر إليه، وتشعر بأمل مؤقت.

ـ لكنك ستبقين في السجن لمدة أطول بكثير.

يرتخي جسدها. إنها لا تعرف الآن كيف صمدت، وكيف تحملت هذا من دون تصدع. كيف فكرت يومًا أن «آدم» بإمكانه تولي الأمر؟ بالطبع اعترف. إنها تفكر في العبء الرهيب لإخفاء الحقيقة عن الجميع، وإخفاء ما فعلاه عن زوجها، وإدراكها البطيء أنه ربما اكتشف ذلك. خوفها من أن يسكر «آدم» ويبوح لأحدٍ ما بما فعلاه. إدراكها الذي بدأ يلوح في الأفق بأنها ارتكبت خطأً فادحًا.

تنظر إليه بيأس.

ـ أردت فقط أن أحمي ابني.

يقول «ويب»:

ـ كان من الأفضل للجميع أن تتصلي بالنجدة على الرقم ٩١١ وحسب. ❝

❞ خاتمة

تنظر «أوليفيا» بوجه خالٍ من التعبير عبر النافذة. لم ينتهِ الكابوس، هو فقط غير شكله ببساطة. «بول» بريء تمامًا. و«آدم» اعترف. لا يمكن لـ«أوليفيا» أن تتغاضى عما حدث... طوال الوقت. كان «آدم»

هو الشخص الذي قتل «أماندا»، و«جليندا» ساعدته على إخفاء معالم الجريمة. و«أوليفيا» ليست لديها فكرة. التفكير فيما حدث بكوخهم يجعلها تنكمش اشمئزازًا. لن تذهب إلى هناك مرة أخرى. عليهم بيعه. جزء آخر من حياتها القديمة... رحل.

و«جليندا» اعترفت بقتل «كارمن». يا لها من صدمة. «أوليفيا» تتخيل «كارمن»، ميتة فوق الأرضية. قالوا إنها كانت مخنوقة بحبل. تحاول ألا تفكر في «جليندا» تخنق «كارمن» من الخلف. فهذا يمنحها شعورًا بالدوار. الظاهر أن «جليندا» رأت «كارمن» تشكل تهديدًا... خوفًا من أن «كارمن» قد شاهدت «آدم» و«جليندا» يعودان إلى المنزل في سيارتين منفصلتين في الليلة التي قُتلت فيها «أماندا». خشيت أنها اكتشفت هذا وستخبر الشرطة. تعتقد «أوليفيا» أن «جليندا» ربما كانت فاقدة للسيطرة على نفسها بالكامل في ذلك الوقت. ظنت «جليندا» أنها تحمي ابنها. الأم ستفعل أي شيء لحماية ابنها.

تتساءل «أوليفيا» لو هذا الشعور السريالي سيختفي يومًا ما. تتساءل كيف ستمضي هي و«بول». إنه يعلم أنها ظنت لفترة أنه ربما يكون مذنبًا. يظل هذا بينهما الآن.

تغرورق عيناها بالدموع. كيف ستتعايش من دون «جليندا»؟ لا يمكنها أن تتحمل التفكير في «جليندا» كقاتلة، ستحاول دائمًا أن

تفكر فيها كـ«جليندا» فقط، أعز صديقة لها. إنها بالفعل تفتقدها أكثر مما يمكنها تحمله. يجب أن تدبر أمورها بطريقة ما من دونها.

سيعترف «رالي» بأنه مذنب في ثلاث تهم تتعلق باقتحام وتسلل واستخدام غير مأذون به لحاسوب، ولأنه من الأحداث، يعتقد محاميه أنه يمكن أن يُخرجه بعقوبة مخففة، مع خدمة المجتمع. وعدهما «رالي» أن أيامه في الاختراق ولت. قال ذلك من قبل. ليست واثقة من أنها تصدقه.

* * *

«روبرت بيرس» سعيد. مبتهج بقدر ما يسمح قلبه المظلم.

لم يكن يعرف بأمر «كيث نيويل». ظن، عندما قُبض على «بول شارب»، أنه الحبيب الثاني السري. لكنه كان «كيث نيويل» هو الذي تعاشره زوجته، وابنه هو الذي قتلها. من الجيد أن تعرف، أخيرًا، ما الذي حدث. من الجيد ألا تكون مضطرب الذهن بعد الآن.

يدرك «روبرت» أنه بحال أفضل من دون «أماندا». أصبحت الأمور مستحيلة بينهما. وفكر أن يقتلها بنفسه.

«روبرت» يراقب «بيكي» تخرج في سيارتها. الآن، يرتدي قفاز البستنة، ويأخذ المجرفة، ويذهب إلى الجزء الخلفي من الحديقة لإخراج الهاتف الخلوي المدفون. لقد اقترب كل شيء من نهايته بصورة مرضية، ولكن لا يزال عليه التخلص من هاتف «أماندا» بشكل كامل ونهائي. لم ينسَ أمر المراهق اللعين، الذي ربما نظر بداخله. هناك أشياء على هذا الهاتف لا يرغب حقًّا في أن يراها أي أحد آخر. كانت «أماندا» أذكى مما اعتقد.

سيسترجع الهاتف ويقود لبضع ساعات شمالًا على طول النهر إلى مكان مهجور يعرفه. سيقوم بتنظيفه مرة أخرى ويرميه في أعماق مياه «هدسون».

يركع «روبرت» على ركبتيه ويحفر في الأرض حيث دفن الهاتف، لكنه لم يجده في الحال. يحفر أعمق، أسرع، على مساحة أوسع، يزيل التراب بسرعة، تتسارع أنفاسه من الغضب. إنه غير موجود.

«بيكي». لا بد أنها رأته في الحديقة. دائمًا ما تراقبه. لا بد أنها حفرت وأخرجت الهاتف.

ينهض على قدميه، محاولًا التحكم في ثورته، ويحدق عبر السياج في منزل «بيكي» الخاوي. يخطط لحركته القادمة. ❝

❞ شكر وتقدير

أعلم أنني لم أصل إلى المكانة التي أنا فيها اليوم إلا بفضل هؤلاء الأشخاص، الذين أدين لهم بامتناني العميق: ناشرو أعمالي في المملكة المتحدة «لاري فينلاي»، و«بيل سكوت كير»، و«فرانكي جراي»، و«توم هيل»، والفريق الاستثنائي في «ترانسورلد» إنجلترا، وناشرو أعمالي في الولايات المتحدة «بريان تارت»، و«باميلا دورمان»، و«جيرماني أورتون»، و«بن بترون»، وباقي الفريق المذهل في «فايكينج بنجوين»، وناشرو أعمالي في كندا «كريستين كوكرين»، و«إيمي بلاك»، و«بهافنا تشوهان»، و«إيما إنجرام»، وكذلك فريق «دابلداي» كندا الرائع. أشكركم جميعًا ـ مجددًا ـ على كل شيء. أعلم أنه يوجد عنصر حظ في عملية النشر، وأشعر بالحظ الوفير لأنني أعمل معكم. أنتم ضمن أفضل فرق العمل، وأجملها وأكثرها بذلًا للجهد، وأنتم أيضًا أكثر الأشخاص مرحًا. شكرًا لكل فرد منكم.

«هيلين هيلر»، ماذا عساي أن أقول؟ أنتِ غيرت حياتي. وأنا أستمتع برفقتك، وتقديري لك يفوق كثيرًا ما أستطيع التعبير عنه. أشكر أيضًا كل فرد في وكالة «مارش» لمواصلة تقديم هذا العمل الممتاز، الذي يمثلني في جميع أنحاء العالم.

شكر خاص ـ مرة أخرى ـ إلى «جين كافولينا» لأنها أفضل مدققة لُغوية يمكن أن يحظى بها مؤلف مشغول أكثر من اللازم.

وكذلك أود أن أشكر «مايك إيليس»، الحاصل على ماجستير العلوم من برنامج العلوم الجنائية بجامعة «ترينت»، لمساعدته التي لا تُقدر بثمن من خلال الإجابة على أسئلتي الجنائية، وهو الشيء الذي فعله بسرعة وبمشاعر مفعمة بالبهجة. شكرًا يا «مايك»!

أود أيضًا أن أشكر «جانيت بوروث»، التي منحها تبرعها الخيري إلى «رايترز بوليس أكاديمي» مكانًا لاسمها في هذا الكتاب.

كما أود توضيح أنني المسؤولة كليًّا عن أي أخطاء في الطبعة. لا أعتقد أنه توجد أخطاء، لكن من يدري.

وأخيرًا، أشكر «مانويل» وأبنائي. فلولا وجودكم ما استطعت إنجاز هذا العمل. «بوبي» أنت أفضل قِط، وأفضل صحبة، يومًا بعد يوم، يمكن أن يتمناها أي كاتب. ❝

❞ اتبة

عملت «شاري لابينا» محاميةً ومُدرِّسة لغة إنجليزية قبل أن تكتب الروايات. لها ست روايات مثيرة، جميعها تربَّعت على قوائم الكتب الأكثر مبيعًا، وتُرجمت إلى أكثر من سبع وثلاثين لغة حول العالم. «شاري لابينا» تعيش في تورنتو. ❝

❞ المترجمة

منى عبد الغني مترجمة مصرية حاصلة على ليسانس اللغة الإنجليزية ودبلومة الترجمة من كلية الآداب بجامعة القاهرة. عملت مدرِّسة لغة إنجليزية قبل أن تحترف الترجمة.

ترجمت كتبًا في التنمية البشرية وعلم الإدارة، وعددًا من روايات «أجاثا كريستي»، ورواية «يوتوبيا» لـ«توماس مور»، ومجموعة قصصية للكاتب الأيرلندي «دوهي أو موري» بعنوان «اختيار القصص». ❝